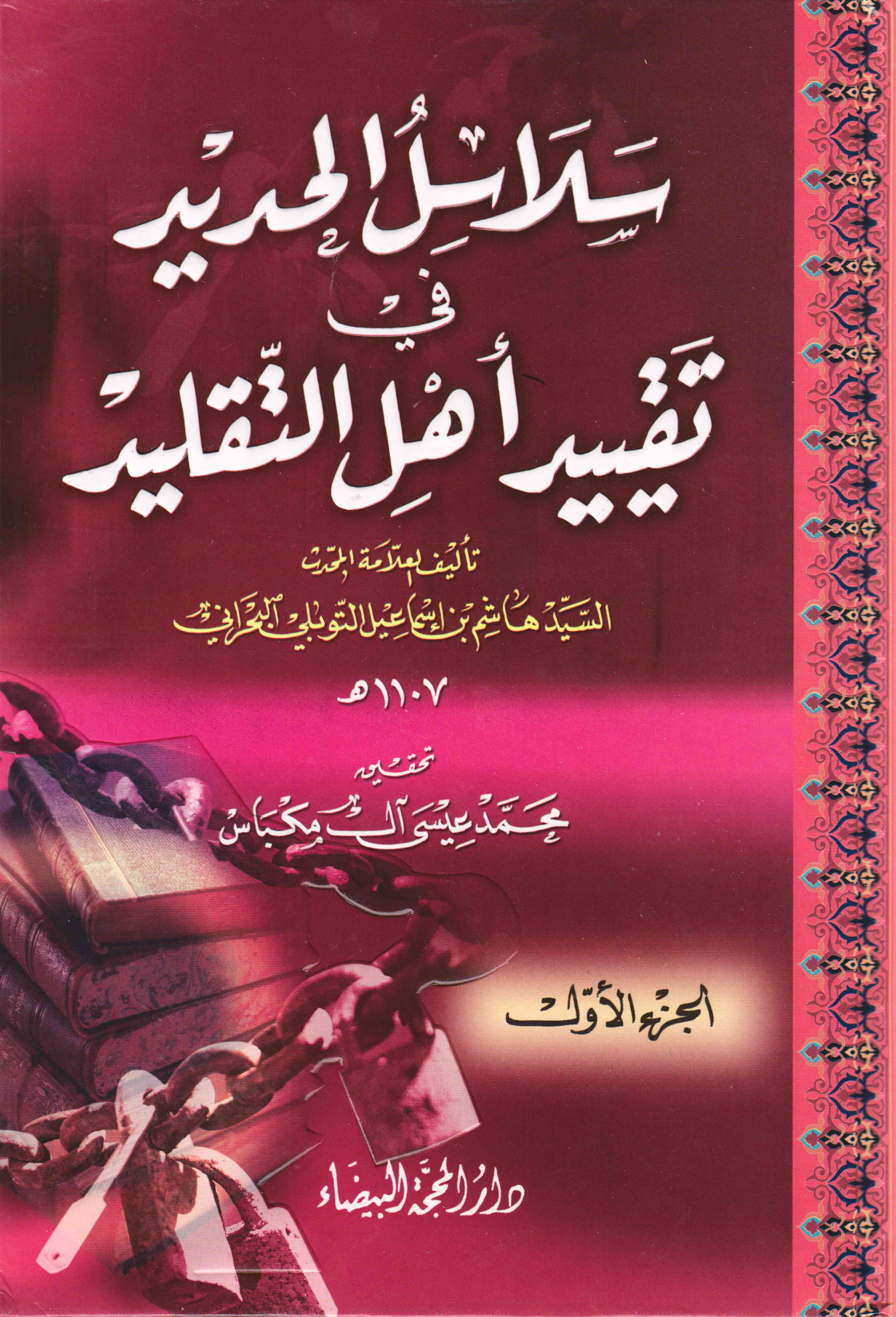


سلاسل الحديد
في
تقييد أهل التقليد
تأليف العلامة المحدث
السيد هاشم بن إسماعيل التوبلي البحراني
١١٠٧هـ
تحقيق
محمد عيسى آل مكباس
الجزء الأول
دار المحجة البيضاء


شبكة الفكر
alfeker.net
سلاسل الحديد
في
تقييد أهل التقليد

سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد

الجزء الأول

تأليف العلامة المحدث
السيد هاشم بن إسماعيل التوبلي البحراني

تحقيق
محمد عيسى آل مكباس

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

ترجمة
العلامة السيد هاشم التوبلاني البحراني

إسمه
ونسبه الشريف

السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد بن علي بن سليمان بن السيد ناصر الحسيني البحراني التوبلي الكتكاني.

كان قدس سره من أولاد السيد المرتضي، وباقي نسبه إلى السيد مذكور على ظهر بعض كتبه.

أولاده

قال الافندي في ﴿الرياض﴾: خلف ابنين صالحين من طلبة العلم، السيد عيسى، والسيد محسن.

وقال الطهراني في ﴿الذريعة﴾: قال في الرياض: رأيت جميع كتب السيد عند ولده السيد علي شارح ﴿زبدة الاصول﴾ لما اجتمعت معه باصبهان

ولكن هذه العبارة ليست موجوده في الرياض المطبوع، بل الموجودة فيها كما مر هكذا: له مؤلفات كثيرة رأيت أكثرها باصبهان عند ولده السيد محسن.

وقال الطهراني أيضاً في ﴿الذريعة﴾: ﴿شرح الزبدة﴾ للسيد محمد جواد بن العلامة السيد هاشم التوبلي البحراني، كان موجوداً عند الشيخ محمد صالح بن أحمد البحراني المعاصر، كما حدثني به.

ونسب الشيخ علي البلادي ﴿شرح الزبدة﴾ إلى السيد عيسى، وقال في ﴿أنوار البدرين﴾: ولهذا السيد ولد فاضل محقق اسمه السيد عيسى، له شرح على زبدة شيخنا البهائي، إلا أن النسخة التي عندنا غير تامة، ولم أقف له على ترجمة ولا رواية.

أقوال العلماء فيه

﴿١﴾

ذكره الحر العاملي بقوله: السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني البحراني التوبلي، فاضل عالم، ماهر، مدقق، فقيه، عارف بالتفسير والعربية والرجال، له كتاب تفسير القرآن كبير، رأيته ورويت عنه.[١]

﴿٢﴾

قال الشيخ عبد الله السماهيجي في إجازته للشيخ ناصر الجارودي الخطي: السيد المقدس السعيد، والحميد السيد هاشم، المعروف بالعلامة بن المرحوم السيد سليمان بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد، المشهور بالعلامة، الكتكاني، نسبة الى الكتكان — بفتح الكافين والتاءالمثناة الفوقانية — قرية من قرى توبلي- بالتاء المثناة الفوقانية والواو الساكنة والباءالموحدة المكسورة واللام المكسورة والياء أخيراً — من أعمال أوال، حرست عن الوبال، وكان هذا السيد ثقة، ورعاً صالحاً، متتبع للأحاديث غاية التتبع، له به احاطة زائدة واطلاع شديد، وقد جمع نحواً من أربعين كتاباً:

منها: كتاب البرهان في تفسير القرآن، ستة مجلدات، كتاب الهادي ومصباح النادي في تفسير القرآن أيضاً، مجلدان، كتاب مدينة المعجزات في

---

[١] - أمل الآمل للحر العاملي ٣٤١/٢.

النص على الأئمة الهداة، مجلدان، كتاب الدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد، مجلد، كتاب معالم الزلفى في النشأةالأخرى، مجلد كبير، كتاب في تفضيل الأئمة عليهم السلام على جميع النبيين عدا النبي صلى الله عليه وآله، كتاب في وفاة النبي صلى الله عليه وآله، كتاب في وفاة الزهراء عليها السلام، كتاب سلاسل ا لحديد، منتخب من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في فضائل أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، كتاب الاحتجاج، كتاب نهاية الآمال فيما تتم به الأعمال، كتاب ترتيب التهذيب، مجلدين، كتاب تنبيهات الأريب في رجال التهذيب، كتاب الرجال والعلماء الذين رجعوا الى الحق، كتب حلية الأبرار، كتاب حلية النظر في فضل الأئمة الأثنى عشر، كتاب البهجة الرضية في اثبات الخلافة والوصية، كتاب مناقب الشيعة، كتاب اليتيمة، كتاب نسب عمر ، رسالة تعريف رجال من لا يحضره الفقيه، كتاب مولد القائم عليه السلام، كتاب نزهة الأبرار ومنار الأنظار في خلق الجنة والنار، كتاب المحجة فيما نزل في الحجة، كتاب تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي عليه السلام، كتاب عمدة النظر في الأئمة الاثنى عشر، كتاب معجزات النبي صلى الله عليه وآله.[1]

---

[1] - إجازات علماء البحرين، موسوعة في التراجم والتأريخ والأدب، تأليف الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني/٧٢

﴿٣﴾

قال الشيخ حسين بن محمد بن عبد النبي البارباري البحراني في إجازته للشيخ حسين بن عبد الله الحوري البحراني: ومنهم السيد المقدس، السعيد الحميد،السيد هاشم المعروف بالعلامة بن المرحوم السيد سليمان بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد الكتكاني، نسبة الى الكتكان – بفتح الكافين والتاءالمثناة الفوقانية – قرية من قرى توبلي- بالتاء المثناة الفوقانية المضمومة والواو الساكنة والباءالموحدة واللام المكسورتين والياء أخيراً – من أعمال أوال، حرست عن الوبال، وكان هذا السيد ثقة، جليلاً صالحاً، متتبعاً للأحاديث غاية التتبع، لديه احاطة زائدة واطلاع شديد، وقد جمع نحواً من أربعين كتاباً:

منها: كتاب البرهان في تفسير القرآن، ستة مجلدات، كتاب الهادي ومصباح النادي في تفسير القرآن أيضاً، مجلدان، كتاب مدينة المعجزات في النص على الأئمة الهداة، مجلدان، كتاب الدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد، مجلد، كتاب معالم الزلفى في النشأة الأخرى، مجلد كبير، كتاب في تفضيل الأئمة عليهم السلام على جميع النبيين عليهم السلام عدا النبي صلى الله عليه وآله، كتاب في وفاة النبي صلى الله عليه وآله، كتاب في وفاة الزهراء عليها السلام، كتاب سلاسل ا لحديد، منتخب من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في فضائل أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، كتاب الاحتجاج، كتاب نهاية الآمال فيما تتم به الأعمال، كتاب ترتيب التهذيب، مجلدان، كتاب تنبيهات الأريب في رجال التهذيب، كتاب الرجال

والعلماء الذين رجعوا الى الحق، كتاب حلية النظر في فضائل الأئمة الأثنى عشر، كتاب البهجة الرضوية في اثبات الخلافة والوصية، كتاب مناقب الشيعة، كتاب اليتيمة، كتاب نسب عمر ، رسالة تعريف رجال من لا يحضره الفقيه، كتاب مولد القائم عليه السلام، كتاب نزهة الأبرار في خلق الجنة والنار، كتاب المحجة فيما نزل في الحجة، كتاب تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي، كتاب عمدة النظر في الأئمة الاثنى عشر، كتاب معجزات النبي صلى الله عليه وآله.

مات قدس سره في السنة التاسعة والمائة والألف، ودفن في مقبرة ماثين، مسجد من المساجد المشهورة، بالجانب [الجنوبي]، وكان موته بعد وفاة الشيخ محمد بن ماجد المتقدم ذكره بأربع سنين، وأنتهت رئاسة الأمور الحسبية للشيخ الأفضل الشيخ سليمان بن عبد الله المتقدم ذكره، قدسالله أرواحهم الزكية، ونوّر مراقدهم بالأنوار الإلهية.[1]

---

[1] - إجازات علماء البحرين، موسوعة في التراجم والتأريخ والأدب، تأليف الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني/٧٢.

﴿٤﴾

قال صاحب الحدائق في حدائقه في مبحث شراء كتب الضلال:

اقول: والكلام هنا يجرى على حسب حال ما قدمناه، فان تخصيص المنع بالضلال فقط جيد لو كان ثمة دليل على حسب ما ذكروه، ولكنهم هنا انما يبحثون على تقدير هذه العبارة التى قدمناها، وهي التى يذكرونها في هذا المقام ، وقد عرفت انه لا مستند لهم، من اخبارهم عليهم السلام.

هذا مع تطرق الاشكال إليها والاحتمال، بأن المراد من كتب الضلال يعني كتب اهل الضلال، وهو مجاز شائع في الكلام، وبه ينتفي ما ذكروه من التخصيص بالضلال، ويصير عاماً لمصنفات اهل الضلال مطلقاً.

وهذا هو المناسب لما ورد من النهى عن الجلوس إليهم والاستماع منهم ولو للرد عليهم، خوفاً من شمول اللغة و العذاب له كما يشير إليه بعض الاخبار.

وأما قوله: فتفاسير المخالفين ليست بممنوع منها، فإنه وان سلم انها ليست ممنوعاً منها من هذه الجهة المذكورة، الا انها ممنوع منها بما استفاض في الاخبار من النهي عن تفسير القرآن الاّ بما ورد عنهم عليهم السلام، وان كان المشهور بينهم عدم العمل بهذه الاخبار، كما يعطيه كلامه هنا، نسأل الله سبحانه المسامحة لنا ولهم من عثرات الاقلام وزلات الاقدام.

ولعل ذلك لعدم اطلاعهم عليها، وامعان النظر في تتبعها من مظانها، والاّ فهى في الكثرة والدلالة على ما قلناه اشهر من ان ينكر، كما بسطنا الكلام

عليه في غير المقام من مؤلفاتنا، واشرنا الى ذلك في المقدمة الثالثة من مقدمات الكتاب وبينا ان جملة الاخبار الواردة عنهم عليهم السلام متفقة الدلالة على المنع من تفسيره الاّ بما ورد عنهم عليهم السلام.

ولذلك تصدى لذلك جملة من فضلاء المتأخرين المتبحرين، منهم السيد العلامة السيد هاشم الكناكانى البحراني في تفسيرة المسمى بالبرهان في تفسير القرآن، فجمع تلك الاخبار الواردة بتفسير الايات عنهم عليهم السلام، ولقد احاط بجملة من الاخبار في تفسير الايات، ولم يسبقه سابق إلى وصول هذه المقامات.[1]

﴿٥﴾

وقال المحقق البحراني الشيخ سليمان تلميذه في ﴿فهرست آل بابويه وعلماء البحرين﴾: السيد أبو المكارم السيد هاشم بن السيد سليمان محدث، متتبع ، له التفسيران المشهوران.

---

[1] - الحدائق الناضرة، الشيخ يوسف آل عصفور ١٤٢/١٨.

﴿٦﴾

وقال الافندي في رياض العلماء: السيد هاشم بن سليمان، الفاضل، الجليل، المحدث الفقيه المعاصر، الصالح الورع، العابد الزاهد، المعروف بالسيد هاشم العلامة، صاحب المؤلفات الغزيرة، والمصنفات الكثيرة، رأيت أكثرها باصبهان عند ولده السيد محسن.

﴿٧﴾

وقال الشيخ يوسف البحراني في ﴿اللؤلؤة﴾: السيد هاشم المعروف بالعلامة، كان فاضلاً، محدثاً جامعاً، متتبعاً للاخبار، بما لم يسبق إليه سابق سوى شيخنا المجلسي، وقد صنف كتباً عديدة تشهد بشدة تتبعه وإطلاعه، إلاّ أني لم أقف له على كتاب فتاوى في الاحكام الشرعية بالكلية، ولو في مسألة جزئية، وإنما كتبه مجرد جمع وتأليف، لم يتكلم في شيء منها مما وقفت عليه على ترجيح في الاقوال، أو بحث أو اختيار مذهب وقول في ذلك المجال، ولا أدري أن ذلك لقصور درجته عن مرتبة النظر والاستدلال أم تورعاً عن ذلك كما نقل عن السيد الزاهد العابد رضي الدين بن طاووس.

وانتهت رياسة البلد بعد الشيخ محمد بن ماجد إلى السيد، فقام بالقضاء في البلاد، وتولى الامور الحسبية أحسن قيام، وقمع أيدي الظلمة والحكام، ونشر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالغ في ذلك وأكثر، ولم تأخذه

لومة لائم في الدين، وكان من الاتقياء المتورعين، شديداً على الملوك والسلاطين.

﴿٨﴾

قال السيد الامين في أعيان الشيعة: السيد هاشم بن سليمان البحراني، في تتمة أمل الآمل: كان من جبال العلم وبحوره، لم يسبقه سابق ولا لحقه لاحق في طول الباع وكثرة الاطلاع حتى العلامة المجلسي، فإنه نقل عن كتب ليس لها ذكر مثل: كتاب ثاقب المناقب، وبستان الواعظين، وإرشاد المسترشدين، وتفسير محمد بن العباس الماهيار، وتحفة الاخوان، وكتاب الجنة والنار، وكتاب السيد الرضي في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، وأمالي المفيد النيسابوري، وكتاب مقيل الثاني للشيخ علي بن طاهر الحلي، وكتاب المعراج للصدوق، وكتاب تولد أمير المؤمنين عليه السلام لأبي مخنف، وتفسير السدي، وغير ذلك.

﴿٩﴾

هاشم البحراني

﴿٠٠٠ - ١١٠٧ هـ﴾ ﴿٠٠٠ - ١٦٩٦ م﴾

قال عمر كحالة: هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني البحراني، الكتكاني، التوبلي، مفسر مشارك في بعض العلوم ، من الامامية، توفي، ودفن في توبلي.

من تصانيفه الكثيرة: البرهان في تفسير القرآن في مجلدين، البهجة المرضية في اثبات الخلافة والوصية، نزهة الابرار ومنار الافكار في الجنة والنار، عمدة النظر في الائمة الاثني عشر، وروضة العارفين (ط) البغدادي: هدية العارفين ٢ : ٥٠٣ ، الزركلي: الاعلام ٩ : ٤٨ ، فهرس التيمورية ٤ : ١٠١، البغدادي : ايضاح المكنون ١ : ١٧٩، ٢٠٣، ٢٧٩، ٣٢٣، ٤١٩، ٤٢١، ٤٥٣، ٥٩٥، ٢ : ١٢٥، ١٤١، ٤٤٢، ٤٥٦، ٤٩١، ٥٠٥، ٦٣٤، ٦٨٩، ٧١٦، الخوانساري: روضات الجنات ٤ : ٢٢٨، ٢٢٩، آغابزرك : مصفى المقال ٤٨٩، ٤٩٠، عباس قمي : فوائد الرضوية ٧٠٥، ٧٠٦، ٥٣٣، ٥٠٦ : Brockelmann : s , II[1]

---

[1] - معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ١٣/١٣٢.

﴿١٠﴾

قال صاحب كتاب أنوار البدرين: ومنهم: السيد الجليل، ذي الشرف الأصيل، العديم المثيل، السيد هاشم بن السيد سليمان ب ن اسماعيل بن السيد عبد الجواد البحراني، التوبلي الكتكاني، نسبة الى كتكان، قرية من التوبلي من البحرين، المعروف بالعلامة، ضاعف الله اكرامه، كان فاضلاً، محدثاً، متتبعاً للاخبار، بما لم يسبق إليه سابق سوى مولانا المجلسي، وقد صنف كتباً عديدة تشهد بشدة تتبعه وإطلاعه، إلاّ أني لم أقف له على كتاب فتاوى في الاحكام الشرعية، ولو في مسألة جزئية، وإنما كتبه مجرد جمع وتأليف، ولم يتكلم فيما وقفت عليه على ترجيح في الاقوال، أو بحث أو اختيار مذهب وقول في ذلك المجال، ولم أدر أن ذلك لقصور درجته عن مرتبة النظر والاستدلال أم تورعاً عن ذلك كما نقل عن السيد رضي الدين بن طاووس ﴿قدس سرهما﴾، كما نذكره إن شاء الله تعالى في ترجمته.

وانتهت رياسة البلد بعد الشيخ محمد بن ماجد المتقدم ذكره إلى السيد المذكور، فقام بالقضاء في البلاد، وتولى الامور الحسبية أحسن قيام، وقمع أيدي الظلمة والحكام، ونشر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالغ في ذلك وأكثر، ولم تأخذه في الله لومة لائم في الدين، وكان من الاتقياء المتورعين، شديداً على الملوك والسلاطين.

توفي قدس سره في قرية نعيم في بيت الشيخ عبد الله بن الشيخ حسين بن كنبار، لأنه كان متزوجاً بمخلفة الشيخ علي بن الشيخ عبد الله المذكور، ونقل

نعشه الى قرية توبلي، ودفن بها في مقبرة ماثني من مساجد القرية المذكورة، وقبره مزار معروف، وانتهت رئاسة البلد بعده الى الشيخ سليمان بن عبد الله المذكور.

وكانت وفاته رحمه الله للسنة السابعة بعد المائة والألف، وذكر بعض مشائخنا المعاصرين أن وفاته بعد الشيخ محمد بن ماجد المتقدم بأربع سنين، فعلى هذا تكون وفاته سنة التاسعة بعد المائة والألف.[١]

[١] - انوار البدرين، الشيخ علي البلادي البحراني/١٢١.

مشائخه وأساتذته

١ - السيد عبد العظيم بن السيد عباس الاستر آبادي، كان من أجلة تلاميذ الشيخ البهائي والمجازين منه، يروى عنه السيد البحراني إجازة بالمشهد المقدس الرضوي، كما نص عليه في آخر كتاب تفسيره الموسوم بالهادي ومصباح النادي، وقال في وصفه: السيد الفاضل التقي والسند الزكي، ونص أيضاً في آخر تفسير البرهان على إجازته وقال : أخبرني بالاجازة عدة من أصحابنا منهم: السيد الفاضل التقي الزكي السيد عبد العظيم بن السيد عباس بالمشهد الشريف الرضوي على ساكنه وآبائه وأولاده أفضل التحيات وأكمل التسليمات، عن الشيخ المتبحر المحقق مفيد الخاص والعام شيخنا الشهيد محمد العاملي الشهير ببهاء الدين، وله من المصنفات رسالة في وجوب صلاة الجمعة عيناً.

٢ - الشيخ فخر الدين الطريحي بن محمد علي بن أحمد النجفي الفقيه الاصولي اللغوي المحدث، ولد بالنجف سنة ٩٧٩ هـ وتوفي بالرماحية سنة ١٠٨٥ هـ

قال السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز: أدركته بالنجف ولي منه إجازة.

تلامذته والراوون عنه

١ - الشيخ أبو الحسن شمس الدين سليمان الماحوزي المعروف بالمحقق البحراني، ولد ليلة النصف من شهر رمضان سنة ١٠٧٥ هـ وتوفي في اليوم السابع عشر من رجب سنة ١١٢١ هـ.

روى الشيخ علي البلادي عنه أنه قال في بعض فوائده: دخلت على شيخنا العلامة السيد هاشم التوبلي زائراً مع والدي، فلما قمنا معه لنودعه وصافحته لزم يدي وعصرها وقال لي: لا تفتر عن الاشتغال، فإن هذه البلاد عن قريب ستحتاج إليك.

قال البلادي: وصدق رحمه الله فإنه بعد برهة قليلة توفي ذلك السيد وانتقلت الرياسة الدينية إليه.

٢ - الشيخ علي بن عبد الله بن راشد المقابي البحراني المستنسخ لكتب استاذه منها: حلية الابرار، وحلية النظر، إستنسخهما سنة ١٠٩٩ هـ، والنسختان بخطه موجودتان في الرضوية.

٣ - الشيخ محمد بن الحسن بن علي المشهور بالحر العاملي الفقيه المحدث الجليل صاحب تفصيل وسائل الشيعة، ولد في قرية مشغرى من قرى دمشق سنه ١٠٣٣ هـ،وتوفي سنة ١١٠٤ هـ.

قال في أمل الآمل في ترجمة السيد البحراني: رأيته ورويت عنه.

٤ - السيد محمد العطار بن السيد علي البغدادي الاديب الشاعر، ولد في بغداد سنة ١٠٧١ هـ، وتوفي سنة ١١٧١ هـ.

قال الشيخ محمد حرز الدين في معارف الرجال: قرأ على علماء عصره منهم: السيد هاشم البحراني.

٥ - الشيخ محمود بن عبد السلام المعني البحراني الصالح الورع، قد عمر إلى ما يقرب مائة سنة، وكان حياً في سنة ١١٢٨ هـ، لانه في تلك السنة أجاز الشيخ عبد الله السماهيجي المتوفى سنة ١١٣٥ هـ

قال البلادي في أنوار البدرين: هذا الشيخ يروى عن جملة من المشايخ العظام كالسيد هاشم التوبلي، والشيخ الحر العاملي.

٦ - الشيخ هيكل الجزائري بن عبد علي الاسدي أجازه السيد البحراني على نسخة من كتاب الاستبصار في تاسع ربيع الاول سنة ١١٠٠ هـ، وعبر عنه بالشيخ الفاضل العالم الكامل البهي الوفي.

مؤلفاته

قال في الرياض: له قُدِّسَ سِرُّه من المؤلفات ما يساوي خمساً وسبعين مؤلفاً ما بين كبير ووسيط، ووسيط، وصغير، وأكثرها في العلوم الدينية، وسمعت ممن أثق به من أولاده ﴿رضوان الله عليه﴾ أن بعض مؤلفاته حيث كان يأخذه من كان ألفه له لم يشتهر بل لم يوجد في بحرين.

وإليك فهرس بمؤلفاته قُدِّسَ سِرُّه:

١ - إثبات الوصية، والظاهر اتحاده مع البهجة المرضية.

٢ - احتجاج المخالفين على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فيه خمسة وسبعون احتجاجاً من العامة على إمامته عليه السلام، فرغ منه سنة ١١٠٥ هـ.

٣ - إرشاد المسترشدين أو إيضاح المسترشدين، أورد فيه ٢٥٣ رجلاً ممن تبصر، فرغ منه سنة ١١٠٥ هـ

٤ - الانصاف في النص على الائمة الاشراف، ويعرف بالنصوص، يشمل على ٣٠٨ حديثاً، فرغ منه سنة ١٠٩٧ هـ نسخة منه موجودة في مكتبة المرحوم آية الله العظمى المرعشي في قم بخط النسخ في ١١٧ ورقة.

٥ - البرهان في تفسير القرآن بالأحاديث المأثورة، طبع عدة مرات في سنة ١٢٩٥ هـ وسنة ١٣٠٢هـ وسنة ١٣٧٥ هـ وسنة ١٣٩٤هـ

٦ - بهجة النظر في إثبات الوصاية والامامة للائمة الاثني عشر، فرغ منه سنة (١٠٩٩ هـ قال في الرياض: هو ملخص من كتاب حلية الابرار.

٧ - تبصرة الولي فيمن رأى المهدي عجل الله فرجه في زمان أبيه عليه السلام وفي أيام الغيبة الصغرى والكبرى، فرغ منه سنة ١٠٩٩ هـ طبع شطر منه يشتمل على رؤية من رآه عليه السلام في الغيبة الصغرى فقط في ذيل غالية المرام في سنة ١٢٧٢هـ.

٨ - التحفة البهية في إثبات الوصية لعلي عليه السلام فرغ منه سنة ١٠٩٩هـ

٩ - ترتيب التهذيب أورد فيه كل حديث في الباب المناسب له فرغ منه سنة ١٠٧٩ هـ ووقع الفراغ من تصحيحه في محضر المؤلف سنة ١١٠٢ هـ ثم شرحه بنفسه شرحاً كما يأتي، وطبع الكتاب بالافست في ثلاث مجلدات سنة ١٣٩٢ هـ وقدم له المرحوم آية الله العظمى المرعشي رحمه الله مقدمة وقال فيها: ولعمري لقد أتعب نفسه الشريفة وأجاد فيما أفاد، وأتى فوق ما يؤمل ويراد.

١٠ - تعريف رجال من لا يحضره الفقيه هو شرح لمشيخة الكتاب.

١١ - تفضيل الائمة على الانبياء عليهم السلام سوى الخاتم صلى الله عليه وآله.

١٢ - تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل، هو آخر كتاب ألفه في مرض موته في أربعة عشر يوماً، كان يملي الأحاديث ويكتبه الكاتب سنة ١١٠٧ هـ.

١٣ - تنبيه الاريب في إيضاح رجال التهذيب، كتاب مبسوط في بيان أحوال رجال التهذيب، وهذبه الشيخ حسن بن محمد الدمستاني المتوفي سنة ١١٨١ هـ ونظمه على ترتيب الكتب الفقهية، وسماه انتخاب الجيد من تنبيهات

السيد، وفرغ منه سنة ١١٧٣ هـ ونسخة منه موجوده في مكتبة آية الله المرعشي بقم.

١٤ - التنبيهات في تمام الفقه من الطهارة إلى الديات، قال في الرياض: هو كتاب كبير مشتمل على الاستدلالات في المسائل إلى آخر أبواب الفقه، وهو الآن موجود عند ورثة الاستاذ قدس سره. والمراد بالاستاذ هو العلامة المجلسي قدس سره.

١٥ - التيمية في بيان نسب التيمي.

١٦ - حقيقة الايمان المبثوث على الجوارح، وفرغ من تأليفه سنة ١٠٩٠ هـ

١٧ - حلية الابرار في أحوال محمد وآله الاطهار عليهم السلام، طبع في قم سنة ١٣٩٧ هـ

١٨ - حلية النظر في فضل الائمة الاثني عشر، فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٩ ه، توجد نسخة منه في المكتبة الرضوية بخط تلميذ المؤلف علي بن عبد الله بن راشد المقابي البحراني إستنسخه في السنة المذكورة وقابله مع أصله.

١٩ - الدر النضيد في خصائص الحسين الشهيد عليه السلام، قال في الرياض: ولعله بعينه كتاب مقتل الحسين.

٢٠ - الدرة الثمينة، وتسمى أيضاً باليتيمة، تشتمل على اثنى عشر باباً وكل باب يشتمل على اثني عشر حديثاً في فضل الائمة عليهم السلام.

٢١ - روضة العارفين ونزهة الراغبين، وتسمى أيضاً وصية العارفين في أسماء شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، نسخة منه موجودة في خزانة الشيخ علي كاشف الغطاء بالنجف، ونسخة في خزانة الصدر، قال الطهراني في الذريعة: ذكر من الرجال ١٥٨ رجلاً آخرهم في النسخة التي رأيتها قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام، وأولهم أبان بن تغلب.

٢٢ - روضة الواعظين في أحاديث الائمة الطاهرين عليهم السلام، نسخة منه موجودة في خزانة السيد هبة الدين الشهرستاني بالكاظمية، ونسخة في خزانة سپهسالار بطهران رقم ١٨٦٦.

٢٣ - سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد مما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة في مسألة الامامة، وسماه أيضاً بكتاب شفاء الغليل من تعليل العليل " فرغ منه سنة ١١٠٠ هـ

٢٤ - سير الصحابة، وقد ألفه سنة ١٠٧٠ هـ

٢٥ - شرح ترتيب التهذيب.

٢٦ - عمدة النظر في بيان عصمة الائمة الاثني عشر ببراهين العقل والكتاب والاثر، مرتب على ثلاثة مطالب: أولها في الادلة العقلية الاثني عشر، وثانيها في الآيات القرآنية الاثني عشر، وثالثها في الاخبار النبوية والروايات الولوية الخمسة والاربعين الدالة كلها على العصمة.

ونقل في الذريعة عن الرياض: أن عمدة النظر، هي المسماة ببهجة النظر.

٢٧ - غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الامام من طريق الخاص والعام، فرغ منه سنة ١١٠٠ هـ و ١١٠٣ هـ وطبع سنة ١٢٧٢ هـ وترجمة الشيخ محمد تقي الدزفولي المتوفي سنة ١٢٩٥ هـ فرغ من الترجمة سنة ١٢٧٣ هـ وطبع سنة ١٢٧٧ هـ. ولغاية المرام حواش للميرزا نجم الدين جعفر الطهراني المتوفي سنة ١٣١٣ هـ عين فيها مواضع الاحاديث التي نقلها المؤلف عن كتب العامة، ونقل أحاديث أخرى كثيرة عن كتبهم مما فات المؤلف ذكرها، ولخص غاية المرام للآقا نجفي الاصفهاني المتوفي سنة (١٣٣٢ هـ

٢٨ - فضل الشيعة أو مناقب الشيعة، مشتمل على ١١٨ حديثاً نسخة منه موجودة في الخزانة الرضوية.

٢٩ - اللباب المستخرج من كتاب الشهاب، استخرج المؤلف الاخبار المروية في شأن أمير المؤمنين والائمة الطاهرين عليهم السلام من كتاب شهاب الاخبار في الحكم والامثال، للقاضي القضاعي سلامة بن جعفر الشافعي المتوفي سنة ٤٥٤ هـ مختصر مطبوع.

٣٠ - اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية، يشتمل على ١١٥٦ اسماً لامير المؤمنين وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٦ هـ طبع سنة (١٣٩٤ هـ

٣١ - المحجة فيما نزل في القائم الحجة عجل الله فرجه كتاب شريف لطيف يحتوي على ١٢٠ آية من القرآن، فرغ منه سنة ١٠٩٧ هـ طبع مع غاية المرام

في سنة ١٢٧٢ هـ وطبع بعضه في آخر الالفين للعلامة سنة ١٢٩٧ هـ وطبع أخيراً بتحقيق محمد منير الميلاني في بيروت.

٣٢ - مدينة المعاجز في معجزات الائمة عليهم السلام، فرغ منه سنة ١٠٩٠هـ وطبع في سنة ١٢٧١ هـ وسنة ١٢٩١ هـ وسنة ١٣٠٠ هـ

٣٣ - مصباح الانوار وأنوار الابصار في معاجز النبي المختار صلى الله عليه وآله.

٣٤ - معالم الزلفى في معارف النشأة الاولى والاخرى، قال في رياض الجنان: هو كتاب حسن حاو لفوائد جمة، وينقل فيها عن كتب غريبة ليست مذكورة في البحار.

٣٥ - مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، قال الطهراني في الذريعة: نسبه إليه وأكثر النقل عنه الشيخ أحمد بن سليمان البحراني في كتابه عقد اللئال في مناقب النبي والآل عليهم السلام، ورأيت نسخة منه بالكاظمية فرغ الكاتب منه يوم الجمعة ٢٨ ذي القعدة سنة ١١٢٠ هـ وطبع بالكاظمية سنة ١٣٧٢ هـ.

٣٦ - مولد القائم عليه السلام، قال الطهراني في الذريعة: عده في الرياض من تصانيفه التي رآها عند ولده باصبهان.

٣٧ - الميثمية، ذكره السيد محسن الامين في الاعيان في فهرس كتب السيد.

٣٨ - نزهة الابرار ومنار الافكار في خلق الجنة والنار، فيها ٢٥١ حديثاً، كتبه بعد معالم الزلفى، وطبع معه سنة ١٢٨٩ هـ.

٣٩ - نهاية الآمال فيما يتم به تقبل الاعمال، فرغ منه سنة ١٠٩٠ هـ وهو في بيان الاصول الخمسة كما قال في الرياض، وقال الطهراني في الذريعة: في بعض النسخ: اسمه نهاية الاكحال - بالحاء المهملة - وهو في الامامة فرغ منه سنة ١١٠٢ هـ نسخة منه موجودة في الرضوية، وأخرى في المكتبة التسترية.

٤٠ - نور الانوار في تفسير القرآن، مقصور على روايات أهل البيت المعصومين عليهم السلام مثل البرهان، نسخة منه عند السيد محمد علي الروضاتي من سورة الحاقة إلى الفلق.

٤١ - وفاة الزهراء عليها السلام، صرح غير واحد باسم هذا الكتاب في فهرس كتب السيد.

٤٢ - وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

٤٣ - الهادي وضياء النادي أو مصباح النادي تفسير القرآن بالاحاديث المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، فرغ من تأليفه سنة ١٠٧٦ هـ نسخة منه بخط محمد بن حرز بن سليمان البحراني مؤرخة بتاريخ سنة ١٠٨١ هـ منقولة من خط المؤلف موجودة في الرضوية، ونسخة أخرى بخط أحمد بن محمد البحراني فرغ منه سنة ١١٠٥ هـ موجودة في خزانة محمد أمين الكاظمي.

٤٤ - الهداية القرآنية في التفسير، ألفها بعد البرهان ونور الانوار واللباب و اللوامع، فإنه قد صرح بجميعها في الهداية، فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٦ هـ نسخة منه موجودة في الرضوية.

٤٥ - ينابيع المعاجز وأصول الدلائل، هو مختصر مدينة المعاجز، فرغ منه سنة ١٠٩٩ هـ[1]

[1] - نقلت هذه المؤلفات من مقدمة كتاب حلية الأبرار تحقيق مؤسسة المعارف.

مكتبته العلمية

يعد السيد هاشم ممن حفظ التراث الروائي للشيعة الإمامية من خلال مصنفاته، فمجموع مصنفاته تعد أكبر موسوعة روائية للشيعة حتى اكبر من كتاب ﴿بحار الأنوار﴾ للعلامة المجلسي قُدِّسَ سِرُّه، وفي هذا الفصل سوف نقدم ما يدلل على سعة تتبع السيد هاشم رَحِمَهُ الله من خلال كثرة المصادر التي ضمنها مؤلفاته حيث نقل عنها ذاكرين ذلك على سبيل العد لا الحصر، فمن تلك ما يلي:

﴿١﴾

الكشكول فيما جرى على آل الرسول

نسبه إلى العلامة السيد هاشم البحراني في تفسير البرهان حيث أورد رواية عن الكشكول وقال: إنه للعلامة الحلي.

وفي الامل: وكتاب الكشكول فيما جرى على آل الرسول ينسب إليه، والظاهر أنه ليس منه.

﴿٢﴾

الإمامة

وقد وثق السيد الجليل السيد هاشم البحراني هذا في مقدمة كتابه مدينة المعاجز بقوله : عند تعداد الكتب التي نقل عنها كتاب الامامة للشيخ الثقة أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الاملي ، كثير العلم ، حسن الكلام، انتهى.

وقد أكثر السيد الرواية عنه ، في المدينة وقال في المعجزة السابعة من معاجز الامام المجتبى: السابع إخراجه من الصخرة عسلاً، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب الامامة وكلما في هذا عنه فهو منه، إنتهى.

يعني أن كلما أروي في هذا الكتاب عنه فهو من كتابه هذا.

ومما يشهد من كلام السيد على كون هذا غير سابقه، روايته عن هذا عن ذاك في مواضع من جلمتها، قوله في باب معاجز العسكري عليه السلام: الثامن والثلاثون كلام الذئب: أبو جعفر محمد بن جرير، في كتابه قال: قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: رأيت الحسن بن علي عليهما السلام يكلم الذئب فكلمه، الحديث دل على رواية محمد بن جرير هذا عن محمد بن جرير السابق، وأن ذاك قد أدرك العسكري عليه السلام، ويساعده أن ذاك معاصر للطبري العامي المزبور المولود في زمان [الامام] الجواد عليه السلام والمدرك لزمان الهادي والعسكري عليهما السلام جميعاً. ومما يشهد بكون محمد بن جرير هذا غير سابقه: قول السيد في باب معاجز مولانا العسكري عليه السلام: التاسع والستون خبر صاحب العجوز، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال: نقلت هذا الخبر من أصل

بخط شيخنا أبي عبد الله الحسين بن الغضائري قال: حدثني أبو الحسن علي بن عبد الله القاشاني، الخ، فإن روايته عن خط الحسين بن الغضائري المتوفي كما مر في ترجمته سنة إحدى عشرة وأربع مأة، تكشف عن كون محمد بن جرير هذا من علماء حدود الاربعمائة من معاصري الشيخ والنجاشي ﴿رحمهما الله﴾.

ومن سبر كتاب مدينة المعاجز ظهر له أن هذا يروي عن مشايخ الشيخ والنجاشي، فلابد وأن يكون معاصراً لهما.

﴿٣﴾

دلائل الامامة

نقل عنه السيد هاشم البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ هـ.

﴿٤﴾

مسند فاطمة

نقل عنه السيد هاشم البحراني عدة أحاديث تحت هذا العنوان في المحجة فيما نزل في القائم الحجة، والاحاديث التي نقلها تتفق سنداً ومتناً مع دلائل الامامة.

وفي الذريعة للشيخ الطهراني، قال: استظهر سيدنا أبو محمد صدر الدين أنه كتاب الدلائل لابن جرير الامامي.

﴿٥﴾

عيون المعجزات

من مصادر بحار الانوار للمجلسي واعتمد عليه السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز، ولم يزل العلامة النوري في خاتمة المستدرك ج ٣ ص ٣٣٤ يهتف به ويشيد بذكره، وذكر صاحب روضات الجنات ص ٣٨١ في اثناء ترجمة الشريف علي بن أحمد بن موسى بن الامام الجواد عليه السلام صاحب كتاب الاستغاثة، وذكره شيخنا الحجة الشيخ آغا بزرك في كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة، واثنى عليه كثيراً ملا عبد الله تلميذ شيخنا المجلسي في رياض العلماء، فقال: كان الشيخ حسين بن عبد الوهاب من علمائنا الاجلاء بصيرا بالاخبار ناقداً للاحاديث، فقيهاً، شاعراً مجيداً، له كتب منها الهداية الى الحق، وكتاب البيان في وجوه الحق في الامامة، وكتاب عيون المعجزات، وكان السبب في تأليف العيون انه وجد كتاب بصائر الدرجات في تنزيه النبوات، قد احتوى على احاديث كثيرة في الفضائل فعزم على اختصاره ليسهل تناوله على قاريه وحيث انه خاص في الانبياء اراد ان يلحق به معاجز النبي واهل بيته المعصومين عليهم السلام فوجد كتاباً الفه الشريف أبو القاسم صاحب الاستغاثة سماه تثبيت المعجزات، وذكر في صدره انه عازم على جمع معاجز الانبياء ثم يتبعها بمعاجز الأئمة المعصومين من آل الرسول صلى الله عليه وآله، ولكنه لم يجد في آخره ما وعد به من معاجزهم عليهم السلامعليهم السلام شرع في تأليف يضم

معاجزهم ودلائل امامتهم يكون تتمة لكتاب تثبيت المعجزات، وسماه عيون المعجزات.

﴿٦﴾

سير الصحابة

نقل عنه السيد هاشم البحراني قُدِّسَ سِرُّهُ في كتاب مدينة المعاجز.

﴿٧﴾

تفسير الثعلبي

السيد هاشم البحراني في كتاب غاية المرام.

﴿٨﴾

الامالي

لابي المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن البهلول بن همام بن المطلب الشيباني المولود سنة ٢٩٧ هـ والمتوفى سنة ٣٨٧ هـ عن تسعين سنة كما أرخه الخطيب في تاريخ بغداد، ويروي السيد علي ابن طاوس عن الجزء الثالث من أمالي أبي المفضل الشيباني في الاقبال دعاء وقت رؤية الهلال في شهر رمضان، وينقل عنه السيد هاشم البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ هـ في مدينة المعاجز، والظاهر وجوده عنده، ومر أمالي الشيباني الذي ينقل عنه

الكفعمي، وهو ممن أدركه النجاشي المولود سنة ٣٧٢ وسمع منه كثيراً لكنه كان سماعه منه قبل كماله بل كان في حدود الاربعة عشر أو الخمسة عشر من عمره، ولذا كان يتوقف عن الرواية عنه بلا واسطة لشدة احتياطه واحتماله أن لا يكون سماعه واجداً للشرائط، وإنما يروي عنه بالواسطة كما ذكره في ترجمته لا أن يكون توقفه في الرواية عنه لضعف فيه كما تخيل البعض، بل لم يثبت تضعيفه عند النجاشي كما يظهر منه بل مدحه بانه سافر في طلب الحديث عمره، فأي ثناء أعظم من أن يكون رجل خادماً للعلم والحديث في تسعين سنة، ومتحملاً لمشاق السفر قد أدرك مشايخ كثيرين حتى كتبوا في تراجم مشايخه كتاباً مستقلاً، وهو كتاب معجم رجال أبي المفضل تأليف أبي الفرج القناني، كما يأتي، وكثير من أسانيد الصحيفة الكاملة ينتهي إليه، ومراد الشيخ الطوسي في كثير من مواضع فهرسه بالاسناد الاول أو بهذا الاسناد هو روايته عن عدة من مشايخه عن أبي المفضل الشيباني.[1]

---

[1] -الذريعة ٣٣٥/٢.

﴿٩﴾

الإمامة

للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه المتوفى سنة ٣٨١ هـ ذكره السيد هاشم البحراني في أول مدينة المعاجز، وهو مذكور في النجاشي والفهرست، نعم في النجاشي كتاب الانابة فلعله تصحيف.[١]

﴿١٠﴾

الإمامة

لأبي يوسف يعقوب بن نعيم بن قاقارة الكاتب من أصحاب الرضا عليه السلام كما ذكره المولى عناية الله القهپاني، نقلاً عن النجاشي في كتابه مجمع الرجال وكذا في نقد الرجال، وكذا السيد هاشم البحراني في أول مدينة المعاجز، ولكن في بعض نسخ النجاشي لم توجد هذه الترجمة رأساً، وفي بعضها لم يذكر كتاب الامامة.[٢]

---

[١] - الذريعة ٢/٣٣٥.

[٢] - الذريعة ٢/٣٣٩.

﴿١١﴾

تفسير أسماء النبي صلى الله عليه وآله

لامام اللغة ابى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي صاحب مجمل اللغة ومقاييس اللغة، وغيرهما، توفى بالري في ٣٩٠ هـ كما ذكره ابن خلكان ص ٣٦ - ج ١، أو ٣٩٥ كما في صفحة ١٥٣ من البغية نقلاً عن الذهبي، ومر له الانتصار لثعلب، وترجمه الشيخ في الفهرس، وعده السيد هاشم البحراني من المستبصرين، ومن هذا الباب اسماء رسول الله صلى الله عليه وآله.[١]

﴿١٢﴾

حجج الائمة

للشيخ الصدوق أبى جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفي ١٣٨١ هـ ذكره السيد هاشم البحراني في أول مدينة المعاجز.[٢]

---

[١] - الذريعة ٣٤٧/٤.

[٢] - الذريعة ٢٦٣/٦

﴿١٣﴾

حياة القلوب

لقطب الدين محمد بن الشيخ على الاشكوري اللاهجي، ذكر صاحب الرياض أنه نقل عن هذا الكتاب السيد هاشم البحراني في كتاب روضة العارفين.

اقول: يحتمل وقوع تصحيف في أحد الكتابين وكون المراد محبوب القلوب.[١]

﴿١٤﴾

درر المطالب وغرر المناقب في فضائل على بن ابي طالب

للسيد ولي الله ابن نعمة الله الحسينى الرضوي الحائري ، ينقل عنه السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز.[٢]

[١] - الذريعة ١٢٢/٧.

[٢] - الذريعة ١٣٥/٨.

﴿١٥﴾

الفوائد

لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني م ٤٣، نسبه إليه السيد هاشم البحراني في غاية المرام، ومر له في هذا الجزء الفتن.[1]

﴿١٦﴾

مجمل اللغة

لإمام العربية واللغة ابن فارس اللغوي، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني الرازي المتوفى بالمحمدية ٣٧٥ هـ وقيل: تسعين والاول أقرب.

قال الصدوق في إكمال الدين: سمعت شيخاً من أصحاب الحديث يقال له أحمد بن فارس الاديب الذي تشيع أواخر أمره، ترجمه الشيخ في الفهرست، وذكره السيد هاشم البحراني في كتابه في تعداد المستبصرين، وهو صاحب حديث من رأى الحجة المذكور في البحار.[2]

---

[1] - الذريعة ٣١٩/١٦.

[2] - الذريعة ٥١/٢٠.

﴿١٧﴾

نخب المناقب لآل أبي طالب منتخب من مناقب آل أبي طالب

تصنيف محمد بن علي بن شهر آشوب (ذ ٢٢ : ٣١٨) والناخب هو أبو عبد الله الحسين بن جبير تلميذ نجيب الدين علي بن فرج الذي كان تلميذ ابن شهر آشوب المؤلف، ذكرتهما في (الانوار - ص ٤٧ و ١٠٨) وابن جبير هذا هو جد علي بن يوسف المعروف بسبط ابن جبير، ومؤلف نهج الايمان الآتي والذي ينقل في عدة فصول منه عن كتاب جده نخب المناقب هذا مصرحاً بأن مؤلفه جده، وذكر في فصل ٢٦ في تلقب علي عليه السلام بأمرة المؤمنين ملخصاً لما ذكره جده في خطبة نخب المناقب من سبب انتخابه من كتاب المناقب لابن شهر آشوب بعد روايته عن المؤلف بواسطة أستاده ابن فرج الراوي عن مؤلفه ابن شهر آشوب.

أول النخب: الحمد لله الذي خلق الارواح بقدرته وسخر الرياح مبشراً بين يدي رحمته، عز بلا نصير، وجل عن مثل ونظير، وبعد فاعلموا رحمكم الله أني لما نظرت إلى الكتاب الذي صنفه الشيخ الفقيه العالم عز الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني السروى الذي رسمه بمناقب آل أبي طالب رأيت أنه قد جمع فيه ما لا يوجد في كتاب واحد جمعه من الكتب المتباعدة من كتب الخاصة والعامة ما يأتي ذكره، وكان الشيخ الفقيه نجيب الدين أبو الحسين علي بن فرج قرأ على الشيخ هذا الكتاب وغيره من الكتب وأجاز له أن يروى عنه جميع مصنفاته، وكتب له بذلك إجازة.

وقرأت من بعد على المشار إليه بالاجازة والرواية عدة كتب وسألته الاجازة فكتب لي إجازة جامعة تشتمل على جميع ما قرأه هذا الشيخ على مشايخه، فلما علمت أن لي صلة برواية الكتاب تنبهت وفكرت في كثرة ما جمع فيه وأنه ربما يؤدي عظم حجمه إلى العجز عن نقله بل ربما أدى إلى ترك النظر فيه فرأيت أن أختصر الكتاب وأنتزع منه ما تثبت به الحجة وسميته نخب المناقب.

توجد نسخة منه عند الشيخ حسين القديحى بن المؤلف لانوار البدرين كتب خصوصياتها إلينا، وفي آخره: تم نخب المناقب لآل أبي طالب مجملاً ومفصلاً ظهر الاربعاء ١٠ رمضان ٩٤٨ على يد ناصر بن سليمان الفقيه ثم قد اتفق الفراغ من المقابلة أول الاسبوع الثالث من الشهر الثامن من السنة الثامنة من العشر السابع من المائة الحادية عشر من الهجرة، وأنا الراجي إلى شفاعته ابن محمد صادق محمد الخطيب، أي شعبان ١٠٦٨ هـ

هذا وقد سمى الناخب في كشف الحجب والاستار بالحسين بن خير، وسماه الملا سعيد المرندي في تحفة الاخوان بالحسين بن الحسين، وهذا كله تصحيف، ويأتي في نهج الايمان توهم البعض من اتحاد مؤلفه مع مؤلف نخب المناقب ومر في المناقب توهم أن الموجود منه هو النخب دون أصله، وقد ظهر أنهما موجودان اليوم.

ومر في (٦: ٢٦٥) قول صاحب الحجج القوية أن مؤلف نخب المناقب كان عنده ألف كتاب من الاصول ذكر بعضها هناك، هذا وينقل السيد هاشم البحراني عن النخب في كتابه غاية المرام.[1]

﴿١٨﴾

نزل السائرين

ينقل عنه السيد هاشم البحراني في مناقب أمير المؤمنين، وأظنه منازل السائرين، (ذ ٢٢ : ٢٤٦).[2]

﴿١٩﴾

نصوص الائمة

للصدوق ابن بابويه محمد بن علي القمي م ٣٨١ ينقل عنه في البحار وينقل عنه السيد هاشم البحراني في الانصاف، وجعل رمزه نص وتوجه نسخة في المكتبة الاهلية بپاريس ذكر في فهرسها بعنوان النصوص على الائمة، فلعله هذا، وقطعة من آخر النصوص موجودة عند السيد ابى القاسم المحرر

---

[1] - الذريعة ٢٤/٨٨

[2] - الذريعة ٢٤/١٠٦.

الاصفهانى بالنجف بخط المولى حسين بن علي الخيرى من أعمال فارس، كتبه في شعبان ٩٦٥ هـ[1]

﴿٢٠﴾

النكت والاغراض في الامامة

لمنبه بن عبيد الله أبى الجوز التميمي، ذكره السيد هاشم البحراني في أول مدينة المعاجز.[2]

﴿٢١﴾

وسيلة المتعبدين

نقل عنه الملا علي رضا تجلى م ١٠٨٥ ٩ : ١٦٧ في سفينة النجاة ١٢:٢٠١ - ٢٠٢ حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله: إن عليا أخي ووزيرى، وأن الله لا يقبل الفريضة إلاّ بحب علي بن أبي طالب عليه السلام، وينقل عنه أيضاً في در بحر المناقب ٨: ٦٢ رواية أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله: أن الملائكة صلت عليّ وعلى علي سبع سنين من قبل أن يسلم بشر.

---

[1] - الذريعة ١٧٩/٢٤.

[2] - الذريعة ٣٠٧/٢٤.

وينقل عنه السيد هاشم البحراني في كتابه مناقب أمير المؤمنين بعنوان أن مؤلفه من العامة.[1]

[1] - الذريعة ٨٣/٢٥

مؤلفاته الخطية

للسيد هاشم قدس سره مجموعة كبيرة من المؤلفات الخطية، وسوف نـذكر مجموعة من تلك المخطوطات، فإليك نماذج منها:

﴿١﴾

أسماء من روى النص على الأئمة الأثنى عشر عن النبي والأئمة من صحابي أو تابعي عن صحابي وراو مشهور

عدد أوراقه: ٤ ورقات.

المساحة ٢٣،٥ /١٣سم.

مكان وجوده: مكتبة الشيخ محمد صالح العريبي البحراني رحمه الله.

أوله: البسملة، وبها أعتصم وعليه أتوكل، الحمد لله رب العالمين ....

آخره: وفي باب فاطمة عليها السلام من نـص أيـضاً، والحمـد لله رب العـالمين، وصلى الله على محمد وآله.

وصفه: حسن الخط، رتبت الأحاديث الواردة حسب حروف المعجم.[١]

---

[١] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكبـاس البحراني ١٩/١.

﴿٢﴾

الإنصاف في النص على الأئمة الأشراف

عدد أوراقه: ٤٤ ورقة.

مساحته: ٢٣،٥ /١٣،٥ سم.

مكان وجوده: ١ - مكتبة السيد المرعي النجفي في قم رقم ٢١١٩.

٢ – مكتبة الشيخ محمد صالح العريبي البحراني الخاصة.

٣ – مكتبة مدرسة الآخوند في همدان رقم ١١١٤ – ١١٢٠.

أولـه: الحمـد لله ناصـب الأئمـة الأثنـى عـشر اعلامـاً للـدين وأوجـب طاعتهم.....

آخره: والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله االطاهرين.

وصفه: حسن الخط، أورد فيه ثلاثمائة روايـة أو أزيـد فـي الـنص علـى أئمة أهل البيت عليهم السلام من طرق العامة والخاصة.[١]

---

[١] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيـسى آل مكبـاس البحراني ٢٣/١.

﴿٣﴾

بهجة النظر

عدد اوراقه: ٥٤ ورقة.

مساحته: ١٥،٥ / ١٠سم.

مكان وجوده: ١ – مكتبة الامام الرضا (استان قدس رضوي) رقم ٤٠٩ و ٦٧٤٨.

٢ – مكتبة الشيخ محمد صالح العريبي البحراني الخاصة.

تاريخ التأليف: ١١ جمادى الأولى سنة ١٠٩٩ هـ

الناسخ: محمد بن يوسف بن أحمد بن صالح البخيل الجمري، سنة ١١١١ هـ.

أولـه: الحمـد لله ال ذي جعـل الأئمـة الأثنـى عـشر أوصياءالرسـول وأخصهم بالإمامة بعد النبي ﷺ...........

آخره: ولكن هذا القدرالذي قرب عهده من زماننا كاف، انتهى كلام علي بن عيسى.

وصفه: ذكر فيه الإثبات على ولايةالأئمـة الأثنـى عـشر مـن النـصوص المتكاثرة.[1]

---

[1] – فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٢٨/١.

﴿٤﴾

تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي عليه السلام

عدد أوراقه: ٢١ ورقة.

مكان وجوده: ١ – مدرسة الآخوند في همدان رقم ١١١٤ – ١١٢٠.

٢ – مكتبة السيد المرعشي النجفي في قم رقم ١١١٥.

أوله: الحمد لله الذي لا يخلي الأرض من حجة لئلا يكون للناس على الله حجة ....

وصفه: ذكر فيه من رأى الإمام المهدي وما يتعلق به عليه السلام وقد طبع هذا الكتاب بحمد الله ومنّه.[1]

﴿٥﴾

التحفة البهية في إثبات الوصية

عدد أوراقه: ١٨٤ ورقة.

مساحته: ١٣/٢٣سم.

مكان وجوده: ١ – استان قدس رضوي رقم ٤١٢ – ١٩٣٦.

٢ – مكتبة الشيخ محمد صالح العريبي البحراني قدس سره الخاصة.

---

[1] – فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٢٩/١

أوله: الحمد لله العلي العظيم الولي الكريم الرؤوف الرحيم باعث الأبياء وناصب الأئمة ....

آخره: وروايات هؤلاء مذكورة في معاجز القائم من أرادها وقف عليها من كتاب مدينة المعاجز.

وصفه: حسن الخط، ناقص الأخير، ذكر فيه الأدلة على اثبات الوصية بعد الرسول ﷺ من طرق الخاصة والعامة، وذكر ذلك في عدة أركان:

الأول: ان الامام علي عليه السلام هو الامام بعد الرسول ﷺ وذلك بنص روايات الخاصة والعامة.

الثاني: ما جاء من طرق الخاصة ان الامام علي عليه السلام الليفة وبنوه الأحد عشر بعد رسول الله ﷺ.

الثالث: ما جاء من طرق العامة ان الامام علي الخليفة وبنوه الأحد عشر بعد رسول الله ﷺ.

الرابع: في الثقلين ووجوب التمسك بهما.[1]

---

[1] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٣١/١.

﴿٦﴾

ترتيب مشيخة من لا يحضره الفقيه

عدد أوراقه: ٨ ورقات.

الناسخ: سليمان بن محمود البحراني.

مكان وجوده: مكتبة المرعشي النجفي رقم ٥٠٤٠.

أوله: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.....

وصفه: ١ – رتب الكتاب حسب حروف المعجم.

٢ – ذكر فصلاً في الذين اشتهروا بكناهم.

٣ – فصل في جماعة قال النجاشي انهم ثقاة.

٤ – فصل في الذين ذكرهم النجاشي بقوله ثقة ثقة.

٥ – في ذكر جماعة ضبطت اسماؤهم بالعدد.

٦ – فصل فيمن قيل انه ثقة.

٧ – فصل في اجماع العصابة على ثمانية عشر رجلاً.[1]

---

[1] – فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٣٤/١.

﴿٧﴾

تنبيهات الأريب في شرح رجال التهذيب

عدد أوراقه: ١٥٨ ورقة.

مساحته: ١٢/٢١سم.

مكان وجوده: مكتبة الامام الرضا عليه السلام رقم ١٣٤١.

أوله: البسملة، باب وجوب الحج، قوله: محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا.........

آخره: تم بعون الله كتاب المزار ويتلوه كتاب الجهاد.

وصفه: شرح فيه الرجال الواردة أسمائهم في كتاب التهذيب للشيخ الطوسي شرحاً وافياً، ابتدأه بكتاب الحج وأنهاه بكتاب الجهاد.[١]

﴿٨﴾

تنبيهات الأريب في شرح رجال التهذيب

عدد أوراقه: ٣٣١ ورقة.

مساحته: ١٣/٢١سم.

مكان وجوده: مكتبة الامام الرضا عليه السلام رقم ٧٥٢٤.

الناسخ: محمد حسن بن حبيب الله التويسركاني، شعبان سنة ١٣٤١ هـ

---

[١] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٣٦/١.

أوله: البسملة، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد.

آخره: أبواب الاربع من كتاب الخصال، الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة.

وصفه: ابتدأه بكتاب الجهاد وذكر فضله.[١]

﴿٩﴾

تنبيهات الأريب في شرح رجال التهذيب

عدد أوراقه: ٤٠٩ ورقة.

مساحته: ١٣/٢١.

مكان وجوده: مكتبة الامام الرضا عليه السلام رقم ٧٥٢٢.

أوله: الحمد لله رب العالمين الهادي من يشاء الى صراط مستقيم.....

آخره: أقول: قد تكلمنا على هذا السند في باب كمية زكاة الفطرة من كتاب الزكاة.[٢]

---

[١] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٣٧/١.

[٢] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٣٨/١.

﴿١٠﴾

تنبيهات الأريب في شرح رجال التهذيب

عدد أوراقه: ١٨٢ ورقة.

مساحته: ٢١/٥،١٥سم.

مكان وجوده: مكتبة الامام الرضا عليه السلام رقم ١٣١٥١.

أوله: الحسين بن سعيد عن حماد عن ابن اذينة وحريز عن زرارة......

آخره: أحمد بن محمد بن علي.

وصفه: بتدأه بكتاب الطهارة.[١]

﴿١١﴾

حلية الأبرار

عدد أوراقه: ٢٩٦ ورقة.

مكان وجوده: مكتبة المرعشي النجفي رقم ٤٢١، جامعة طهران رقم ٥٨٠، مكتبة الامام الرضا رقم ٨٦٦١، مكتبة المدرسة الفيضية رقم ١٥٦، مدرسة الآخوند في همدان رقم ٨٨٢

أوله: الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى أما بعد اني لما نظرت في كتب الحديث مما عثرت عليه من القديم والحديث........

---

[١] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٣٨/١.

وصفه: تضمن الكتاب اثنا عشر منهاجاً:

١ – في نبينا محمد صلى الله عليه وآله.

٢ – في أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ – في الحسن عليه السلام.

٤ – في الحسين عليه السلام.

٥ – في علي بن الحسين عليه السلام.

٦ – في الباقر عليه السلام

٧ – في الصادق عليه السلام

٨ – في الكاظم عليه السلام.

٩ – في الرضا عليه السلام.

١٠ – في الجواد عليه السلام.

١١ – في العسكريين عليهما السلام.

١٢ – في المنتظر عليه السلام.[١]

---

[١] – فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٤١/١.

﴿١٢﴾

عمدة النظر في بيان عصمة الأئمة الاثنى عشر

عدد أوراقه: ٢٧ ورقة.

مساحته: ١٣/٢٣،٥سم.

تاريخ النسخ: ٢٢ جمادى سنة ١١٠٢هـ

مكان وجوده: ١ - مكتبة الشيخ محمد صالح العريبي البحراني قُدِّسَ سِرُّهُ.

٢ - مدرسة الآخوند في همدان رقم ١١١٤ — ١١٢٠.

أوله: الحمد لله الذي من اعتصم به فقد هدي الى صراط مستقيم.....

آخره: الرابع والاربعون تقدمت في الخطبة في أول الكتاب.

وصفه: حسن الخط، قوبل على نسخة المصنف الاصل.[١]

﴿١٣﴾

غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الامام من طريق الخاص والعام

عدد أوراقه: ٣٦٧ ورقة.

مكان وجوده: مكتبة المرعشي النجفي رقم ١١١٥.

---

[١] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ٨٨/١

أوله: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.......

وصفه: ذكر فصول الكتاب في مقصدين هما:

١ – في تعيين الامام والنص عليه وما يتصل بذلك.

٢ – في وصف الامام بالنص وفضائله وما يتصل بذلك من فضائل أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ومحبيهم.[1]

﴿١٤﴾

كشف المهم في خبر غدير خم

مكان وجوده: مكتبة الامام الرضا رقم ٦٧٤٩.

أوله: الحمد لله الملك الحق المبين باعث الانبياء والمرسلين......

آخره: كتبه الفقير الى ربه الديان علي بن سليمان البحراني عفى الله عنهما.

وصفه: قسم المصنف الكتاب الى ثلاثة أبواب:

١ – فيما جاء من طريق العامة حول نص الغدير ويحوي ٣٦ حديثاً.

٢ – ما جاء من طريق الخاصة ويحوي ٨٨ حديثاً.

---

[1] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ١/٩٠.

٣ – في نص النبي صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام.[١]

﴿١٥﴾

المحجة فيما نزل في القائم الحجة

عدد أوراقه: ١٨ ورقة.

مكان وجوده: مكتبة المرعشي النجفي رقم ١١١٥.

أوله: الحمد لله القائم الدائم الذي هو بكل شيء عليم.......

وصفه: ذكر بعض الآيات القرآنية النازلة في الحجة القائم عليه السلام وتأييدها بالآيات المفسرة لها.[٢]

﴿١٦﴾

الهداية القرآية الى الولاية الامامية

مكان وجوده: مكتبة الامام الرضا عليه السلام.

أوله: البسملة، الحمد لله رب العالمين القائل هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً.

---

[١] – فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ١٠٣/١.

[٢] – فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ١١٤/١.

آخره: فلذلك صوم الدهر فقال أليس زعمت أنك تحيي الليل فقال.

وصفه: عبارة عن ترتيب ما جاء في علي بن أبي طالب عليه السلام من آيات الكتاب المجيد، وتفسير الآيات حسب ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام، وذكر ما رواه ابن عباس وما جاء من طريق العامة، وما ذكره علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، مقطوع الآخر.[1]

[1] - فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار، الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني ١٤٤/١.

إجازاته الروائية

له عدة إجازات روائية لجمع من العلماء والفضلاء، فمنهم:

﴿١﴾

الشيخ حسن بن الندي البحراني

عالم جليل تقي، قرأ على العلامة المجلسي كثيراً من العلوم الشرعية من التفسير والحديث، ومما قرأ عليه كتاب ﴿الكافي﴾ فأجازه في آخره في شهر جمادى الثانية سنة ١٠٩٧.

وقرأ ﴿الكافي﴾ أيضاً على السيد هاشم البحراني، فكتب له اجازة فيه.

أما إجازة العلامة المجلسي الى االشيخ حسن الندي البحراني فهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد: فقد قرأ عليّ وسمع مني الشيخ العالم العامل، البارع، الورع التقي، الذكي الالمعي، الشيخ حسن بن الندي البحراني، وفقه الله تعالى للعروج على أعلى مدارج المعالي كثيراً من العلوم الشرعية من التفسير والحديث، وأطال التردد لديّ والاختلاف اليّ.

ثم استجازني دام تأييده فأستخرت الله سبحانه، وأجزت له أن يروي عني كل ما صحت لي روايته، وجازت لي اجازته من فنون العلوم العقلية والنقلية من الاصولين، والتفسير والحديث، والفقه والدعاء، واللغة والصرف، والنحو والتجويد، والمعاني والبيان، وغيرها مما دخل في اجازات أصحابنا،

لاسيما الكتب الأربعة في الحديث لأبي جعفرين المحمدين الثلاثة ﴿رضوان الله عليهم﴾ الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار، فإن عليها المدار في تلك الاعصار، وطرقي إليها كثيرة متشعبة من جهات شتى، فأوثقها وأعلاها ما أخبرني به عدة من الافاضل الكرام، وجم غفير من العلماء الاعلام، منهم والدي العلامة ﴿قدس الله أرواحهم﴾ قراءة وسماعا واجازة ، بحق روايتهم عن شيخهم الاجل بهاء الملة والدين محمد العاملي، عن والده الفقيه النبيه الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي ﴿نور الله ضريحهما﴾ بحق روايته عن الشيخ الافخم الاعظم، أفضل الفقهاء المتأخرين، زين الملة والدين الشهير بالشهيد الثاني ﴿رفع الله درجته﴾ الى آخر أسانيده المشهورة المذكورة في اجازته للشيخ المتقدم، وقد ذكر بعضها الشيخ البهائي ﴿روح الله روحه﴾ في شرح الأربعين في الحديث.

وأجزت له أيضاً أن يروي جميع مؤلفات والدي ﴿برد الله مضجعه﴾ وكل ما أفرغته في قالب التصنيف، ونظمته في سلك التأليف، لا سيما كتاب ﴿بحار الانوار﴾ المشتمل على جل أخبار أهل البيت عليهم السلام وشرحها وبيانها.

وأوصيه بما أوصيت به من ملازمة التقوى ورعاية الاحتياط التام في النقل والفتوى، فان المفتي على شفير جهنم.

وألتمس منه أن لا ينساني في حياتي وبعد وفاتي، لا سيما في أعقاب الصلوات، وزمان اجابة الدعوات.

وكتب بيمناه الوازرة الداثرة، أفقر العباد الى عفو ربه الغني محمد باقر بن محمد تقي ﴿عفى الله عن جرائمهما﴾ في شهر جمادى الثانية سنة ١٠٩٧ الهجرية، حامداً مصلياً مسلماً.

كتب في آخر نسخة من ﴿الكافي﴾ هي بخط المجاز كما في كتابات العلامة المحقق السيد عبد العزيز الطباطبائي.[١]

﴿٢﴾

الشيخ هيكل بن عبد علي الأسدي الجزائري على كتاب الإستبصار

أجزت للشيخ الفاضل العالم، الكامل البهي الوفي، الشيخ هيكل بن المقدس عبد علي الأسدي الجزائري، أن يروي عني ما أرويه عن مشائخنا من معقول ومنقولسيما الكتب الأربعة الذي عليها المدار في هذه الأعصار، أعني الكافي تصنيف الشيخ ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، والتهذيب للشيخ شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، والإستبصار له أيضاً، والفقيه تصنيف رئيس المحدثين أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، فهذه الكتب أرويها عن عدة من أصحابنا منهم: السيد الأجل الفاضل الكامل السيد عبد العظيم بن السيد عباس بالإجازة فيالمشهد الشريف الرضوي، عن الشيخ المتبحر، مرجع الخاص والعام، الشيخ محمد

---

[١] - إجازات الحديث، العلامة المجلسي/٣٥.

الشهير ببهاء الدين، عن والده الشيخ حسين ب عبد الصمد، عن الشيخ خاتمة المجتهدين الشيخ زين الدين، عن الشيخ العالم العامل الشيخ علي بن عبد العالي الميسي، عن الشيخ محمد بن المؤذن، عن الشيخ الفاضل ضياء الدين علي، عن والده الشيخ الأجل جامع بين رتبة الشهادة والعلوم محمد بن مكي، عن الشيخ الفاضل الكامل فخر المحققين، عن والده آية الله تعالى في العالمين جمال الملة والحق والدين الحسن بن يوسف، عن الشيخ المحق الشيخ جعفر بن الحسن بن علي بن سعيد، عن السيد الأجل السيد فخار بن معد الموسوي، عن السيد الجليل شاذان بن جبرئيل، عن أبي جعفر محمد بن الطبري، عن الشيخ الفاضل أبي علي بن شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، عن الشيخ الأوحد الشيخ محمد بن محمد النعمان المفيد، عن الشيخ رئيس المحدثين محمد بن علي بن بابويه، وعن الشيخ المفيد، عن الشيخ أبي القاسم محمد بن جعفر بن قولويه، عن الشيخ ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب، بأسانيدهم المتصلة بأصحاب العصم ﴿صلوات الله عليهم﴾، فأجزت أن يروي عني ذلك بهذه الطرق.

وكتبه الأقل هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني البحراني، والحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، تحرير باليوم التاسع من شهر ربيع الأول من سنة المائة والألف.[١]

---

[١] - إجازات علماء البحرين، موسوعة في التراجم والتأريخ والأدب، تأليف الشيخ محمد عيسى آل مكباس البحراني/٢٤٧.

وفاته ومدفنه

وأما وفاته فكانت سنة (١١٠٧) أو (١١٠٩) من الهجرة في قرية نعيم، ونقل جثمانه الشريف إلى قرية توبلي ودفن بها وقبره اليوم مزار معظم معروف.

قال الشيخ حسين البارباري في إجازته للشيخ حسين الحوري: مات قدس سره في السنة التاسعة والمائة والألف، ودفن في مقبرة ماثين، مسجد من المساجد المشهورة، بالجانب [الجنوبي]، وكان موته بعد وفاة الشيخ محمد بن ماجد المتقدم ذكره بأربع سنين.

حول الكتاب

نسبته إلى مؤلفه

مما لا شك ولا ريب فيه بأن كتاب سلاسل الحديد من مؤلفات السيد هاشم التوبلاني قُدِّسَ سِرُّه كما صرح به نفسه في أول الكتاب، وكذلك ما ذكره عنه صاحب التراجم، ونحن نذكر ما ذكره أولاً ثم نتبعه بما قاله أصحاب التراجم، لتتضح جلية المسألة.

قال السيد في أول كتابه سلاسل الحديد: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، المنور بمعرفته قلوب العارفين، ولا إله إلاّ هو الملك الحق المبين، الدال على وجوده بجوده إيجاد المخلوقين، وإنشاء المصنوعين، باعث الرسل مبشرين ومنذرين، وناصب الأئمة الاثنى عشر حججاً على الناس وأعلاماً للدين، ومناراً للحق المستبين، وجاعلهم العروة الوثقى والحبل المتين، فمن والاهم نجا وفاز، ومن أنكرهم فهو من الهالكين، والصلاة والسلام على أفضل الأولين والآخرين، محمد وآله المعصومين الذين جعلهم الله تعالى من الرجس مطهرين.

أما بعد:

فلا يخفى على أهل الإيمان والإسلام فضل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الظاهر برهانه بين الخاص والعام، والشائع دلائله عند ذوي الألباب والأفهام، واللائح مناره للناظرين كالأعلام، والشمس المضيئة بين الأنام.

هذا وقد خطر ببالي، وسنح بفكرتي وخيالي بعدما لاحظت من كتب الخاصة والعامة، رأيت أن كلا الفريقين المتباينين، وكلتا الفئتين المتباغضتين تروي النص عن رسول الله ﷺ على تفضيل أهل البيت على سائر الأمة وعلى سائر الخلق بأحاديث مسندة، وأخبار معتمدة، وآثار صحيحة مفيدة، وأن رسول الله ﷺ نص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبنيه الأحد عشر بأنهم الأئمة الأثنى عشر بعد رسول الله ﷺ، أولهم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وآخرهم المهدي عليه السلام بنصوص كثيرة، وآثار منيرة مسطورة في كتب الخاصة والعامة، فصرت بعد ذلك أجوز الفكر والنظر بأن أعمل في ذلك كتاباً مما فيه عبرة للبشر، ولو بكتاب مختصر، والكتب في ذلك كثيرة لا طاقة لي بجمع ما فيها، ولا أحصي ما وعتها من النصوص عليهم في كتب الفريقين، كأنها عقود انفصمت فتناثر لآلؤها ، فنظرت في نفسي وجلت في ذلك فكري، فقلت إن الميسور لا يسقط بالمعسور، فسرّحت نظري في بعض كتب العامة، وهو ﴿شرح نهج البلاغة﴾ الذي صنفه عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسين هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني الحكيم الاصولي، وهو من أعيان علماء المعتزلة كما ستسمعه عن قريب في تصريحه بمذهبه في مقدمة الشرح، وقد انطوى على أن الإمام والخليفة والوصي أمير المؤمنين عليه السلام وأنه منه بمنزلة هارون من موسى، ووزيره، وغير ذلك من النصوص الموجبة للإمامة والخلافة، ووجوب التمسك بالثقلين كتاب الله وعترة الرسول بالنص من رسول الله ﷺ كما فصل في الأبواب الآتية، وهو

عين مذهب الإمامية من أن الإمامة والخلافة لعلي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، ووجوب التمسك بالثقلين، وانطوى هذا الشرح أيضاً على فضل شيعة أهل البيت عليهم السلام، وذكر ابن أبي الحديد في هذا الشرح من المطاعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، من المطاعن الموجبة للكفر، وبالبراءة منهم، والخروج عن ملة الإسلام، فأقتصرت مما ذكرت العامة في ذلك في ساداتنا وائمتنا، وما ذكرته العامة في ساداتهم وائمتهم، فنحن راضون بما ذكرته العامة في ائمتنا من الفضل الكبير، وما ذكروه في ائمتهم من الخزي العظيم، مما ذكره ابن أبي الحديد في هذا الشرح، إذ لا يتهم في ذلك، بل هو حجة لنا عليه وعلى كل من قال بمقالته.

وإني أجمع في كل باب من أبواب هذا الكتاب ما هو متفرق في أجزاء هذا الشرح، وأجعله في باب واحد ملتقط منه، وقد صنفت في إمامة علي عليه السلام وبنيه الأحد عشر وهم الأئمة الإثنا عشر من نص رسول الله عليهم كتباً، سيأتي ذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله من طرق العامة والخاصة.

عماد الدولة الخاقانية، والوزارة العظمى السليمانية، ذا الطلعة البهية، والكمالات النفسية، والروح القدسية، والرياسة الابدية، والخصال المرضية، والطباع الزكية، والصفات العلية، والشجاعة الحيدرية، والكرامات الحاتمية، ذا العقل الثاقب، والفكر الصائب، والفهم اللازب، غياث المسلمين، وملجأ المؤمنين، ومعين الوافدين، وملاذ القاصدين، الشهير بالإحسان والإفضال والإمنان، إنسان الإنسان، وعين الأعيان، والفائز على الأقران في الزمان، كهف

اللايذين في الأوان، حسين علي خان بن المقدس الحميد الشيخ علي خان، أمده الله سبحانه وتعالى بالعمر السعيد، والعيش الرغيد، ولا زال ملحوظاً بعين المليك العلام، و لا برح منصوراً بالملك القدوس السلام، ومؤيداً بالملائكة الكرام، بحق محمد وآله خيرة الله سبحانه من الأنام، والحجج على الخاص والعام.

[وأنا فقير] الله الغني عبده هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبدالجواد الحسيني البحراني قد استخرجت من هذا الشرح كتابين، الأول في أمير المؤمنين وبنيه الأئمة وفاطمة عليهم السلام وسميته بـ﴿**سلاسل الحديد في تقييد اهل التقليد**﴾.

وقال في مقدمة الكتاب أيضاً بعد ان تكلم عن حياة المصنف وحياة الشريف الرضي قدس سره ونسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: وسميت الكتاب بـ﴿ **سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد مما ذكره ابن أبي الحديد**﴾، ولك أن تسميه بـ﴿**شفاء الغليل من تعليل العليل**﴾.

وقال رحمه الله **في مقدمة كتابه المطاعن**: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الرزاق، ذي القوة المتين، ولا إله إلاّ هو الملك الحق المبين، والشكر له مرسل مرسلين مبشّرين ومنذرين، وناصب الأئمّة الأوصياء أعلاماً للدين، القائل ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

والصلاة والسلام على محمد وآله أشرف الأولين والآخرين، وأهل بيته الذين جعلهم من الرجس مطهّرين.

أمّا بعد فيقول: فقير الله الغني عبده هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني البحراني كثيراً ما سرحت نظري، وأطلت فكري في شرح عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد لنهج البلاغة، فرأيته قد اشتمل على النص من رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والخلافة والوصاية، والوزارة والولاية، والنصّ بغدير خم، وأنه منه بمنزلة هارون من موسى، والاخاء والتمسك بالثقلين، والاقتداء بالأئمة من عترة النبي صلى الله عليه وآله، وذكر من فضائل أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، وفضائل فاطمة عليها السلام، وفضل شيعة آل محمد بالنصوص الواردة من النبي صلى الله عليه وآله، وهذا الشرح أيضاً قد اشتمل على مطاعن كثيرة على أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس، وطلحة والزبير، وبشر بن أرطاة، وعائشة وحفصة، وغير هؤلاء من أتباعهم وأشياعهم، فسنح بخيالي، وخطر ببالي أن أعمل كتابين أحدهما مشتمل على ما أورده في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام من الفضائل، والثاني في مطاعن أبي بكر وعمر وغيرهما.

وابن أبي الحديد معتزلي المذهب كما صرّح به في شرحه، معروف بمذهب الاعتزال بين العلماء، فما ذكره مقبول من فضل أمير المؤمنين عليه السلام وما له من المناصب والمراتب، وما ذكره من المطاعن على مشايخه وأتباعهم، إذ لا يتهم في ذلك.

وقد فرغت من تأليف كتاب الفضائل وسمّيته بـ﴿**سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد**﴾، وهذا الكتاب سمّيته ﴿**المطاعن البكرية والمثالب العمرية من طريق العثمانية**﴾.

أما ما قاله أصحاب التراجم والسير فإليك قولهم:

١ - **قال الشيخ الميرزا النوري**: وله رسالة سماها سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد، ومنه أخذ السيد العلامة السيد هاشم البحراني هذا الاسم، فانتخب من شرح عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد كتاباً مليحاً سماه سلاسل الحديد من كلام ابن أبى الحديد.

قلت: ومنها أخذ المحدث المحقق صاحب الحدائق، فألف كتاباً سماه سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد، ذكر في أوله مقدمة في الإمامة، ثم نقل من شرحه ما يتعلق بالإمامة وأحوال الخلفاء والصحابة، وما يناسب ذلك، وما فيه من الخلل والمفاسد الظاهرة. انتهى.[1]

٢ - **قال الشيخ آغا بزرك الطهراني**: سلاسل الحديد في تقييد اهل التقليد، للسيد ماجد بن هاشم بن علي بن مرتضى الحسيني الجد حفصي المتوفى بشيراز في ١٠٢٨، كان معاصراً للشيخ البهائي، وكان البهائي يبالغ في الثناء عليه، وكتب بخطه اجازة للسيد على ظهر الاثنى عشرية الموجود في مكتبة الصدر، وهي غير اجازته الطويلة له التي كتبها مع تأدب عظيم وثناء جميل، ومر بعض احواله عند ذكر ديوانه.

---

[1] - خاتمة المستدرك ٢٣٨/٢.

قال الشيخ سليمان البحراني في رسالة تاريخ علماء البحرين ان السيد هاشم البحراني منه اخذ اسم كتابه الآتي المنتخب من شرح ابن ابي الحديد، سلاسل الحديد وتقييد اهل التقليد بما انتخب من شرح نهج ابن ابي الحديد من فضائل امير المؤمنين والائمة الطاهرين عليهم السلام لعلامة البحرين السيد هاشم بن سليمان ابن إسماعيل الكتكاني البحراني المتوفى ١١٠٧ عده في الرياض من تصانيفه التي رأها عند ولده باصفهان.[1]

٣ - قال الشيخ عبد الله السماهيجي في إجازته للشيخ ناصر الجارودي: وكان هذا السيد ثقة، ورعاً صالحاً، متتبع للأحاديث غاية التتبع، له به احاطة زائدة واطلاع شديد، وقد جمع نحواً من أربعين كتاباً:

منها: كتاب البرهان في تفسير القرآن، ستة مجلدات، كتاب الهادي ومصباح النادي في تفسير القرآن أيضاً، مجلدان، كتاب مدينة المعجزات في النص على الأئمة الهداة، مجلدان، كتاب الدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد، مجلد، كتاب معالم الزلفى في النشأةالأخرى، مجلد كبير، كتاب في تفضيل الأئمة عليهم السلام على جميع النبيين عدا النبي صلى الله عليه وآله، كتاب في وفاة النبي صلى الله عليه وآله، كتاب في وفاة الزهراء عليها السلام، كتاب سلاسل ا لحديد، منتخب من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في فضائل أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام.

٤ - قال الشيخ حسين بن محمد بن عبد النبي البارباري البحراني في إجازته للشيخ حسين بن عبد الله الحوري البحراني: ومنهم السيد

---

[1] - الذريعة ٢١٠/١٢.

المقدس، السعيد الحميد،السيد هاشم المعروف بالعلامة بن المرحوم السيد سليمان بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد الكتكاني، نسبة الى الكتكان — بفتح الكافين والتاءالمثناة الفوقانية — قرية من قرى توبلي- بالتاء المثناة الفوقانية المضمومة والواو الساكنة والباءالموحدة واللام المكسورتين والياء أخيراً — من أعمال أوال، حرست عن الوبال، وكان هذا السيد ثقة، جليلاً صالحاً، متتبعاً للأحاديث غاية التتبع، لديه احاطة زائدة واطلاع شديد، وقد جمع نحواً من أربعين كتاباً:

منها: كتاب البرهان في تفسير القرآن، ستة مجلدات، كتاب الهادي ومصباح النادي في تفسير القرآن أيضاً، مجلدان، كتاب مدينة المعجزات في النص على الأئمة الهداة، مجلدان، كتاب الدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد، مجلد، كتاب معالم الزلفى في النشأة الأخرى، مجلد كبير، كتاب في تفضيل الأئمة عليهم السلام على جميع النبيين عليهم السلام عدا النبي صلى الله عليه وآله، كتاب في وفاة النبي صلى الله عليه وآله، كتاب في وفاة الزهراء عليها السلام، كتاب سلاسل ا لحديد، منتخب من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في فضائل أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام.

رد خطأ واشتباه

قال السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق: وقد صرح ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة أن العداوة كانت محكمة بين بني هاشم وتيم، وأثبت شيخنا هاشم بن سليمان البحراني في كتاب ﴿سلاسل الحديد على أهل السنة وأصحاب التقليد﴾ أن أبا بكر كان مبغضاً عدواً لعلي عليه السلام فهل يصلح للخلافة النبوية من هو منافق مبغض للعترة الزكية؟ وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر.

وصرح أيضاً شيخنا البحراني في هذا الكتاب نقلاً عن بعضهم وهو أبو جعفر النقيب أن عمر افتعل حديث يوم السقيفة، وأوهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذم علياً عليه السلام، فاعتبر.

أقول: هكذا وجد بخط بعض الأفاضل، وغير خفي أن كتاب سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد من مؤلفات شيخنا العلامة ففيه الشيعة الشيخ يوسف البحراني الحائري كما صرح به نفسه في اللؤلؤة، ومولانا السيد هاشم البحراني لا مؤلف له يسمى بهذا الاسم كما هو واضح لمن سبر كتب التراجم.[1]

يقول محقق الكتاب: بعد كل هذا النقل الذي ذكرناه اتضح بطلان ما ذكره هذا القائل من نفي أن يكون للسيد هاشم كتاب بهذا الاسم، سيما مع ذكر السيد نفسه لهذا الكتاب، وكذلك أصحاب التراجم، ولا ينقضي عجبي

---

[1] - شرح احقاق الحق ٤٤٨/٧، السيد المرعشي النجفي قدس سره.

من هذا النافي وادعائه بعدم وجود هذاالكتاب للسيد مدعياً سبر كتب التراجم، فكيف تم له سبر كتب التراجم وهذا الشيخ سليمان البحراني المعاصر له ذكره، والشيخ النوري رحمه الله في خاتمته صرح به، وكذلك المحقق الطهراني قدس سره، وغيرهم الكثير، وكان عليه أن يدعي عدم وجدانه حسب تتبعه لا النفي بالكلية، فعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

عملنا في التحقيق

قمنا في تحقيقنا لهذا السفر الجليل بعدة أعمال:

الأول: توجد لهذا الكتاب نسختان احداهما في المتحف البريطاني إلاّ أننا لم نحصل عليها لأسباب يطول شرحها، والثانية هي نسخة من مكتبة سيد المحققين السيد عبد العزيز الطباطبائي قدّس سرّه، وهي النسخة التي اعتمدنا تحقيقها، وهي نسخة نسخت من نسخة المؤلف قدّس سرّه وقام بمقابلتها مع نسخة المؤلف وبلغ تصحيحها معها من أولها إلى آخرها العلامة الشيخ محمود المعني العالي البحراني قدّس سرّه، وهي جيدة الخط، نسخها محمد بن يوسف بن أحمد بن صالح بن سعيد بن حسين البخيل الجمري البحراني في اليوم الثالث من شهر رجب سنة ١١٠١ هـ قياسها: ١٣ / ٢٠سم، تامة الاول والآخر عدا ما ورد من قطع في الأبواب الاخيرة من الكتاب وأمكن تداركه من خلال اضافته من كتاب شرح النهج لإبن أبي الحديد.

الثاني: مقابلة النسخة الخطية مع كتاب شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد.

الثالث: تخريج مصادر الكتاب وايداعها في الهامش.

الرابع: وضع فهرست لمصادر التحقيق.

محمد عيسى آل مكباس الديهي البحراني

قم المقدسة ١٤٢٧ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصفحة الأولى من المخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، المنور بمعرفته قلوب العارفين، ولا إله إلاّ هو الملك الحق المبين، الدال على وجوده بجوده إيجاد المخلوقين، وإنشاء المصنوعين، باعث الرسل مبشرين ومنذرين، وناصب الأئمة الاثنى عشر حججاً على الناس وأعلاماً للدين، ومناراً للحق المستبين، وجاعلهم العروة الوثقى والحبل المتين، فمن والاهم نجا وفاز، ومن أنكرهم فهو من الهالكين، والصلاة والسلام على أفضل الأولين والآخرين، محمد وآله المعصومين الذين جعلهم الله تعالى من الرجس مطهرين.

أما بعد:

فلا يخفى على أهل الإيمان والإسلام فضل رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وأهل بيته عَلَيْهِمُالسَّلَامُ الظاهر برهانه بين الخاص والعام، والشائع دلائله عند ذوي الألباب والأفهام، واللائح مناره للناظرين كالأعلام، والشمس المضيئة بين الأنام.

هذا وقد خطر ببالي، وسنح بفكرتي وخيالي بعدما لاحظت من كتب الخاصة والعامة، رأيت أن كلا الفريقين المتباينين، وكلتا الفئتين المتباغضتين تروي النص عن رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ على تفضيل أهل البيت على سائر الأمة وعلى سائر الخلق بأحاديث مسندة، وأخبار معتمدة، وآثار صحيحة مفيدة، وأن رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ نص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبنيه الأحد عشر بأنهم الأئمة الأثنى عشر بعد رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، أولهم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وآخرهم المهدي عَلَيْهِالسَّلَامُ بنصوص كثيرة، وآثار منيرة مسطورة

في كتب الخاصة والعامة، فصرت بعد ذلك أجوز الفكر والنظر بأن أعمل في ذلك كتاباً مما فيه عبرة للبشر، ولو بكتاب مختصر، والكتب في ذلك كثيرة لا طاقة لي بجمع ما فيها، ولا أحصي ما وعتها من النصوص عليهم في كتب الفريقين، كأنها عقود انفصمت فتناثر لآلؤها ، فنظرت في نفسي وجلت في ذلك فكري، فقلت إن الميسور لا يسقط بالمعسور، فسرّحت نظري في بعض كتب العامة، وهو ﴿شرح نهج البلاغة﴾ الذي صنفه عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسين هبة الله بن محمد بن محمد بن الخسين بن أبي الحديد المدائني الحكيم الاصولي، وهو من أعيان علماء المعتزلة كما ستسمعه عن قريب في تصريحه بمذهبه في مقدمة الشرح، وقد انطوى على أن الإمام والخليفة والوصي أمير المؤمنين عليه السلام وأنه منه بمنزلة هارون من موسى، ووزيره، وغير ذلك من النصوص الموجبة للإمامة والخلافة، ووجوب التمسك بالثقلين كتاب الله وعترة الرسول بالنص من رسول الله صلى الله عليه وآله كما فصل في الأبواب الآتية، وهو عين مذهب الإمامية من أن الإمامة والخلافة لعلي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، ووجوب التمسك بالثقلين، وانطوى هذا الشرح أيضاً على فضل شيعة أهل البيت عليهم السلام، وذكر ابن أبي الحديد في هذا الشرح من المطاعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، من المطاعن الموجبة للكفر، وبالبراءة منهم، والخروج عن ملة الإسلام، فأقتصرت مما ذكرت العامة في ذلك في ساداتنا وائمتنا، وما ذكرته العامة في ساداتهم وائمتهم، فنحن راضون بما ذكرته العامة في ائمتنا من الفضل الكبير، وما ذكروه في ائمتهم من الخزي

العظيم، مما ذكره ابن أبي الحديد في هذا الشرح، إذ لا يتهم في ذلك، بل هو حجة لنا عليه وعلى كل من قال بمقالته.

وإني أجمع في كل باب من أبواب هذا الكتاب ما هو متفرق في أجزاء هذا الشرح، وأجعله في باب واحد ملتقط منه، وقد صنفت في إمامة علي عليه السلام وبنيه الأحد عشر وهم الأئمة الإثنا عشر من نص رسول الله عليهم كتباً، سيأتي ذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله من طرق العامة والخاصة.

عماد الدولة الخاقانية، والوزارة العظمى السليمانية، ذا الطلعة البهية، والكمالات النفسية، والروح القدسية، والرياسة الابدية، والخصال المرضية، والطباع الزكية، والصفات العلية، والشجاعة الحيدرية، والكرامات الحاتمية، ذا العقل الثاقب، والفكر الصائب، والفهم اللازب، غياث المسلمين، وملجأ المؤمنين، ومعين الوافدين، وملاذ القاصدين، الشهير بالإحسان والإفضال والإمنان، إنسان الإنسان، وعين الأعيان، والفائز على الأقران في الزمان، كهف اللايذين في الأوان، حسين علي خان بن المقدس الحميد الشيخ علي خان، أمده الله سبحانه وتعالى بالعمر السعيد، والعيش الرغيد، ولا زال ملحوظاً بعين المليك العلام، و لا برح منصوراً بالملك القدوس السلام، ومؤيداً بالملائكة الكرام، بحق محمد وآله خيرة الله سبحانه من الأنام، والحجج على الخاص والعام.

[وأنا فقير] الله الغني عبده هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبدالجواد الحسيني البحراني قد استخرجت من هذا الشرح كتابين، الأول

في أمير المؤمنين وبنيه الأئمة وفاطمة عليهم السلام وسميته بـ﴿**سلاسل الحديد في تقييد اهل التقليد**﴾، والكتاب الآخر في مطاعن أبي بكر وعمر وعثمان، وسميته بـ﴿**المطاعن البكرية والمثالب العمرية من طريق العثمانية**﴾، وهو مرتب على ثلاثة وسبعين باباً.

الباب الأول: في ذكر الثقلين ووجوب التمسك بهما.

الباب الثاني: في نص رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة بعده صلى الله عليه وآله.

الباب الثالث: في نص رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة من بعده صلى الله عليه وآله وبطلان تأويل النص.

الباب الرابع: في أن الخلفاء الأربعة أجمعوا على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في الإمامة والخلافة وإتيان أبي بكر وعمر له عليه السلام ليبايعاه.

الباب الخامس: في اعتراف عمر بأن أمير المؤمنين عليه السلام هو صاحب الأمر والإمام والخليفة زيادة على ما تقدم.

الباب السادس: في اعتراف عثمان لأمير المؤمنين علي عليه السلام بالخلافة والإمامة وأن الذين تقدما عليه ظلما انفسهما.

الباب السابع: في اعتراف معاوية بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حقه لازم له ولأبي بكر وعمر من الإمامة والخلافة والعلم بذلك من النص على أمير المؤمنين عليه السلام.

الباب الثامن: في أن المهاجرين والأنصار لا يشكون أن الإمام والخليفة بعد رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ علي بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ.

الباب التاسع : في إخراج أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ إلى بيعة أبي بكر ملبباً وإرادة عمر حرق بيت فاطمة عَلَيْهَاالسَّلَامُ عند امتناعه عَلَيْهِالسَّلَامُ من الخروج وقد تأخر عن الصلح القهري ستة أشهر.

الباب العاشر: في قول عمر أن أبا بكر أحسد قريش وأعق وأظلم وما وقع بينهما من الملاحاة والمكاشفة.

الباب الحادي عشر: في حسد أبي بكر لعلي عَلَيْهِالسَّلَامُ وعداوة أبي بكر وعائشة لعلي عَلَيْهِالسَّلَامُ وفاطمة عَلَيْهَاالسَّلَامُ وسبب ذلك.

الباب الثاني عشر: في قول أبي بكر وعمر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها وقول علي عَلَيْهِالسَّلَامُ إن بيعتي لم تكن فلتة.

الباب الثالث عشر: في قول النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لعلي عَلَيْهِالسَّلَامُ ستغدر بك الأمة بعدي والضغائن في صدور قوم.

الباب الرابع عشر: في قوله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم واختلاف الأمة بعده صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

الباب الخامس عشر: في طلب علي أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ من ينصره على أخذ حقه من الإمامة والخلافة فلم يجد أعواناً.

الباب السادس عشر: في تظلم أمير المؤمنين ممن تقدم عليه واحتجاجه عليهم.

الباب السابع عشر: في قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى الاّ أنه لا نبي بعدي.

الباب الثامن عشر: في نص رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم مع اقتضائه بالنص بالإمامة والخلافة والولاية على علي ابن أبي طالب عليه السلام وأنه أولى الناس بالناس والولي.

الباب التاسع عشر: في أن أمير المؤمنين عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله.

الباب العشرون: في الأشعار المنقولة في صدر الإسلام المتضمنة كونه عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله.

الباب الحادي والعشرون: في أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أول من آمن وأسلم وصلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

الباب الثاني والعشرون: في أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام أول من هاجر.

الباب الثالث والعشرون: في أن علياً خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وخير الأمة.

الباب الرابع والعشرون: في أن نفس أمير المؤمنين عليه السلام كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وعديله.

الباب الخامس والعشرون: في أن أمير المؤمنين عليه السلام شقيق رسول الله ﴿صلى الله عليهما وآلهما﴾.

الباب السادس والعشرون: فيما نزل في علي عليه السلام في القرآن.

الباب السابع والعشرون: فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله من فضل علي عليه السلام.

الباب الثامن والعشرون: في معجزاته في علمه عليه السلام بالغيب وإخباره عليه السلام بما يكون.

الباب التاسع والعشرون: من معجزاته من استجابة الدعاء وغيره.

الباب الثلاثون: في فضله ومرجع الفقهاء والعلماء إليه عليه السلام.

الباب الحادي والثلاثون: في أنه أعلم الناس بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه عيبة علمه وباب مدينة العلم وخازن علمه صلى الله عليه وآله.

الباب الثاني والثلاثون: في رجوع أبي بكر وعمر وغيرهما إليه في العلم واعتراف عمر بانه عليه السلام أقضى الأمة.

الباب الثالث والثلاثون: في عبادته عليه السلام.

الباب الرابع والثلاثون: في عصمته وعصمة أهل البيت عليهم السلام.

الباب الخامس والثلاثون: في شجاعته وقوته عليه السلام.

الباب السادس والثلاثون: في رد إيراد الجاحظ على شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام.

الباب السابع والثلاثون: في مبيت علي عليه السلام على الفراش ليلة الهجرة وامتحانه عليه السلام وفضيلته على أبي بكر.

الباب الثامن والثلاثون: في سخائه وجوده عليه السلام.

الباب التاسع والثلاثون: في حلمه وصفحه عليه السلام.

الباب الأربعون: في زهده في المطعم والمشرب تأسياً برسول الله ﷺ وطلاقه الدنيا ثلاثاً.

الباب الحادي والاربعون: في كلام السيد الرضي وابن أبي الحديد في فضائله عليه السلام يتعلق ببعض الأبواب السالفة.

الباب الثاني والأربعون: في حسن تدبيره عليه السلام وسياسته وموافقته للشرع بخلاف المتخلفين قبله وثبوت إمامته وخلافته عليه السلام بالنص وتأويلات المعتزلة للنص باطلة.

الباب الثالث والأربعون: في أنه عليه السلام أقسمهم بالسوية وأعدلهم في الرعية.

الباب الرابع والأربعون: في تربيته ﴿صلى الله عليهما وآلهما﴾ له عليه السلام وتعليمه ﷺ إياه العلم.

الباب الخامس والأربعون: في أدعية له عليه السلام.

الباب الباب السادس والأربعون: في سبب تركه عليه السلام جهاد من تقدم عليه.

الباب السابع والأربعون: في أمر رسول الله ﷺ له بالجلوس في بيته حتى يطلب للخلافة وهو من الباب الأول.

الباب الثامن والأربعون: في تظلمه عليه السلام ممن تقدم عليه في خطبته الشقشقية وهو نص في الباب.

الباب التاسع والأربعون: في أنه نازع الأولين في الخلافة وفي تظلمه عليه السلام مضافاً إلى ما سبق.

الباب الخمسون: في أنه لا تأخذه في الله لومة لائم.

الباب الحادي والخمسون: في أوصاف له عليه السلام جليلة.

الباب الثاني والخمسون: في مواساته لرسول الله صلى الله عليه وآله وثباته في الحروب وفرار غيره وممن بايعه على الموت.

الباب الثالث والخمسون: في أن كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يدلان على خلافته عليه السلام.

الباب الرابع والخمسون: في فصاحته.

الباب الخامس والخمسون: في مقتله وموضع قبره عليه السلام.

الباب السادس والخمسون: في فضل فاطمة الزهراء عليها السلام.

الباب السابع والخمسون: في أخذ فدك من فاطمة عليها السلام وما جرى في ذلك.

الباب الثامن والخمسون: في فضل الحسن بن علي عليه السلام وما يتأتى إلى ذلك من أحواله ومولده ووفاته عليه السلام.

التاسع والخمسون: في فضل الحسن والحسين عليهما السلام.

الباب الستون: في فضل الحسين عليه السلام وفي أحواله عليه السلام.

الباب الحادي والستون: في فضل علي بن الحسين عليه السلام.

الباب الثاني والستون: في فضل محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وموسى الكاظم وعلي بن موسى الرضا عليهم السلام.

الباب الثالث والستون: في الإمام الثاني عشر القائم المنتظر المهدي عليه السلام ونزول عيسى بن مريم المسيح عليه السلام وظهور السفياني والدجال.

الباب الرابع والستون: في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بولاية علي عليه السلام والإقتداء بالأئمة من بعده عترته صلى الله عليه وآله وفضل آل محمد وأهل بيته عليهم السلام.

الباب الخامس والستون: في إسلام أبي طالب رحمه الله وحمايته عن النبي صلى الله عليه وآله في الشعب بمكة.

الباب السادس والستون: في إسلام سلمان الفارسي وفضله.

الباب السابع والستون: في الجماعة الذين أنكروا بيعة من تقدم على علي عليه السلام سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار.

الباب الثامن والستون: في فضل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومحبيه.

الباب التاسع والستون: في السب والبراءة منه عليه السلام للتقية.

الباب السبعون: في أن من به الأبنة فهو مبغض لأهل البيت عليهم السلام.

الباب الحادي والسبعون: في الحوض وأن أمير المؤمنين عليه السلام الساقي والذائد وحامل اللواء يوم القيامة.

الباب الثاني والسبعون: في فضل القرآن وشرح دعائم الإيمان وذكر حكم له عليه السلام حسان.

الباب الثالث والسبعون: في ذكر أربعة وعشرين خبراً من طريق الجمهور في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

أما المقدمة ففيها فصول ثلاثة

الفصل الأول

ذكر الشارح مولداً ومذهباً ووفاة

نقل من مجمع الآداب في معجم الألقاب تأليف الإمام العالم الأوحد المؤرخ، دستور الأوائل والأواخر، جمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن إسحاق بن أبي المعالي الشيباني الفوطي الذي فاق في معرفة التاريخ جميع أقرانه، وأربى في علم الآداب على أبناء زمانه،[1] ملخص حال الشيخ الإمام عز الدين عبد الحميد.

---

[1] - ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني، المروزي الأصل، الشيباني، البغدادي، أبو الفضل، كمال الدين، مؤرخ، يعد من الفلاسفة، من نسل معن بن زائدة، مولده بدرب القواس شرقي بغداد يوم ١٧ المحرم سنة ٦٤٥هـ ووفاته ببغداد سنة ٧٢٣هـ أخذ الحديث عن الصاحب الشهيد محيي الدين يوسف بن الجوزي أستاذ الدار الذي قتله هولاكو صبراً سنة ٦٥٦هـ وأسر ابن الفوطي في هذه الواقعة هو وأخوه عبد الوهاب، فأبق هو وتعذر على أخيه الإباق، ولجأ إلى نصير الدين الطوسي فشفع له وألحقه بتلاميذه، وقرأ عليه الحكمة والآداب، وباشر (خزانة الرصد بمراغة) زهاء عشرة أعوام، وهي أول أكاديمية في القرون الوسطى في العالم، وكانت مراغة عاصمة الدولة الإيلخانية، وفيها ألف كتابه (تذكرة الرصد) أول كتاب من نوعه في التاريخ، أثبت فيه ما أخذه عن زوار الجامعة نثراً وشعراً، ويعرف ب(من قصد الرصد) وعاد إلى بغداد أيام السلطان أباقا بن هولاكو في ولاية علاء الدين عطا ملك الجويني على بغداد، وهو الذي استدعاه إلى بغداد وفوض إليه كتابة التاريخ والحوادث كما يقول، وفيها تولى خزانة كتب المستنصرية زمناً، ثم تركها وقصد تبريز وأقام مدة طويلة عند الوزير رشيد الدين،=

قال: هو عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسين هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني، الحكيم الأصولي،كان من أعيان العلماء الأفاضل، وأكابر الصدور والأماثل، حكيماً فاضلاً، كاتباً كاملاً، عارفاً بأصول الكلام، يذهب مذهب المعتزلة، وخدم في ولايات الديوانية والخدم السلطانية.[1]

وكان مولده في غرة ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة، وأشتغل وحصل وصنف وألف، فمن تصانيفه شرح نهج البلاغة عشرون

=والتقى بسعدي الشيرازي وأجازه بديوانه (كلستان) ولما قتل رشيد الدين وأحرقت كتبه وكتب ابن الفوطي، عاد إلى بغداد واستقر فيها إلى أن توفي، وكان سكناه فيها في (مشهد البرمة) الواقعة في محلة الجعفرية مع شيخه غياث الدين عبد الكريم بن طاووس العلوي الشيعي الإمامي، مع أن ابن الفوطي كان حنبلياً بإجماع من ترجم له، وله ترجمة في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، تآليفه كثيرة ، أشهرها (مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب (طبع المجلد الرابع منه، في خمسة مجلدات ضخمة، ويضم (٢٥٠٠) ترجمة، وأما الأصل فكبير جداً، قيل: في خمسين مجلداً، ويعتبر المصدر الوحيد للتعرف على أوضاع العهد الإيلخاني المغولي، وخاصة ما يرتبط بإيران والعراق بعد سقوط الدولة العباسية، اشهر ابن الفوطي بحسن خطه، قال ابن حجر: ملكت بخطه (خريدة القصر) للعماد الكاتب في أربع مجلدات من القطع الكبير، وقدمتها لصاحب اليمن فأثابني عليها ثواباً جزيلاً جداً، وكان مع حسن خطه يكتب في اليوم أربع كراريس. وقال الذهبي: كتب من التواريخ ما لا يوصف، ومصنفاته وقر بعير. وفي دار الكتب الوطنية بباريس نسخة رقم ١٤٩٩ من كتاب الكامل لابن الأثير بخط ابن الفوطي انتهى منها سنة ٦٢١هـ (الأعلام للزركلي ومعجم الألقاب).

[1] – مجمع الآداب في معجم الالقاب لإبن الفوطي ٢١٣/١.

مجلداً، وقد احتوى هذا الشرح ما لايحتو عليه كتاب من جنسه، صنّفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، ولما فرغ من تصنيفه أنفده على يد أخيه موفق الدين بن أبي المعالي، فبعث له بمائة دنيار وخلعة سنية وفرس، فكتب إلى الوزير أبيات أولها:

أيا رب العباد رفعت ضبعي   وطلت بمنكبي وبللت ريقي

الابيات.

ومن تصانيفه أيضاً: كتاب العبقري الحسان، وهو كتاب غريب الوضع، قد اختار فيه قطعة وافرة من الكلام والتواريخ والأشعار، وأودعه شيئاً من إنشائه وترسلاته ومنظوماته.

ومن تصانيفه كتاب الإعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريف السيد المرتضى رحمه الله، وهو ثلاث مجلدات.

ومنها: كتاب الفلك الدائر على المثل السائر لإبن الأثير الجزري.

ومنها: كتاب شرح المحصّل للإمام فخرالدين، وهو يجري مجرى النقض له.

ومنها: كتاب نقض المحصول في علم الأصول للعالم فخر الدين أيضاً.

ومنها: شرح مشكلات الغرر لأبي الحسين البصري في أصول الكلام.

ومنها: تقرير الطريقتين في أصول الكلام.

ومنها: شرح الياقوت لإبن نوبخت في الكلام أيضاً.

ومنها: كتاب الوشاح الذهبي في العلم الأدبي.

ومنها: اتقاد المسُتصفى للغزالي في أصول الفقه.

ومنها: الحواشي على كتاب المفصل في النحو سوى ما له من التعاليق وما لم أتتبع معرفته.

وأما أشعاره فكثيرة وأجلها وأشهرها القصائد السبع العلويات، وذلك لشرف الممدوح بها [عليه] أفضل السلام والتحيات، نظمها في صباه وهو بالمدائن في شهور سنة إحدى عشر وستمائة.

وأما ما وليه من الولايات وتقلد فيه من الخدمات فلا حاجة إلى ذكرها هاهنا.

قال الشيخ كمال الدين: ولما أخذت التتار بغداد في زمن هولاكو كان ممن خلص من القتل في دار الوزير مؤيد الدين مع أخيه موفق الدين وحضر بين يدي المولى السعيد خواجة نصير الطوسي رحمه الله، وفوض إليه من خزائن الكتب ببغداد مع أخيه موفق الدين، والشيخ تاج الدين علي بن انجب، ولم تطل أيامه، وتوفي في جمادى الأخرى من سنة ست وخمسين وستمائة، فمدة عمره تسعة وستون سنة وستة أشهر، والله أعلم.

وقال ابن أبي الحديد في مطلع شرح نهج البلاغة: القول فيما يذهب أصحابنا المعتزلة في الإمامة والتفضيل، اتفق شيوخنا كافة المتقدمون منهم والمتأخرون والبصريون والبغداديون على أن بيعة أبي بكر الصديق بيعة

صحيحة شرعية، وأنها لم تكن عن نص، وإنما كانت بالإختيار الذي ثبت بالإجماع وبغير الإجماع كونه طريقاً إلى الإمامة، وأختلفوا في التفضيل.

ثم نقل عن جماعة تفضيل الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة.[١]

ثم قال: وقال البغداديون قاطبة قدماؤهم ومتأخروهم كأبي سهل بشر بن المعتمر، وأبي موسى عيسى بن صبيح، وأبي عبد الله جعفر بن مبشر، وأبي جعفر الاسكافي، وأبي الحسين الخياط، وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي، وتلامذته: أن علياً افضل من أبي بكر، وإلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيراً، وكان من قبل من المتوقفين.[٢]

وقال في كثير من تصانيفه إن صحَّ خبر الطائر فعلي أفضل، ثم إن قاضي القضاة رحمه الله ذكر في شرح المقالات لأبي القاسم البلخي أن أبا علي رحمه الله ما مات حتى قال بتفضيل علي عليه السلام، وقال: إنه نقل ذلك عنه سماعاً ولم يوجد في شيء من مصنفاته، وقال أيضاً: إن أبا علي يوم مات استدنى ابنه أبا هاشم إليه وكان قد ضعف عن رفع الصوت فألقى إليه أشياء من جملتها القبول بتفضيل علي عليه السلام.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/١

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨/١

وممن ذهب من البصريين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبي عبد الله الحسين بن علي البصري ﴿رضي الله عنه﴾، وكان متحققاً في تفضيله عليه السلام، ومبالغاً في ذلك، وصنف فيه كتاباً مفرداً.[1]

وممن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رحمه الله، ذكر ابن متويه عنه في كتاب الكفاية في علم الكلام أنه كان من المتوقفين بين علي وأبي بكر، ثم قطع على تفضيل علي عليه السلام بخبر المنزلة.[2]

ومن البصريين الذاهبين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمد الحسن بن متويه صاحب التذكرة نص في كتاب الكفاية على تفضيله على أبي بكر، وأحتج لذلك وأطال في الإحتجاج.[3]

وأما نحن فنذهب إلى ما ذهب إليه شيوخنا البغداديون في تفضيله عليه السلام، وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل، وهو المراد به الأكثر ثواباً أم الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة، وبيّنا أنه عليه السلام أفضل على التفسيرين معاً، وليس هذا الكتاب موضوعاً لذكر الحجاج في ذلك أو في غيره من المباحث الكلامية لنذكره، ولهذا موضع هو أملك به.[4]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨/١

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨/١

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨/١

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩/١.

وقال في موضع من الشرح من الجزء التاسع في قول النبي صلى الله عليه وآله الأئمة من قريش بعدما نقل المذاهب في الإمامة: قال: فإن قلت: إني شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة وأصولهم فما قولك في هذا الكلام أن الإمامة لا تصلح الاّ في بني هاشم خاصة، وليس ذلك بمذهب المعتزلة لا متقدميهم ولا متأخريهم.[١]

قلت: هذا الموضع مشكل، ولي فيه نظر وإن صح أن علياً عليه السلام قاله، قلت كما قال، لانه ثبت عندي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ﴿إنه مع الحق وأن الحق يدور معه حيثما دار﴾، ويمكن أن يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة، فيحمل على أن المراد كمال الإمامة كما حمل قوله صلى الله عليه وآله: ﴿لا صلاة لجار المسجد الاّ في المسجد﴾ على نفي الكمال لا على نفي الصحة.[٢]

يقول مؤلف هذا الكتاب: قد زاحم ابن أبي الحديد الحق بركبته أنه قال: قلت: كما قال، لأنه ثبت عندي إلى قوله حيثما دار، فإنه عليه السلام قعد عن بيعة أبي بكر ستة أشهر كما سيذكره من الرواية في ذلك، ولا ريب أن الحق معه عليه السلام على تلك الحال دون أبي بكر وأصحاب بيعته، وإخراجه للبيعة ومصالحته على حالة القهر ملبباً، وإرادتهم حرق بيت فاطمة عليها السلام عند إمتناعه من الخروج إلى البيعة لا يكون فيه حجة، لانه عليه السلام صالح أبا بكر بغير

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٧/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٨/٩.

إختياره، وقد صرح ابن أبي الحديد بالروايات فيما ذكرناه كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الباب التاسع.

وأما قوله: ويمكن ان يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة إلى قوله لا على نفي الصحة.

وهذا الحمل أبعد ابن أبي الحديد عن الحق كبعد ما بين السماء إلى الأرض، إذ لا موجب لهذا الحمل إلاّ التعصب والحمية للمذهب الاعتزالي، إذ لا كتاب ولا سنة، ولا إجماع على صحة حمله، بل من نظر في شرحه للنهج رأى الحق عياناً لأمير المؤمنين عليه السلام بالبراهين القطعية التي ذكرها في الشرح، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

وإنما ذكرت هذا الفصل لئلا يظن ظان أن ابن أبي الحديد إمامي المذهب إذا رأى ما نقلناه عنه في الشرح، مما ذكره في النصوص الدالة أن علياً أمير المؤمنين، هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومما ذكره في فضله عليه السلام وفضل أهل البيت عليهم السلام، وذكره روايات تدل على الطعن على من تقدم على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وأتباعهم، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

فهو معتزلي المذهب لا شك في ذلك ولا ريب، ومن لاحظ شرحه رأى ذلك عياناً، وقد حق عليه قول علي عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد: قول علي عليه السلام: ﴿اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل﴾.[١]

قال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: نهاهم عليه السلام أن يقصروا إذا سمعوا منه أو من غيره أطراف من العلم أو الحكمة على أن يرووا ذلك رواية كما يفعله اليوم المحدثون، وكما يقرأ أكثر الناس القرآن دراسة، ولا يدري من معانيه إلاّ اليسير، وأمرهم أن يعقلوا ما يسمعونه عقل رعاية، أي معرفة وفهم، ثم قال لهم: إن رواة العلم كثير، ورعاته قليل، أي من يراعيه ويتدبره، وصدق عليه السلام.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٤/١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٤/١٨.

الفصل الثاني
في نسب الرضي

قال ابن أبي الحديد: القول في نسب الرضي أبي الحسن رحمه الله وذكر طرف من خصائصه ومناقبه.

هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق عليه السلام، مولده سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.[١]

كان أبوه النقيب أبو أحمد جليل القدر، عظيم المنزلة في دولة بني العباس ودولة بني بويه، ولقب بالطاهر ذي المناقب، وخاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه بالطاهر الأوحد، وولي نقابة الطالبيين خمس دفعات، ومات وهو يتقلدها بعد أن حالفته الأمراض وذهب بصره، وتوفي عن سبع وتسعين سنة، فإن مولده كان سنة أربع وثلاثمائة، وتوفى في سنة أربعمائة، وقد ذكر إبنه الرضي أبو الحسن كمية عمره في قصيدته التي رثاه فيها وأولها:

وسمتك حالية الربيع المرهم	وسقتك ساقية الغمام المرزم
سبع وتسعون اهتبلن لك العدا	حتى مضوا وعبرت غير مذمم
لم يلحقوا فيها بشأوك بعدما	املوا فعاقهم اعتراض الأزلم
الاّ بقايا من غبارك أصبحت	غصصاً واقذاء لعين أو فم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣١/١.

إن يتبعوا عقبيك في طلب العلى فالذئب يعسل في طريق الضيغم[١]

ودفن النقيب أبو أحمد أولاً في داره ثم نقل منها إلى مشهد الحسين عليه السلام.[٢]

وهو الذي كان السفير بين الخلفاء وبين الملوك من بني بويه والأمراء من بني حمدان وغيرهم، وكان مبارك الغرة، ميمون النقية، مهيباً نبيلاً، ما شرع في إصلاح أمر فاسد إلاّ وصلح على يديه وانتظم بحسن سفارته، وبركة همته، وحسن تدبيره ووساطته، ولإستعظام عضد الدولة أمره وإمتلاء صدره وعينه به حين قدم العراق ما قبض عليه وحمله إلى القلعة بفارس، فلم يزل بها إلى أن مات عضد الدولة، فأطلقه شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة واستصحبه في جملته حيث قدم إلى بغداد وملك الحضرة.[٣]

ولما توفى عضد الدولة ببغداد إذ كان عمر الرضي أبي الحسن أربع عشر سنة، فكتب إلى أبيه وهو معتقل بالقلعة بشيراز:

ابلغا عني الحسين ألوكاً أن ذا الطود بعد عهدك ساخا

والشهاب الذي اصطليت لظاه عكست ضوءه الخطوب فباخا

والفنيق الذي تدرع طول الأرض خوى به الردى واناخا

إن يرد مورد القذى وهو راض فبما يكرع الزلال النقاخا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣١/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣١/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣١/١.

والعقاب الشغواء اهبطها النيق وقد أرعت النجوم صماخا
أعجلتها المنون عنا ولكن خلفت في ديارنا افراخا
وعلى ذاك فالزمان بهم عاد غلاماً من بعدما كان شاخا[1]

وأم الرضي أبي الحسن فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الأصم صاحب الديلم، وهو أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، شيخ الطالبيين وعالمهم، وزاهدهم، وأديبهم وشاعرهم، ملك بلاد الديلم والجبل، ويلقب بالناصر للحق، وجرت له حروب عظيمة مع السامانية، وتوفي بطبرستان سنة أربع وثلاثمائة، وسنّه تسع وسبعون سنة، وانتصب في منصبه الحسن بن القاسم بن الحسين الحسني، ويلقب بالداعي إلى الحق، وهي أم أخيه أبي القاسم علي المرتضى أيضاً.[2]

وحفظ الرضي رحمه الله القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة في مدة يسيرة، وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قوياً، وكان رحمه الله عالماً أديباً وشاعراً مفلقاً، فصيح النظم، ضخم الألفاظ، قادراً على القريض، متصرفاً في فنونه، إن قصد الرقة في النسب أتى بالعجب العجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح أتى بما لا ينشق فيه غباره، وإن قصد في المراثي جاء سابقاً، والشعراء منقطع أنفاسها على أثره، وكان مع هذا مترسلاً ذا كتابة قوية، وكان عفيفاً، شريف النفس، عالي الهمة، متلزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلة ولا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٢/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٢/١.

جائزة حتى انه رد صلات أبيه، وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف، فأما بنو بويه فإنهم اجتهدوا على قبول صلاتهم فلم يقبل، وكان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب، وإعزاز الأتباع والأصحاب، وكان الطائع أكثر ميلاً إليه من القادر، وكان هو أشد حباً وأكثر ولاء للطائع منه للقادر، وهو القائل للقادر في قصيدته التي مدحه بها:

عطفاً أمير المؤمنين فإننا ... في دوحة العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً كلانا في العلاء معرق

الاّ الخلافة شرفتك فإنني ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

فيقال: إن القادر قال: على رغم أنف الشريف.[1]

وذكر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في التاريخ في وفاة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي قال: كان شيخ الشهود المعدلين ببغداد ومتقدمهم، وسمع الحديث الكثير، وكان كريماً مفضلاً على أهل العلم.[2]

قال: وعليه قرأ الشريف الرضي رحمه الله القرآن وهو شاب حدث،[3] فقال له يوماً: أيها الشريف أين مقامك؟ قال: في دار أبي بباب محول، فقال: مثلك لا يقيم بدار أبيه، قد نحلتك داري بالكرخ المعروفة بدار البركة، فامتنع الرضي

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٣/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٣/١.

[3] - في شرح نهج البلاغة ٣٣/١: وهو شاب حدث السن.

من قبولها، وقال له: لم اقبل من أبي قط شيئاً، فقال: إن حقي عليك أعظم من حق أبيك عليك، لأني حفظتك كتاب الله تعالى، فقبلها.[١]

وكان الرضي لعلو همته تنازعه نفسه إلى أمور عظيمة يجيش بها خاطره، وينظمها في شعره، ولا يجد من الدهر عليها مساعدة، فيذوب كمداً ويفنى وجداً، حتى توفي ولم يبلغ غرضاً.[٢]

وذكر أبو الحسين ابن الصابي،[٣] وإبنه غرس النعمة محمد في تاريخهما أن القادر بالله عقد مجلساً أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوي وإبنه أبا القاسم المرتضى، وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الرضي أبي الحسن التي أولها:

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حمي
وإباء محلق بي عن الضيم كما زاغ طائر وحشي
أي عذر له إلى المجد إن ذل غلام في عمده المشرفي
أحمل الضيم في بلاد الأعادي وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولاي إذا ضامني البعيد القصي
لف عيصي بعيصه سيد الناس جميعاً محمد وعلي[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٤/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٤/١.

[٣] - في شرح النهج ٣٧/١: أبو الحسن الصابي.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧/١، وفيه: لف عرقي بعرقه سيد الناس.

قال القادر للنقيب أبي أحمد: قل لولدك محمد أي هوان قد أقام عليه عندنا، وأي ضيم لقى من جهتنا، وأي ذل أصابه في مملكتنا، وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه، أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا؟ ألم نوله النقابة، ألم نوله المظالم، ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز، وجعلناه أمير الحجيج،[1] فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا، ما نظنه كان يكون لو حصل عنده الاّ واحداً من أبناء الطالبيين بمصر.

فقال النقيب أبو أحمد: أما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه، وعزاه إليه.

فقال القادر: إن كان الأمر كذلك فليكتب الآن محضراً يتضمن القدح في أنساب ولاة مصر، ويكتب محمد خطه فيه، فكتب محضراً بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب أبو أحمد وإبنه المرتضى، وحمل المحضر إلى الرضي ليكتب خطه فيه، حمله أبوه وأخوه فأمتنع من سطر خطه، وقال: لا أكتب وأخاف دعاة صاحب مصر، وأنكر الشعر، وكتب خطه، وأقسم فيه أنه ليس بشعره، وأنه لا يعرفه، فأجبره أبوه على أن يكتب خطه في المحضر فلم يفعل، وقال: أخاف دعاة المصريين وغيلتهم لي، فإنهم معروفون بذلك، فقال أبوه: يا عجباه أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع، وحلف أن لا يكلمه، وكذلك المرتضى، فعلا ذلك

---

[1] - من قوله وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى اليه الى قوله: الحجيج، غير موجود في شرح النهج.

تقية وخوفاً من القادر، وتسكيناً له، ولما انتهى الأمر إلى القادر سكت عنه على سوء أضمره له، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة، وولاها محمد بن عمر النهرسابسي.[1]

وقرأت بخط محمد بن إدريس الحلي الفقيه الإمامي قال: حكى أبو حامد أحمد ابن محمد الاسفراييني الفقيه الشافعي قال: كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وأبيه سلطان الدولة، فدخل عليه الرضي أبو الحسن فاعظمه وأجله، ورفع من منزلته، وخلى ما كان بيده من القصص والرقاع، وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف، ثم دخل عليه بعد ذلك المرتضى أبو القاسم رَحِمَهُ اللهُ فلم يعظمه ذلك التعظيم، ولا أكرمه ذلك الإكرام، وتشاغل عنه برقاع يقرؤها، وتوقيعات يوقع بها، فجلس قليلاً وسأله أمراً فقضاه ثم أنصرف.

فقال أبو حامد: فتقدمت إليه وقلت له: أصلح الله الوزير، هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم، صاحب الفنون، وهو الأمثل والأفضل منهما، وإنما أبو الحسن شاعر، قال: فقال لي: إذا انصرف الناس وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة.

قال: وكنت مجمعاً على الإنصراف فجاءني أمر لم يكن في الحساب، فدعت الضرورة ملازمة المجلس إلى أن تقوض الناس واحداً فواحداً، فلما لم يبق الاّ غلمانه وحجابه، دعا بالطعام، فلما أكلنا غسل يديه وانصرف عنه أكثر

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٨/١، ونهر سابس في العراق قرب واسط.

غلمانه، ولم يبق عنده غيري، قال لخادم له: هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام وأمرتك أن تجعلهما في السفط الفلاني فأحضرهما، فقال: هذا كتاب الرضي اتصل بي أنه قد ولد له ولد فأنفذت له ألف دينار، وقلت له: هذه للقابلة فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء لإخلائهم وذوي مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال، فردها، وكتب اليّ هذا الكتاب فأقرأه.

قال: فقرأته وهو إعتذار عن الرد وفي جملته: أننا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا، ولسن ممن يأخذن اجرة، ولا يقبلن صلة، قال: فهذا هذا.[١]

وأما المرتضى فإنا كنا قد وزعنا وقسطنا على الأملاك ببادوريا تقسيطاً نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمنها دينار واحد، قد كتب اليّ منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فأقرأ.

فقرأته وهو أكثر من مائة سطر، يتضمن من الخضوع والخشوع، والإستمالة والهز، والطلب والسؤال في أسقاط هذه الدراهم المذكورة عن املاكه المشار إليها ما يطول شرحه.

قال فخر الملك: فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل؟ هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد، ونفسه هذه النفس، أم ذلك الذي لم يشتهر الاّ بالشعر خاصة، ونفسه تلك النفس!

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٩/١.

فقلت: وفق الله تعالى سيدنا الوزير، فما زال موفقاً، والله ما وضع سيدنا الوزير الأمر الاّ في موضعه، ولا أحله الاّ في محله، فقمت وأنصرفت.[١]

توفى الرضي في المحرم من سنة أربع وأربعمائة، وحضرالوزير فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته والصلاة عليه، ودفن في داره بمسجد الأنباريين بالكرخ، ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه، وصلى عليه فخر الملك أبو غالب، ومضى بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى إلى المشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود إلى داره.[٢]

ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التي من جملتها:

يا للرجال لفجعة جذمت يدي ووددت لو ذهبت عليّ برأسي

ما زلت أحذر وردها حتى أتت فحسوتها في بعض ما أنا حاسي

ومطلتها زمناً فلما صممت لم يثنها مطلي وطول مكاسي

لله عمرك من قصير طاهر ولرب عمر طال بالادناس[٣]

وحدثني فخار بن معد العلوي الموسوي رحمه الله قال: رأى المفيد رحمه الله أبو عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمامي في منامه كأن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله دخلت إليه وهو في مسجده بالكرخ، ومعها ولداها الحسن والحسين

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٩/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٠/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤١/١، مع اختلاف يسير في الأبيات.

عليهما السلام صغيرين فسلمتهما إليه وقالت: علمهما الفقه، فأنتبه متعجباً من ذلك، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها وبين يديها ابناها محمد الرضي وعلي المرتضى صغيرين فقام إليها وسلم عليها.

فقالت له: أيها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه، فبكى أبو عبدالله وقص عليها المنام، وتولى تعليمهما، وأنعم الله تعالى عليهما وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما أشتهر عنهما في آفاق الدنيا، وهو باق ما بقي الدهر.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤١/١.

الفصل الثالث

في نسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وذكر لمع يسيرة من فضائله عليه السلام

ابن أبي الحديد قال: القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله عليه السلام: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب، واسمه شيبة بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي.[1]

الغالب عليه من الكنية عليه السلام أبو الحسن، وكان ابنه الحسن عليه السلام يدعوه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا الحسين، ويدعوه الحسين عليه السلام أبا الحسن، ويدعوان رسول الله صلى الله عليه وآله أباهما، فلما توفى النبي صلى الله عليه وآله دعواه بأبيهما، وكناه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا تراب، وجده نائماً في التراب وسقط عنه رداؤه وأصاب التراب جسده، فجاء حتى جلس عند رأسه وأيقظه، وجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول له: اجلس إنما أنت أبو تراب، فكانت من أحب كناه إليه ﴿صلوات الله عليه﴾، وكان يفرح إذا دعي بها، ودعت بنو أمية خطباءها أن يسبوه بها على المنابر، وجعلوها نقيصة له ووصمة عليه، فكأنما كسوه بها الحلي والحلل كما قال الحسن البصري رحمه الله.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/١، مع اختلاف يسير.

وكان اسمه الأول الذي سمته به أمه حيدرة، بإسم أبيها أسد بن هاشم، والحيدرة الأسد، فغيّر أبوه إسمه وسماه علياً، وقيل: إن حيدرة إسم كانت قريش تسميه به، والقول الأول أصح، يدل عليه خبره يوم برز إليه مرحب وأرتجز عليه فقال:

أنا الذي سمتني أمي مرحبا

فأجابه علي عليه السلام:

أنا الذي اسمتني أمي حيدرة

ورجزهما معاً مشهور منقول لا حاجة لنا الآن إلى ذكره، وتزعم الشيعة أنه خوطب في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين، خاطبه بذلك جلة المهاجرين والأنصار، ولم يثبت ذلك في أخبار المحدثين،[1] الاّ أنهم قد رووا

---

[1] - يقول المحقق: بل ثبت في أخبار المحدثين إلاّ أن ابن أبي الحديد جانب الحق وغض بصره تعصباً وحمية، واليك بعض من روى انه عليه السلام أمير المؤمنين في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله: بشارة المصطفى لمحد بن علي الطبري/١٦١، نج الايمان لابن جبر/٤٦٩، المناقب للموفق بن أحمد الخوارزمي/٣٢٣، ونص الحديث هكذا: أخبرني شهردار هذا اجازة، أخبرنا عبدوس هذا اجازة، عن الشريف أبي طالب المفضل محمد بن طاهر الجعفري باصبهان، عن الحافظ أبي بكر أحمد ابن موسى بن مردويه بن فورك الاصبهاني، حدثنى عبد الله بن محمد بن يزيد، حدثنا محمد بن أبي يعلى، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن شاذان، حدثنا زكريا ابن يحيى أبو على الخزاز البصري، حدثنا مندل بن علي، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته فغدا عليه علي بن أبي طالب عليه السلام الغداة وكان يحب ان لا يسبقه إليه احد، فدخل وإذا النبي في صحن الدار وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي فقال: السلام عليك، كيف أصبح رسول الله؟ قال: بخير يا اخا رسول الله، قال له علي: جزاك الله عنا أهل البيت خيراً، قال له

ما يعطي هذا المعنى، وإن لم يكن اللفظ بعينه، وهو قول رسول الله ﷺ: أنت يعسوب الدين، والمال يعسوب الظلمة، وفي رواية أخرى: هذا يعسوب المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، واليعسوب ذكر النحل وأميرها، روى هاتين الروايتين أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني في المسند.

وفي كتابه في فضائل الصحابة، ورواهما أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء.[١]

ودعي بعد وفاة رسول الله ﷺ بوصي رسول الله لوصايته إليه بما أراده، وأصحابنا لا ينكرون ذلك، و لكن يقولون إنها لم تكن وصية بالخلافة بل بكثير من المتجددات بعده أفضى بها إليه عليه السلام، وسنذكر طرفاً من هذا المعنى فيما بعد.[٢]

= دحية : اني احبك وان لك عندي مدحة ازفها اليك: أنت أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وسيد ولد آدم ، يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين، ولواء الحمد بيدك يوم القيامة: تزف أنت وشيعتك مع محمد وحزبه إلى الجنان، زفاً زفاً، قد افلح من تولاك وخسر من عاداك، بحب محمد احبوك، ومبغضوك لن تنالهم شفاعة محمد ﷺ ادن منى، صفوة الله فأخذ رأس النبي فوضعه في حجره [وذهب فرفع رسول الله رأسه] فقال ما هذه الهمهمة فاخبره الحديث فقال: يا علي لم يكن دحية الكلبي، كان جبرئيل، سماك باسم، سماك الله به وهو الذي القى محبتك في صدور المؤمنين ورهبك في صدور الكافرين.

[١] - حلية الأولياء ٦٣/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/١.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أول هاشمية ولدت لهاشمي، كان علي عليه السلام أصغر بنيها، وجعفر أسن منه بعشر سنين، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين، وفاطمة بنت أسد أمهم جيمعاً، وأم فاطمة بنت أسد فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيط بن وهب بن ثعلبه بن وايله بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر.[1]

وأمها عاتكة بنت أبي همهمة، وإسمه عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر.[2]

وأمها حنية وهي أمة الله بنت عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي وهو ثقيف.[3]

وأمها فلانة بنت مخزوم بن اسامة بن ضبيع بن وايلة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن قين بن فهم بن عمر بن قيس بن عيلان بن مضر.

وأمها ريطة بنت يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف.

وأمها كله بنت حصن بن سعد بن بكر بن هوازن.[4]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١.

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/١.

ذكر هذا النسب أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين.[١]

أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشرة من المسلمين، فكانت الحادي عشر، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرمها ويعظمها ويدعوها أمي، وأوصت إليه حين حضرتها الوفاة، فقبل وصيتها وصلى عليها، ونزل في لحدها، واضطجع معها فيه بعد أن ألبسها قميصه، فقال له أصحابه: إنا ما رأيناك يا رسول الله صنعت بأحد ما صنعت بها، فقال: إنه لم يكن بأحد بعد أبي طالب أبر بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، وأضطجعت معها ليهوّن عليها ضغطة القبر، وفاطمة أول إمرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله من النساء.[٢]

وأم أبي طالب بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عايد بن عمران بن مخزوم، وهي أم عبد الله والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأم الزبير بن عبد المطلب، وسائر ولد عبد المطلب بعد لأمهات شتى.[٣]

وأختلف في مولد علي عليه السلام أين كان، فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة، والمحدثون لا يعترفون بذلك، ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن خزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.[٤]

---

[١] - مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني/٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/١، وقد روى ولادة حكيم بن حزام في الكعبة مجموعة من علماء العامة وهذه الاخبار مما وضعت ايام خلافة معاوية قاصدين بها طمس ==

أقول: مولد أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة مما اتفق على روايته العامة والخاصة،[1] وتسميته بأمير المؤمنين في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا عبرة بإنكار ابن أبي الحديد.

وقال ابن ابي الحديد: واختلف في سنّه حين أظهر النبي صلى الله عليه وآله الدعوة إذ تكامل له ﴿صلوات الله عليه﴾ أربعون سنة، فالأشهر من الروايات أنه كان ابن عشرسنين،[2] وكثير من أصحابنا المتكلمين يقولون إنه كان ابن ثلاث عشرة سنة،[3] ذكر ذلك شيخنا أبو القاسم البلخي وغيره من شيوخنا، والأولون يقولون إنه قتل وهو ابن ثلاث وستين سنة، وهؤلاء يقولون ابن ست

=مناقب سيد الوحدين واعطاء اعداءه شطراً من مناقبه، سيما حكيم بن حزام حيث انه كان من حلف لعقة الدم وهم بنو امية وحلفاؤهم الذين تاقدوا على نصرة الظلم مقابل حلف الفضول الذي كان هدفه نصرة المظلوم ومن الراوين لذلك هم: اسد الغابة ٢/ ٤٠، كتاب المحبر ابن حبيب البغدادي/١٧٦، شرح مسلم للنووي ١٤٢/٢، تاج العروس ٤٥/٦.

[1] - خصائص الائمة، الشريف الرضي/٣٩، روضة الواعظين،الفتال النيسابوري/٨١، مناقب ابن شهرآشوب ٤٥/٢، و ٣٨/٣، مزار المشهدي/٢٠٧، اقبال الاعمال لابن طاووس/١٣١، مزار الشهيد الاول/٩١، مناقب ابن المغازلي/٦ح ٣، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/٣٠، كفاية الطالب للكنجي/٤٠٥ الباب ٧.

[2] - الفصول المختارة للشيخ المفيد/٢٦٦، روضة الواعظين/٢٤١، الارشاد ٢٨٧/٢، العمدة/٦٣، ذخائر العقبى/٥٨، الصراط المستقيم/١٧٥.

[3] - ذخائر العقبى/٥٨.

وستين، والروايات في ذلك مختلفة، ومن الناس من يزعم أن سنّه كان لدون العشر، والأكثر الأظهر خلاف ذلك.[١]

وذكر أحمد بن يحيى البلاذري، وعلي بن الحسين الأصفهاني أن قريشاً أصابتها أزمة وقحط، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعميه حمزة والعباس: ألا نحمل ثقل أبي طالب في هذا المحل، فجاءوا إليه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم، فقال: دعوا لي عقيلاً فخذوا من شئتم، وكان شديد الحب لعقيل، فأخذ العباس طالباً، وأخذ حمزة جعفراً، وأخذ محمد صلى الله عليه وآله علياً، وقال: قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً، قالوا: فكان علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله منذ كان عمره ست سنين.[٢]

وكان ما يسدي إليه ﴿صلوات الله عليه﴾ من إحسانه وشفقته وبره وحسن تربيته، كالمكافاة والمعاوضة لصنيع أبي طالب به حيث مات عبدالمطلب وجعله في حجره، وهذا يطابق أقواله عليه السلام: لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين، وقوله: كنت أسمع الصوت، وأبصر الضوء سنين سبعاً، ورسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ صامت ما أذن له في الإنذار والتبليغ، وذلك لأنه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشر سنة، وتسليمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أمه وهو ابن ست، فقد صح أنه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين، وابن ست تصح منه العبادة إذا كان ذا تمييز وعلى

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد١ ١٥/١، الاغاني، أنساب الأشراف

أن عبادة مثله هي التعظيم والإجلال وخشوع القلب، وإستخذاء الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وآياته الباهرة، ومثل هذا موجود في الصبيان.[١]

وقتل عليه السلام ليلة الجمعة لثلاث عشر بقين من شهر رمضان سنة أربعين في رواية عبد الرحمن السلمي وهي الرواية المشهورة، وفي رواية أبي مخنف أنها كانت لإحدى عشر ليلة بقين من شهر رمضان، وعليه الشيعة في زماننا، والقول الأول أثبت عند المحدثين، والليلة السابعة عشرة من شهر رمضان هي ليلة بدر، وقد كانت الروايات وردت أنه يقتل في ليلة بدر عليه السلام.[٢]

وقبره بالغري، وما يدعيه أصحاب الحديث من الإختلاف في قبره، وأنه حمل إلى المدينة، وأنه دفن في رحبة الجامع، أو عند باب قصر الإمارة، أو ند البعير الذي حمل عليه فأخذته الأعراب باطل كله لا حقيقة له، وأولاده أعرف بقبره، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذي زاره بنوه لما قدموا العراق، منهم جعفر بن محمد عليه السلام وغيره من أكابرهم وأعيانهم.[٣]

قال: وروى أبو الفرج في مقاتل الطالبيين بإسناد ذكره هناك أن الحسين عليه السلام لما سئل أين دفنتم أمير المؤمنين؟ فقال: خرجنا به ليلاً من منزله

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦/١.

بالكوفة حتى مررنا به على مسجد الأشعث حتى انتهينا به إلى الظهر بجنب الغري.[١]

قال نصر بن مزاحم: وكان علي عليه السلام رجلاً ربعة، أدعج العينين، كأن وجهه قمر ليلة البدر حسناً، ضخم البطن، عريض المسربة،[٢] شثن الكفين،[٣] ضخم الكسور،[٤] كأن عنقه ابريق فضة، أصلع من خلفه شعر خفيف، لمنكبه مشاش كمشاش الأسد الضاري،[٥] إذا مشى تكفأ،[٦] ومار به جسده،[٧] ولظهره سنام كسنام الثور، لا يبين عضده من ساعده قد ادمجت ادماجاً، لم يمسك بذراع رجل قط الاّ أمسك بنفسه، فلم يستطع أن يتنفس، ولونه إلى السمرة ما، وهو أذلف الأنف،[٨] إذا مشى إلى الحرب هرول، قد أيده الله تعالى في حروبه بالنصر والظفر.[٩]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦/١، مقاتل الطالبيين/٢٦.

[٢] - المسربة شعر الصدر.

[٣] - الشثونة غلظة الكف.

[٤] - الكسور الاعضاء.

[٥] - المشاش رؤوس العظام.

[٦] - تكفأ في مشيته تمايل.

[٧] - مار به جسده تحرك ومال واضطرب.

[٨] - اذلف الانف الصغيرالقصير الانف.

[٩] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٩/٥، وقعة صفين/٢٣٣.

قال: فأما فضائله عليه السلام فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والإنتشار والإشتهار مبلغاً يسمج معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت أني حيث إنتهى بي القول منسوباً إلى العجز، مقصر عن الغاية فأنصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.[١]

[وقال ابن أبي الحديد:] ما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بني أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، وأجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريف عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أن يسمى أحد بإسمه، فما زاده ذلك الاّ رفعة وسمواً، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة.[٢]

---

[١]- شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦/١.

وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلي حلبتها، كل من برع فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.[١]

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، كان هو أشرف العلوم.

ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ، فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر، ومنهم تعلّم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم واصل ابن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام.[٢]

ثم ساق ابن أبي الحديد كلامه برجوع علماء الإسلام وفقهائهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وذكرنا نحن في الباب الثلاثين باب فضله عليه السلام ومرجع الفقهاء إليه عليه السلام.[٣]

بذلك تعين أن يكون هو الإمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لقوله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع﴾ الآية.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/١ وما بعدها.

[٤] - يونس/٣٥.

وسميت الكتاب بـ﴿**سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد مما ذكره ابن أبي الحديد**﴾، ولك أن تسميه بـ﴿**شفاء الغليل من تعليل العليل**﴾.

فلنشرع في المقصود متوكلين على الرب المحمود.

المطلب الأول
فيما ذكره في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام وفيه ثلاثة وسبعون باباً

الباب الأول
في ذكر الثقلين والتمسك بهما

قال ابن أبي الحديد: روى الواقدي قال: سئل الحسن عن علي عليه السلام - يعني الحسن البصري- وكان يظن به الإنحراف عنه، ولم يكن كما ظن، فقال: ما تقول فيمن جمع الخصال الأربع، إيتمانه على براءة، وما قال له الرسول في غزاة تبوك، فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستثناه، وقول النبي صلى الله عليه وآله: الثقلان كتاب الله وعترتي، وإنه لم يؤمر عليه أمير قط، وقد أمرت الأمراء على غيره؟[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤/٩٥.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين،[١] وقال صلى الله عليه وآله: اللهم أدر الحق معه حيث دار،[٢] وأمثال ذلك من النصوص الدالة على تعظيمه وتبجيله ومنزلته في الإسلام.[٣]

وقال النبي صلى الله عليه وآله: خلفت فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض،[٤] فعبر أمير المؤمنين عليه السلام عن أهل البيت بلفظ السبب لما كان النبي صلى الله عليه وآله قال: حبلان.

والسبب في اللغة الحبل وغيره،[٥] وعنى بقوله أمروا بمودته قوله تعالى: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودة في القربى﴾**.[٦]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له عليه السلام خلّف رسول الله صلى الله عليه وآله فينا راية الحق، من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها زهق، ومن

---

[١] - امالي الشيخ الصدوق/٦١٦، كمال الدين وتمام النعمة/٢٤٠، الفصول المختارة للشيخ المفيد/١٧٣، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٤/٥، بشارة المصطفى/٣٥٠، مناقب الخوارزمي/٢٠٠، ينابيع المودة ١٢٤/١.

[٢] - العمدة لابن البطريق/٢٠٠، تاريخ دمشق ٦٣/٣٠، شرح مائة كلمة لابن ميثم البحراني/٢٢٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٩٨/١٠.

[٤] - المجازات النبوية للشريف الرضي/٢١٦، العمدة/٨٣، البحار ٦٢٠/٢٩.

[٥] - النهاية لابن الاثير ٣٢٩/٢، سبب، لسان العرب ٤٥٩/١، مجمع البحرين ٣١٧/٢.

[٦] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩١/٩.

لزمها لحق، دليلها مكيث الكلام، بطيء القيام، سريع إذا قام، ألا أن مثل آل محمد كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم، طلع نجم.[١]

قال ابن أبي الحديد في الشرح: أراد بذلك راية الحق الثقلان المخلفان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهما الكتاب والعترة.[٢]

قال: يقول عليه السلام من خالفها متقدماً لها ومتأخراً عنها، فقد خرج عن الحق، ومن لازمها أصاب الحق.[٣]

ثم قال: دليلها مكيث الكلام يعني نفسه عليه السلام المشار إليه من العترة، وأعلم الناس بالكتاب، ومكيث الكلام بطيئه، ورجل بكيث، أي رزين، والمكث اللبث والإنتظار، فأما قوله عليه السلام مكيث الكلام، فإن قلة الكلام من صفات المدح، وكثرته من صفات الذم.[٤]

قال: ومن كتاب كتبه إلى الحارث الهمداني قال: وتمسك بحبل القرآن وانتصحه، وأحل حلاله، وحرم حرامه.[٥]

---

[١] - نهج البلاغة ١٩٣/١.، خطب.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٥/٧

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٥/٧

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٥/٧

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٥/١٨، نهج البلاغة، كتاب رقم ٦٩.

قال في الشرح: جاء في الخبر المرفوع لما ذكر الثقلين فقال: أما أحدهما كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، طرف بيد الله وطرف بأيدكم.[١]

قال في كلام له عليه السلام: وآخر قد تسمى عالماً وليس به، فأقتبس جهايل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس شركاً من حبائل غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يؤمن الناس من العظائم، ويهون كبير الجرائم، يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول أعتزل البدع، وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه، وذلك ميت الأحياء، فأين تذهبون، وأنى تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش.[٢]

أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلي منا وليس ببال، فلا تقولوا ما لا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٧/١٨.

[٢] - نهج البلاغة ١٥٣/١.

تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون، أعذروا من لا حجة لكم عليه وهو أنا، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر، قد ركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي، فلا تستعجلوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل إليه الفكر.[1]

قال ابن أبي الحديد في الشرح: الأعلام المعجزات ها هنا، جمع علم، وأصلها الجبل أوالراية، والمنار ينصب في الفلاة ليهتدى بها، وقوله فأين يتهاه بكم، أي اين يذهب بكم في التيه، ويقال: أرض تيهاء يتحير سالكها، وتعمهون تتحيرون وتضلون، وعترة رسول الله ﷺ أهله ونسله، وليس بصحيح قول من قال أنهم رهطه وإن بعدوا، وإنما قال أبو بكر ﴿رضي الله عنه﴾ يوم السقيفة أو بعده: نحن عترة رسول الله ﷺ وبيضته التي تفقأت عنه، على طريق المجاز، لأنهم بالنسبة عترة له، لا في الحقيقة لكنه بالاضافة، ألا ترى العدناني يفاخر القحطاني ابن عمه، وإنما استعمل ذلك ونطق به مجازاً، على طريق حذف المضافات، أي ابن عم أب الأأب إلى عدد كثير في البنين والآباء، فلذلك أراد أبو بكر ﴿رضي الله عنه﴾ أنهم عترة أجداده على طريق المضاف، وقد بيّن رسول الله ﷺمن عترته من هي لما قال: إني تارك

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٥/٦.

فيكم الثقلين، فقال: وعترتي أهل بيتي،[١] وبيّن في مقام آخر من أهل بيته حين طرح عليهم كساء، وقال حين نزل: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾،[٢] اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم.[٣]

قال: فإن قلت: فمن هي العترة التي عناها أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الكلام؟[٤]

قلت: نفسه وولداه، والأصل في الحقيقة نفسه، لأن ولديه تابعان له، ونسبتهما إليه مع وجوده نسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة، وقد نبه النبي صلى الله عليه وآله على ذلك بقوله: وأبوكما خير منكما.[٥]

فهم أزمة الحق، جمع زمام، كأنه جعل الحق معهم حيثما داروا وذاهباً معهم حيثما ذهبوا، كما أن الناقة طوع زمامها، وقد نبه الرسول الله صلى الله عليه وآله على صدق هذه القضية بقوله: وأدر الحق معه حيث دار.[٦]

---

[١] - امالي المفيد/٤٦، العوالم للبحراني، قسم الامام الحسين عليه السلام/٧٣٤.

[٢] - الاحزاب/٣٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٥/٦.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٦/٦.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٦/٦، شرح الاخبار للقاضي النعمان ٣٧٤/٢، شواهد التنزيل، للحاكم الحسكاني ٤٥٥/١، البحار ٢٨٦/٤٣.

[٦] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٦/٦.

وقوله: وألسنة الصدق من الألفاظ الشريفة القرآنية، قال الله تعالى: ﴿**وأجعل لي لسان صدق في الآخرين**﴾ لما كان لا يصدر عنهم حكم ولا قول الاّ وهو موافق للحق والصواب، جعلهم كأنهم ألسنة صدق لا يصدر عنها قول كاذب أصلاً، بل هي كالمطبوعة على الصدق.[١]

وقوله: فأنزلهم بأحسن منازل القرآن، تحته سر عظيم، وذلك أنه أمر المكلفين بأن يجروا العترة في إجلالها وإعظامها والإنقياد لها، والطاعة لأوامرها مجرى القرآن.[٢]

قال: فإن قلت: فهذا القول منه عليه السلام مشعر بأن العترة معصومة، فما قول أصحابكم في ذلك؟[٣]

قال: قلت: نص أبو محمد بن متوية رحمه الله في كتاب ﴿الكفاية﴾ على أن علياً عليه السلام معصوم وإن لم يكن واجب العصمة، ولا العصمة شرط في الإمامة، لكن أدلة النصوص قد دلت على عصمته، والقطع على باطنه ويقينه، وأن ذلك أمر اختص هو عليه السلام به دون غيره من الصحابة، والفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم، وبين قولنا زيد واجب العصمة، لأنه إمام، ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً، فالإعتبار الأول مذهبنا، والإعتبار الثاني مذهب الإمامية.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٧٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٧٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٧٦.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٧٦.

ثم قال عليه السلام وردوهم ورد الهيم العطاش، أي كونوا ذوي حرص وانكماش على أخذ العلم والدين منهم، كحرص الهيم الظمآء على ورود الماء.[1]

قال: فإن قلت: فهل هذا الكلام عنه عليه السلام أم قاله مرفوعاً؟

قال: قلت: بل ذكره مرفوعاً ألا تراه قال: خذوها عن خاتم النبيين.[2]

ثم نعود إلى التفسير فنقول: إنه عليه السلام لما قال لهم ذلك علم أنه قال قولاً عجيباً، وذكر أمراً غريباً، وعلم أنهم ينكرون ذلك، ويعجبون منه، فقال لهم: فلا تقولوا ما لا تعرفون، أي لا تكذبوا إخباري، ولا تكذبوا إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله لكم بهذا، فتقولون ما لا تعلمون صحته.[3]

ثم قال: فإن أكثر الحق الأمور العجيبة التي تنكرونها كإحياء الموتى في القيامة، وكالصراط والميزان، والنار والجنة، وسائر أحوال الآخرة، هذا إن كان خاطب من لا يعتقد الإسلام، فإن كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام فإنه يعني بذلك أن أكثرهم كانوا مرجئة ومشبهة ومجبرة، ومن يعتقد أفضلية غيره عليه، ومن يعتقد أنه شرك في دم عثمان، ومن يعتقد أن معاوية صاحب حجة

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٧٧/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٨٠/٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٨٠/٦.

في حربه، أو شبهة يمكن أن يتعلق بها متعلق، ومن يعتقد أنه أخطأ في التحكيم، إلى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها.[١]

ثم قال: واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو أنا، يقول: قد عدلت فيكم، وأحسنت السيرة فأقمتكم على المحجة البيضاء حتى لم يبق لأحد منكم حجة يحتج بها عليّ.[٢]

ثم شرح ذلك فقال: عملت فيكم بالثقل الأكبر يعني الكتاب، وخلفت فيكم الثقل الأصغر يعني ولديه عليهما السلام، لأنهما بقية الثقل الأصغر، فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منهم أنهما الثقل الأصغر، وإنما سمى النبي صلى الله عليه وآله الكتاب والعترة الثقلين، لأن الثقل في اللغة متاع المسافر وحشمه، فكأنه صلى الله عليه وآله لما شارف الإنتقال إلى جوار ربه جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل، وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه، لأنهما أخص الأشياء به.[٣]

قوله عليه السلام: وركزت فيكم راية الإيمان، أي غرزتها واثبتها، وهذا من باب الاستعارة، وكذلك قوله ووقفتكم على حدود الحرام والحلال من

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٨٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٨٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٨٠.

الاستعارة أيضاً، مأخوذة من حدود الدار، وهي الجهات الفاصلة بينها وبين غيرها.[١]

قوله: وألبستكم العافية من عدلي استعارة فصيحة، وأفصح منها قوله: وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، أي جعلته لكم فراشاً، وفرش ها هنا متعد إلى مفعولين، يقال: فرشته كذا، أي أوسعته إياه.[٢]

ثم نهاهم أن يستعملوا الرأي فيما ذكره لهم من خصائص العترة وعجيبها ما منحها الله تعالى، فقال: ان أمرنا صعب لا تهتدي إليه العقول ولا تدرك الابصار قعره، ولا يتغلغل الأفكار إليه، والتغلغل الدخول، من تغلغل الماء بين الشجر اذا تخللها ودخل بين اصولها.[٣]

قال: قال عليه السلام في آل محمد صلى الله عليه وآله: نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا يؤتى البيوت الاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً، فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٨١/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٨١/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٨١/٦.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٤/٩، نهج البلاغة ٤٤/٢.

الباب الثاني
في نص رسول الله صلى الله عليه وآله
على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة

قال ابن أبي الحديد: روى ابن ديزيل، قال: حدثنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا علي بن القاسم، عن سعيد بن طارق، عن عثمان بن القاسم، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ألا أدلكم على ما إن سالمتم عليه لم تهلكوا، إن وليكم الله وإمامكم علي بن أبي طالب، فناصحوه وصدقوه، فإن جبرئيل أخبرني بذلك.**[1]

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: هذا نص صريح في الإمامة، فما الذي تصنع المعتزلة بذلك؟[2]

قلت: يجوز أن يريد أنه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية لا في الخلافة، وأيضاً فإنا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما محصله إن الإمامة كانت لعلي عليه السلام إن رغب فيها ونازع عليها، وإن أقرها في غيره وسكت عنها تولينا ذلك الغير وقلنا بصحة خلافته، وأمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الأئمة الثلاثة ولا جرد السيف، ولا استنجد بالناس عليهم، فدل ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه، فلذلك توليناهم، وقلنا فيهم بالطهارة والخير

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٨/٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٨/٣.

والصلاح، ولو حاربهم وجرد السيف عليهم، وأستصرخ العرب على حربهم، لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعاملة من التفسيق والتضليل.[١]

قلت: كيف يرغب أمير المؤمنين عليه السلام عن منصب رسول الله صلى الله عليه وآله ما سوى النبوة بالنص عليه من الله عزّ وجل على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وجعله حجة على خلقه! وكيف يخالف أمير المؤمنين عليه السلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله من إعطاء الإمامة غيره مع عصمته عليه السلام، كما ذكره ابن أبي الحديد؟! وسيأتي إن شاء الله تعالى باب في ذلك في أمره ونهيه، إن هذا إلاّ بهتان مبين، على أنا نقول لو كان أبو بكر وعمر وعثمان معصومين ما ولاهم عليه السلام بغير أمر الله سبحانه وتعالى، وأمر رسوله صلى الله عليه وآله، وكيف وفيهم الطعون التي نقلها ابن أبي الحديد في الثلاثة، كما وقع عند ذكرهم في هذا الشرح مما نقله فيهم من المثالب والطعون المؤيدة إلى الفسوق بل الكفر، وسيأتي إن شاء الله تعالى في الأبواب الآتية في أن الثلاثة أرادوا مبايعته قبل أن يبايعهم عليه السلام وصد الأولين عن ذلك المغيرة بن شعبة الذي كفرته المعتزلة، وكان عدواً لأمير المؤمنين عليه السلام، كما ستقف عليه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى عند ذكرنا مطاعن المغيرة بن شعبة، على أن ابن أبي الحديد قد نقل عداوة من تقدم عليه عليه السلام له، وكيف يعطي أعدائه المطعون فيهم منصب النبوة المتلقاة من الله تعالى ومن رسوله، وسيأتي إن شاء الله تعالى عن قريب في الأبواب الآتية باب أنه نازع الأولين الإمامة والخلافة، وباب آخر أنه عليه السلام استنجد الناس على طلب

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٨/٣.

حقه من الإمامة والخلافة، ولم يساعده على ذلك إلاّ الأربعة، وسيأتي إن شاء الله تعالى باب آخر في تظلمه منهم.

وكيف يقول ابن أبي الحديد ما طلب حق، ولا نازع ولا استنجد، وهذا عجيب من أبن أبي الحديد، وتعصب لمذهب الاعتزال على أنه قد اعترف لأمير المؤمنين عليه السلام بموجب الإمامة والخلافة حيث قال في تأويل النص الذي لا يقبل غير معنى الإمامة والخلافة: يجوز أن يريد أنه إمامهم في الفتاوي والأحكام الشرعية لا الخلافة.[١]

قلت: لا معنى للإمام إلاّ الذي يرجع إليه في الفتاوى والأحكام الشرعية، ويجب على الرعية تقليده في ذلك، والرجوع إليه فيها، لأن في مخالفته مخالفة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، لأنه منصوب من الله تعالى في ذلك، فلم يبق بعد ذلك إلاّ سياسة الرعية، ولا يتولى سياسة الرعية إلاّ العالم بالأحكام الشرعية، وغيره لا يجوز أن يتولى ذلك لجهله بموقع السياسة وأحكامها الشرعية، وهذا واضح بيّن لا غبار عليه.

فلعمري أن يقال لابن أبي الحديد ومن كان مثله في الاطلاع، وهو على مذهب من الاعتزال وغيره جرى فيهم قول الله تعالى: ﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٨/٣.

[٢] - فصلت/١٧.

وسيأتي إن شاء الله تعالى في الباب الثامن ما اذا اضيف إلى ما هنا لعلم المراد، فيؤخذ تمامه من ذلك الباب.

قال ابن أبي الحديد: قال ابن زيد: وحدثنا يحيى بن عبدالله الكرابيسي، قال: حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن عمار بن زريق، عن عمار الدهني، عن سالم بن أبي الجعد، قال: جاء رجل الى عبد الله بن مسعود فقال: إن الله تعالى قد آمننا أن يظلمنا، ولم يؤمنا أن يفتننا، أرأيت اذا نزلت فتنة كيف نصنع؟ فقال: عليك بكتاب الله، قال: أفرأيت إن جاء قوم كلهم يدعو إلى كتاب الله تعالى؟ فقال ابن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق، يعني عماراً.[1]

قال: قال نصر: حدثنا عمر بن سعد، فقال: فبينا علي عليه السلام واقفاً بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفناء قحطان، إذ نادى رجل من أهل الشام من يدل على أبي نوح الحميري فقيل له قد وجدته، فماذا تريد؟ قال: فحسر عن لثامه واذا هو ذو الكلاع الحميري، ومعه جماعة من أهله ورهطه، فقال لأبي نوح: سر معي، قال: إلى أين؟ قال: إلى أن تخرج عن الصف، قال: وما شأنك؟ قال: إن لي إليك حاجة، فقال أبو نوح: معاذ الله أن أسير إليك إلاّ في كتيبة، قال ذو الكلاع: بلى فسر ولك ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة ذي الكلاع حتى ترجع إلى خيلك، فانما أريد أن أسألك عن أمر فكم تمارينا فيه، فسار أبو نوح وسار ذو الكلاع فقال له: إنما دعوتك أحدثك حديثاً حدثنا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٨/٣.

عمرو بن العاص قديماً في خلافة عمر بن الخطاب، ثم اذكرناه الآن به، فأعاده أنه زعم أنه سمع رسول الله ﷺ قال: يلتقي أهل الشام وأهل العراق وفي إحدى الكتيبتين الحق، إمام الهدى، وعمار ابن ياسر، فقال أبو نوح: نعم، والله إنه لفينا، قال: نشدتك الله أجاد هو على قتالنا؟ قال أبو نوح: نعم ورب الكعبة، لهو أشد على قتالكم مني، ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم، وأنت ابن عمي، قال ذو الكلاع: ويلك علام تتمنى ذلك منا، فوالله ما قطعتك فيما بيني وبينك قط، وإن رحمك لقريبة، وما يسرني أن أقتلك، قال أبو نوح: إن الله قطع بالإسلام أرحاماً كثيرة قريبة، ووصل به أرحاماً متباعدة، وإني قاتلك وأصحابك، لأنا على الحق، وأنتم على الباطل، قال ذو الكلاع: فهل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشام، فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره بحال عمار وجده في قتالنا، لعله أن يكون صلح بين هذين الجندين.[1]

قلت: وا عجباه من قوم يعتريهم الشك في أمرهم لمكان عمار، ولا يعتريهم الشك لمكان علي عليه السلام، ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم، ولا يعبأون بمكان علي، ويحذرون من قول النبي ﷺ: تقتلك الفئة الباغية، ويرتاعون لذلك، ولا يرتاعون لقوله ﷺ في علي عليه السلام: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، ولا لقوله: ولا يحبك إلاّ مؤمن، ولايبغضك إلاّ منافق، وهذا يدلك على أن علياً عليه السلام أجهد من قريش

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦/٨، وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري/٣٣٣.

كلها من مبدأ الأمر في إخمال ذكره، وستر فضائله، وتغطية خصائصه حتى محي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلاّ قليلاً منهم.[١]

وساق الحديث بطوله إلى أن قال عمرو بن العاص يا ابا اليقظان - يعني عمار بن ياسر- ليس لهذا جئت، لأني رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم، اذكرك الله ألا كففت سلاحهم، وحقنت دماءهم، وحرصت على ذلك، فعلام تقاتلونا، ألسنا نعبد إلهاً واحداً، ونصلي إلى قبلتكم، وندعو دعوتكم، ونقرأ كتابكم، ونؤمن بنبيكم؟![٢]

فقال عمار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك، إنها لي ولأصحاب القبلة والدين، وعبادة الرحمن، والنبي والكتاب من دونك ودون أصحابك، الحمد لله الذي قررك لنا بذلك، وجعلك ضالاً مضلاً، أعمى، وسأخبرك على ما أقاتلك عليه وأصحابك، إن رسول الله ﷺ أمرني أن أقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين وأنتم هم، وأما المارقون فلا أدري ادركهم أم لا، أيها الابتر!

ألست تعلم أن رسول الله ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، فأنا مولى الله ورسوله، وعلي مولاي بعدهما.

قال عمرو: ولم تشتمني يا أبا اليقظان ولست اشتمك؟

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٨.

قال عمار: ولِمَ تشتمني أتستطيع أن تقول أني عصيت الله ورسوله يوماً قط؟

قال عمرو: وإن فيك لمساب سوى ذلك.

قال عمار: إن الكريم من أكرمه الله، كنت وضيعاً فرفعني الله، ومملوكاً فاعتقني الله، وضعيفاً فقواني الله، وفقيراً فأغناني الله.[١]

وقال ابن أبي الحديد: روي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له: لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لم تكن نبياً، فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء، وإمام الأتقياء.[٢]

وقال ابن أبي الحديد: وأعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي أتاه الله إياها، واختصه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق ﴿صلوات الله عليه﴾ في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامة الشائعة التي يحتج بها الإمامية على إمامته كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة براءة، وخبر المناجاة، وقصة خيبر، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك، بل الأخبار الخاصة التي رواها فيه أئمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره، وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/٨، وقعة صفين/٣٣٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٠/١٣.

يتهمون فيه، وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فرواياتهم فضائله توجب سكون النفس ما لا يوجبه خبر غيرهم.[١]

ثم إن ابن أبي الحديد ذكر أربعة وعشرون خبراً في فضائله، منها ما هو مشتمل على النص على إمامته، فنذكر منها كل شيء في بابه.

فقال ابن أبي الحديد: الخبر الاول: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها، هي زينة الأبرار عند الله تعالى، الزهد في الدنيا، جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً.[٢]

رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بحلية الأولياء،[٣] وزاد فيه أبو عبدالله أحمد بن حنبل في المسند: فطوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك.

الخبر الثالث: إنه قال صلى الله عليه وآله: إن الله عهد اليّ في علي عهداً، فقلت: بيّنه لي، قال: اسمع، إن علياً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه فقد أحبني، ومن أطاعه أطاعني، فبشره بذلك، فقلت: قد بشرته يا رب، فقال: أنا عبد الله وفي قبضته، فإن يعذبني فبذنوبي لم يظلم شيئاً، وإن يتم لي ما وعدني فهو أولى، وقد دعوت له فقلت:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٦/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٦/٩.

[٣] - حلية الأولياء ٧١/١.

اللهم اجعل قلبه، واجعل ربيعه الإيمان بك، قال: قد فعلت ذلك، غير أني مختصه بشيء من البلاء لم أختص به أحداً من أوليائي، فقلت: رب أخي وصاحبي، قال: إنه سبق في علمي إنه لمبتلى ومُبتلي.[1]

ذكره نعيم الحافظ في حلية الأولياء عن أبي بريدة الأسلمي،[2] ثم رواه باسناد آخر بلفظ آخر عن أنس بن مالك: إن رب العالمين عهد إليّ عهداً في علي أنه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني، إن علياً أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي، بيد علي مفاتيح خزائن رحمة ربي.[3]

الخبر التاسع: يا أنس اسكب لي وضوءاً، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال: أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب المؤمنين، وخاتم الوصيين، وقائد الغر المحجلين، قال أنس: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمت دعوتي، فجاء علي عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: من جاء يا أنس؟ فقلت: علي، فقام إليه مستبشراً فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه، فقال علي: يا رسول الله، صلى الله عليك وآلك، لقد رأيت منك اليوم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٧/٩.

[2] - حلية الأولياء لابي نعيم ٦٧/١.

[3] - حلية الأولياء لأبي نعيم ٦٦/١.

تصنع بي شيئاً ما صنعته بي قبل، قال: وما يمنعني، وأنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي.[١]

رواه أبو نعيم الحافظ في حليه الأولياء.[٢]

الخبر الحادي عشر: مرحباً بسيد المؤمنين، وإمام المتقين، فقيل لعلي: كيف شكرك؟ فقال: أحمد الله على ما أتاني، وأسأله الشكر على ما أولاني، وأن يزيدني مما أعطاني.[٣]

ذكره صاحب الحلية ايضاً.[٤]

الخبر الثاني عشر: من سره أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتدي بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طيني، ورزقوا فهماً وعلماً، فويل للمكذبين من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي.[٥]

الحديث الرابع والعشرون: لما أنزل الله **﴿اذا جاء نصر الله والفتح﴾**[٦] بعد انصرافه ﷺ من غزاة حنين، جعل يكثر من سبحان الله، استغفر الله، ثم قال: يا علي إنه قد جاء ما وعدت به، جاء الفتح، ودخل الناس في دين

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٩.

[٢] - حلية الأولياء لأبي نعيم ٦٣/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٤] - حلية الأولياء لأبي نعيم ٦٦/١.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٦] - النصر/١.

الله أفواجاً، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي، لقدمك في الإسلام، وقربك مني وصهرك، وعندك سيدة نساء العالمين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، فأنا حريص على أن أراعي ذلك لولده.[١]

رواه أبو إسحاق الثعلبي في تفسير القرآن.[٢]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: فقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تعتعوا، وتطلعت حين تقبعوا، ومضيت بنور الله حيث وقفوا، وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم فوتاً، فطرت بعنانها، واستبددت برهانها، كالجبل لا تحركه القواصف، ولا تزيله العواصف، لم يكن لأحد لي مهمز، ولا لقائل فيّ مغمز، الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، رضينا عن الله قضاه، وسلمنا أمره، أتراني أكذب على رسول الله! والله لأنا أول من صدقه، فلا أكون أول من كذبه، فنظرت في أمري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا الميثاق في عنقي لغيري.[٣]

قال ابن أبي الحديد بعد ذلك: فإن قيل: فهذا تصريح بمذهب الإمامية.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

[٢] - تفسير الثعلبي

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٤/٢، نهج البلاغة ٨٨/١

قيل: ليس الأمر كذلك بل هو تصريح بمذهب أصحابنا البغداديين لأنهم يزعمون أنه الأفضل والأحق بالإمامة، وإنه لولا ما يعلمه الله ورسوله من الأصلح للمكلفين تقديم المفضول عليه لكان من تقدم عليه هالكاً، فرسول الله صلى الله عليه وآله أخبره أن الإمامة حقه، وأنه أولى بها من الناس أجمعين، وأعلمه أن في تقديم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعة إلى المكلفين، وأنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها، ويغضي عنها لمن هو دون مرتبته، فأمتثل ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يخرجه تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحق، وقد صرح شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله، وبهذا صرح به تلامذته وقالوا: لو نازع عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسل السيف لحكمنا بهلاك من خالفه وتقدم عليه، كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة اذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، واذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال: علي مع الحق، والحق مع علي، يدور حيثما دار، وقال له غيرمرة: حربك حربي، وسلمك سلمي، وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي وبه أقول.[١]

قلت: هذا الكلام من ابن أبي الحديد عجيب وهو يضحك الثكلى، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره أن الإمامة حقه عليه السلام ويعطيها أبا بكر وعمر

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٦/٢.

وعثمان، إن هذا إلاّ بهتان مبين! كيف علي عليه السلام يعطي الإمامة التي هي منصب المعصومين الأنبياء والأوصياء التي أشار الله جل جلاله إليها في قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: ﴿**إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾،[1] فأبطلت هذه الآية إمامة كل مشرك وعابد صنم ووثن لقوله تعالى: ﴿**ان الشرك لظلم عظيم**﴾،[2] ولا ريب أن الثلاثة كانوا يعبدون الأصنام، وعليه اجماع أهل الإسلام، كما أن إجماعهم انعقد على أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يعبد صنماً ولا وثناً، كما صرح ابن أبي الحديد بأن أمير المؤمنين علي عليه السلام معصوم، ونقل عصمته عليه السلام عن أبي بكر، كما يأتي إن شاء الله تعالى في باب مفرد.

وقال: قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: أخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا عبد العزيز بن الخطاب، قال: حدثنا علي بن هاشم مرفوعاً إلى عاصم ابن عمر بن قتادة، قال: قال علي: جعلني الله علماً، فاذا قمت فمن خالفني ضل.[3]

---

[1] - البقرة/١٢٤.

[2] - لقمان/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٧/٢.

فائدتان

الفائدة الأولى

قال الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام: لا يعاب المرء بتأخير حقه، إنما يعاب بأخذ ما ليس له.[١]

قال ابن أبي الحديد في الشرح: لعل هذه الكلمة قالها جواب سائل سأله لم أخرت المطالبة بحقك من الإمامة، ولا بد من اضمار شيء في الكلام على قولنا وقول الإمامية، لأنا نحن نقول إن الأمر حقه بالأفضلية، وهم يقولون إنه حقه بالنص، وعلى كلا التقديرين فلا بد من اضمار شيء في الكلام، لأن لقائل أن يقول له عليه السلام لو كان حقك من غير أن يكون للمكلفين فيه نصيب لجاز ذلك أن تؤخره، كالدين الذي تستحقه على زيد، يجوز لك أن تؤخره لأنه خالص لك وحدك، فأما إذا كان للمكلفين فيه ماسة، فكيف يجوز لك تأخير ما فيه مصلحة المكلفين، فإذاً لا بد من اضمار شيء في الكلام، وتقديره لا يعاب المرء بتأخير حقه إذا كان هناك مانع عن طلبه، ويستقيم المعنى حينئذ على المذهبين جميعاً، لأنه إذا كان هناك مانع جاز تقديم غيره عليه، وجاز له أن يؤخر حقه خوف الفتنة، والكلام في الموضع مستقصى في تصانيفنا في علم الكلام.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٩٠/١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٩٠/١٨.

قلت: لقائل يقول لابن أبي الحديد ما هذه الفتنة التي أوجبت عليه أن يؤخر حقه، ولم لا يجب على من تقدم عليه أن يقدموه ويعطوه حقه من غير فتنة تلجئه إلى ترك حقه، وقد صرح ابن أبي الحديد في شرحه غير مرة أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه، وقد أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله أنه الإمام بعده صلى الله عليه وآله وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين، وعلى الرعية التسليم وإلاّ جاءهم العذاب الأليم.

الفائدة الثانية

قال إمام الأمة علي بن أبي طالب عليه السلام: عليكم بطاعة من لا تعذرون في جهالته.[1]

قال ابن أبي الحديد في شرح ذلك: يعني نفسه عليه السلام هو حق على المذهبين جيمعاً، أما نحن فعندنا أنه إمام واجب الطاعة بالإختيار، فلا يعذر أحد من المكلفين في الجهل بوجوب طاعته، وأما على مذهب الشيعة فلأنه إمام واجب الطاعة بالنص، فلا يعذر أحد من المكلفين في جهالة إمامته، وعندهم أن معرفة إمامته تجري مجرى نبوة محمد صلى الله عليه وآله، ومجرى معرفة الباري سبحانه، ويقولون لا يصح لأحد صلاة ولا صوم ولا عبادة إلاّ بمعرفة الله والنبي والإمام على التحقيق، فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى، لأن من جهل إمامة علي عليه السلام وأنكر صحتها ولزومها فهو عند أصحابنا مخلد في النار

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٣/١٨.

لا ينفعه صوم ولا صلاة، لأن معرفة ذلك من الأصول الكلية التي هي أركان الدين، وكلنا لا نسمي منكر إمامته كافراً بل نسميه فاسقاً وخارجياً ومارقاً ونحو ذلك، والشيعة تسمية كافراً، فهذا هو الفرق بيننا وبينهم، وهو في اللفظ لا في المعنى.[١]

وقال في قول النبي ﷺ الأئمة من قريش بعد نقل المذاهب في الإمامة.

قال: فإن قلت: إني شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة وأصولهم، فما قولك في هذا الكلام، وهو تصريح أن الإمامة لا تصلح من قريش إلاّ في بني هاشم خاصة، وليس ذلك بمذهب المعتزلة لا متقدميهم ولا متأخريهم؟[٢]

قلت: هذا الموضع مشكل ولي فيه نظر، وإن صح أن علياً عليه السلام قال، قلت كما قال، لأنه ثبت عندي أن النبي ﷺ قال : إنه مع الحق والحق معه يدور معه حيث دار، ويمكن أن يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة، فيحمل على أن المراد كمال الإمامة كما حمل قوله ﷺ لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد على نفي الكمال لا على نفي الصحة.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٣/١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٦/٩

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٨/٩

أقول: هذا حمل باطل، وسيأتي ما يدل على بطلانه في موضع آخر مع ظهور بطلانه لمن تأمل بأدنى تأمل، وسيأتي في الباب الأول عن بعض علماء العامة أنه يقول إن إمامة علي عليه السلام ثابتة بالنص، وتأويلات المعتزلة للنص باطلة.

الباب الثالث
في نص رسول الله ﷺ على أمير المؤمنين
علي ابن أبي طالب عليه السلام بالخلافة بعده
وبطلان تأويل النص

قال ابن أبي الحديد: روى ابن عباس رحمه الله قال: دخلت على عمر في أول خلافته، وقد ألقى صاع من تمر على خصفة فدعاني إلى الأكل فأكلت تمرة واحدة، وأقبل يأكل ثم شرب من جرة كان عنده واستلقى على مرفقة له، وطفق يحمد الله يكرر ذلك، ثم قال: من أين جيت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر، قلت: خلفته يلعب مع أترابه، قال: لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت: خلفته يمسّح بالغرب على نخيلات من قلاة، ويقرأ القرآن، قال: يا عبدالله عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ فقلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله ﷺ نص عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك سألت أبي عما يدعيه، فقال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذرو من قول، لا يثبت حجة، ولا يقطع عذراً، ولقد كان يرتع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرح بإسمه فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لأنتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أني علمت ما في

نفسه فأمسك وأبي الله إلاّ امضاء ما حتم. ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب التاريخ ببغداد في كتابه مسنداً.[١]

قال: قال أبو مخنف: جاءت عايشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها: يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك، وكان جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك، فقالت أم سلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة، فقالت عائشة: إن عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمت الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا، فقالت لها أم سلمة: إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان، وتقولين أخبث القول فيه، وما كان إسمه عندك إلاّ نعثلاً، وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله فاذكرك؟ قالت: نعم.

قالت: اتذكرين يوم أقبل علي عليه السلام ونحن معه إذ اهبط من قديد ذات الشمال خلا بعلي يناجيه فاطال، فأردت تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني، فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكية، فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إني هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلاّ يوم من تسعة أيام، فما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام وهو غضبان محمر الوجه، فقال: ارجعي وراءك، والله لا يبغضه أحد

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢/٢٠.

من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلاّ وهو خارج من الإيمان، فرجعت نادمة ساقطة، فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.[1]

قالت: واذكرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ وأنت تفلين رأسه وأنا أحيس له حيساً، وكان الحيس يعجبه، فرفع رأسه وقال: ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الأذنب، تنبحها كلاب الحوأب، ثم قال: يا بنت أبي امية إياك أن تكونيها فتكوني ناكبة عن الصراط، فرفعت رأسي من الحيس فقلت: أعوذ با لله وبرسوله من ذلك، ثم ضرب على ظهرك فقال: إياك أن تكونيها يا حميراء، أما أنا قد انذرتك. قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.[2]

قالت: واذكرك أيضاً كنت وأنا وأنت مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ في سفر له وكان علي عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ يتعاهد نعلي رسول الله فيخصفها، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل فأخذها يومئذ يخصفها، وقعد في ظل سمرة، وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب ودخلا فحادثاه فيما أرادا، ثم قالا: يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من تستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً؟ فقال لهما: أما إني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا، ثم خرجا فلما خرجا أتى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ قلت له: وكنت أجرأ عليه منّا، من كنت يا رسول الله متسخلفاً

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٧/٦.

[2] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٧/٦.

عليهم؟ فقال: خاصف النعل، فنظرنا فلم نرَ أحداً إلاّ علياً، فقلت: يا رسول الله ما أرى إلاّ علياً! فقال: هو ذاك.[١]

فقالت عائشة نعم اذكر ذلك، فقالت: فأي خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنما اخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت: أنت ورأيك، فانصرفت عائشة عنها، وكتبت أم سلمة بما قالت وقيلها إلى علي عليه السلام.[٢]

فإن قلت: فهذا نص صريح في إمامة علي عليه السلام فما تصنع أنت وأصحابك المعتزلة به؟[٣]

قلت: كلا، إنه ليس بنص كما ظننت، لأنه صلى الله عليه وآله لم يقل قد استخلفته، وإنما قال لو قد استخلفته، وذلك لا يقضي حصول الاستخلاف، ويجوز أن يكون مصلحة المكلفين متعلقة بالبعث عليه لو كان النبي صلى الله عليه وآله مأموراً بأن ينص على إمام بعينه من بعده، ويكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاؤا، وإذا تركهم النبي صلى الله عليه وآله ولم يعين أحداً.

قلت: هذا نص صريح على استخلافه لعلي عليه السلام كما ذكره، وتأويله هذا النص باطل من وجهين:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٢١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٢١٨.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٢١٨.

الوجه الاول: إن أبا بكر وعمر طلبا تعيين من يستخلفه على الناس بعد وفاته ﷺ فاجابهما ﴿صلوات الله عليه﴾ فقال: أرى مكانه، يدل على أن الخليفة يرى مكانه رسول الله ﷺ في تلك الحال ولم يكن حاضراً إلاّ علي عليه السلام كما ذكر في الحديث: فنظرنا فلم نرَ أحداً إلاّ علياً، فقلت: يا رسول الله ما أرى إلاّ علياً، فقال: هو ذاك، فهذا نص صريح في تعيين الخليفة من بعده ﷺ، وهما لما سمعا رسول الله ﷺ أرى مكانه ولم يكن حاضراً إلاّ علي علما أنه المستخلف والخليفة بعده، والدليل على ذلك أنهما سكتا وخرجا، لأن مطلبهما العلم بمن يستخلفه، فأجابهما بتعيينه فقد حصل جواب سؤالهما.

والوجه الثاني: تعيينه لعائشة بعد أن فهما مراده ﷺ، عائشة طلبت بيان ما بينّه لهما وفهماه من رسول الله ﷺ.

فإن قلت: ما تقول في كلام ابن أبي الحديد في تأويل النص؟

قلت: تأويل النص باطل، لأن النبي ﷺ في سؤالهما عمن يستخلف قال: أرى مكانه على معنى هو حاضر، وتعيينه بعد سؤال عائشة أنه علي ابن أبي طالب عليه السلام، وهذا واضح بيّن، وقوله لو فعلت لتفرقتم عنه، هذا و قع منه ﷺ بعد تعيينه لهما بقوله أرى مكانه لكنه أخبرهما بأنهم يتفرقون عنه بعد تعيينه، وفي ذلك طعن كبير عليهم حيث يتفرقون عن من عيّنه، وكأنهما قاما على حالة الغضب حيث قال لهما رسول الله ﷺ، لأنه ﷺ قد أخبرهما بأنهم يعصونه في من عيّنه للخلافة بعده، فكان كما قال رسول الله ﷺ، وهذا مثال قول أحدنا لآخر: أنت رسولي إلى بني فلان غداً، ولو جئتهم ما

أطاعوك، فالجملة الثانية لا تنافي الأولى، ولا يقال ما عيّن الرسول اليهم، بل المرسل أخبر أن رسوله لا يطاع بعد تعيينه رسولاً، وهذا واضح لا خفاء فيه، وليت شعري ما حمل ابن أبي الحديد على تأويل النصوص الدالة على خلافة وإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام المجمع عليه بين أهل الإسلام بأنه الصالح للخلافة والإمامة بصفاته الزكية، وأخلاقه المرضية، والطهارة من الرجس بنص الكتاب العزيز مع النص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمامة والخلافة كما هو معلوم عند أهل الإسلام، إن هذا إلاّ خسران مبين، وإتباع للشيطان الرجيم.

وقال: روى الطبري في تاريخه عن عبد الله ابن عباس، عن علي ابن أبي طالب عليه السلام قال لما نزلت هذه الاية: ﴿**وانذر عشيرتك الاقربين**﴾[1] على رسول الله صلى الله عليه وآله دعاني فقال: يا علي إن الله أمرني أن انذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً، وعلمت أني متى ما أبادههم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت حتى جاءني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به يعذبك ربك، فأصنع لنا صاعاً من طعام، وأجعل عليه رجل شاة، وأملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم وهم يؤمئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعو إليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله بعضاً من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة، ثم قال كلوا

---

[1] - الشعراء/٢١٤.

بإسم الله، فأكلوا حتى ما لهم إلى شيء من حاجة، وأيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد مهم ليأكل ما قدمته لجميعهم، ثم قال: اسق القوم يا علي فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه حتى رروا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: أشد ما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، فقال من الغد: يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا اليوم إلى مثل ما صنعت بالأمس، ثم اجمعهم لي، ففعلت، ثم جمعهم، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه جميعاً حتى رووا، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم أن شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أنه أخي، ووصي، وخليفتي فيكم، فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: أنا وإني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، واخمشهم ساقاً، قال: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأعاد القول فأمسكوا، وأعدت كما قلت، فأخذ رقبتي، ثم قال لهم: هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم، فأسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع.[١]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٠/١٣.

قال: ويدل على انه وزير رسول الله ﷺ من نص الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿**واجعل لي وزيراً من اهلي هارون أخي اشدد به ازري واشركه في امري**﴾،[١] وقال النبي ﷺ في المجمع على روايته بين فرق ساير الإسلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي، فأثبت له جميع مراتب هارون ومنازله من موسى، فإذاً هو وزير رسول الله ﷺ وشاد أزره، ولولا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره.[٢]

قلت: انظروا ابن أبي الحديد وقد أحسن وأساء.

ثم قال ابن أبي الحديد: وروى أبو جعفر الطبري أيضاً في التاريخ أن رجلاً قال لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال علي عليه السلام: هاؤم ثلاث مرات حتى استراب الناس ونشروا آذانهم ثم قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب بمكة وهم رهط كلهم يأكل الجذعة، ويشرب الفرق، فصنع مداً من طعام حتى أكلوا وشبعوا، وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشربوا ورووا، وبقي الشراب كأنه لم يشرب، ثم قال: يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي، فلم يقم إليه أحد، فقمت إليه وكنت من أصغر القوم، فقال: اجلس، قال ذلك ثلاث مرات كل ذلك وأقوم إليه فيقول اجلس حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي،

---

[١] - طه/ ٢٩ – ٣١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١١/١٣.

فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي، لقد كنت معه لما أتاه الملأ من قريش فقالوا: يا محمد إنك قد ادعيت عظيماً، لم يدعه أبوك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب، فقال لهم: وما تسألون؟ قالوا: تدع لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال: إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله ذلك لكم اتؤمنون وتشهدون بالحق؟

قالوا: نعم، قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزب الأحزاب، ثم قال: أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله، فوالذي بعثه بالحق لأنقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد، وقصفت كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة بغصنها الأعلى على رسول الله ﷺ، وبعض أغصانها على منكبي فكنت عن يمينه، فلما نظر القوم إلى ذلك فقالوا علواً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشد دوياً، فكادت تلتف برسول الله ﷺ، فقالوا كفراً وعتواً: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره عليه السلام فرجع، فقلت أنا : لا إله إلاّ الله، إني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من آمن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله، تصديقاً لنبوتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم كلهم: بل هو ساحر كذاب، عجيب خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلاّ

مثل هذا، يعنوني، وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمار الليل، ومنار النهار، يتمسكون بحبل القرآن، يحبون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون، ولا يعلنون، ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل.[١]

وقال: ومن خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة: إن الله بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق، وأمر قائم، ثم لا يهلك عنه إلاّ هالك، وإن المبتدعات المشبهات هن المهلكات إلاّ ما حفظ الله منها، وإن في سلطان الله عصمة لأمركم، فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها، والله لتفعلن بها أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله اليكم أبداً حتى يتأرز الأمر إلى غيركم، إن هؤلاء قد تمالأوا على سخطة إمارتي، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم، فإنهم إن تمموا على قيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين، وإنما طلبوا هذه الدنيا حسداً لمن أفاءها الله عليه، فأرادوا رد الأمور على أدبارها، ولكم علينا العمل بكتاب الله، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، والقيام بحقه، والنعش لسنته.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٢/١٣.

[٢] - نهج البلاغة ٨١/٢

قال في الشرح: قد تمالوا أجتمعوا وتساعدوا على سخط إمارتي على كرهتها وبغضها، ثم وعد بالصبر عليهم ما لم يخف من فرقة الجماعة، وانتشار حبل الإسلام، وقيالة الرأي ضعفه، وكذلك قيوله، ورجل قيل الرأي، أي ضعيفه، قال يمموا على هذا الرأي الضعيف، قطعوا نظام المسلمين، وفرقوا جماعتهم، ثم ذكر أن الحسد دعاهم إلى ذلك، وأفاها عليه ردها عليه، فأيفي رجع، وفلان يفي يريع الفيء من غضبه، أي سريع الرجوع، وإنه لحسن الفيئة بالكسر، أي حسن الرجوع، وهذا الكلام لا يشعر بأنه عليه السلام كان يعتقد أن الأمر له، وأنه غلب عليه ثم رجع إليه، ولكنه محمول على أنه من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الجزء من الكل، وأنهما من جوهر واحد، فلما كان الوالي قديماً هو رسول الله صلى الله عليه وآله ثم تخلل بين ولايته عليه السلام وولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولايات غريبة سمى ولايته فيئاً ورجوعاً، لأنها رجعت إلى الدرجة الهاشمية، وبهذا يجب أن يتأول قوله: فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها، أي أرادوا انتزاع الخلافة من بني هاشم لما انتزعت أولاً واقرارها في بيوت بعيدة عن هذا البيت اسوة بما وقع من قبل، والنعش مصدر نعش، أي رفع ولا يجوز انعش.[1]

أقول: هذا الكلام منه صريح بأن الأمر له عليه السلام منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله لقوله: وإنما طلبوا هذه الدنيا حسداً لمن أفاء الله عليه، يعني نفسه، رجع إليه حقه من الإمامة والخلافة بعدما بويع له عليه السلام بعد من تقدم عليه، وهذا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٧/٩.

واضح بيّن لمن تأمل هذا الكلام، وعندي أن ابن أبي الحديد في شك من أمره من هذا الكلام، وحمله بعيد كبون ما بين السماء والأرض.

قال: روى ابن عباس قال: خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته فانفرد يوماً يسير على بعيره فأتبعته فقال لي: يا ابن عباس اشكوا إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولا زال أراه واجداً فيما تظن موجدته، قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم، قال: اظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة، هو ذاك، إنه يزعم أن رسول الله ﷺ أراد الأمر له، فقال: يا ابن عباس وأراد رسول الله ﷺ فكان ماذا اذا لم يرد الله تعالى ذلك، إن رسول الله أراد أمراً وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله، ولم ينفذ مراد رسوله، أو كلما أراده رسول الله ﷺ كان، إنه أراد أسلام عمه، ولم يرده الله، فلم يسلم.[1]

وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ، وهو قوله إن رسول الله ﷺ أراد أن يذكره الأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ما في نفسي فأمسك، وأبى الله إلاّ امضاء ما حتم.[2]

أقول: كلام عمر في هذا الحديث يقتضي كفره وشركه، لأن الراد على رسول الله ﷺ راد على الله سبحانه، وهو على حد الشرك بالله ومخالف لكتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿**من يطع الرسول فقد اطاع الله**﴾،[3] وقال

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٨/١٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٩/١٢.

[3] - النساء/٨٠

تعالى: ﴿أطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾،[1] وقال: ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾،[2] وقال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى ان هو إلاّ وحي يوحى﴾،[3] وقال: ﴿ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين﴾.[4]

فكيف جاز لعمر أن يقول أراد الله أمراً وأراد رسول الله أمراً، فنفذ أمر الله ولم ينفذ أمر رسول الله، وأمر الله وأمر رسوله واحد كما هو صريح القرآن، فقد رد عمر على الله وعلى رسوله ﷺ وفرق بينهما، وأراد أن يتخذ بين ذلك سبيلاً.

قال: وحدثني الحسين بن محمد بن السيبي، قال: قرأت على ظهر كتاب أن عمر نزلت به نازلة فقام لها وقعد، وتوبخ لها وتقطر، وقال لمن عنده: معشر الحاضرين ما تقولون في هذا الأمر؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت المفزع والمترع، فغضب، وقال: ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾،[5] ثم قال: أما والله إنا وإياكم لنعلم أين نجدها والخبير بها، قالوا: كأنك أردت ابن أبي طالب، وقال: وأنى يعدل بي عنه، وهل طفحت حرة

---

[1] - النساء/٥٩.

[2] - الحشر/٧.

[3] - النجم/٣- ٤.

[4] - الحاقة/ ٤٤ — ٤٥.

[5] - الاحزاب/٧٠.

مثله، قالوا: هلا دعوت به يا أمير المؤمنين، قال: هيهات إن هناك شمخاً من هاشم، وإثرة من علم، ولحمة من رسول الله ﷺ يوتى ولا يأتي، فأمضوا بنا إليه، فمضوا نحوه وقصدوا إليه، فالحقوه في حائط له عليه تبان، وهو ينز على مسحاته ويقرأ ﴿ايحسب الانسان ان يترك سدى﴾، إلى آخر السورة، ودموعه تهمل على خديه، فأجهش الناس لبكائه فبكوا، ثم سكت فسكتوا، فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها، فقال عمر: أما والله لقد أرادك الحق ولكن أبى قومك، فقال: يا أبا حفص خفض عليك من هنا ومن هنا، ﴿**ان يوم الفصل كان ميقاتاً**﴾ فوضع عمر إحدى يديه على الأخرى، وأطرق إلى الأرض، وخرج كأنما ينظر في رماد.[١]

ثم قال: وثناء عمر على أمير المؤمنين عليه السلام فصحيح غير منكر، والروايات منه الكثير الواسع.[٢]

قال: وروي عن ابن عباس أيضاً قال: دخلت على عمر يوماً فقال لي: يا ابن عباس أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نحلته رياء، قلت: من هو؟ قال: ابن عمك، يعني علياً عليه السلام، قلت: وما يقصد بالرياء، قال: ترشحه نفسه بين الناس للخلافة، قلت: وما يصنع بالترشيح قد رشحه لها رسول الله ﷺ فصرفت عنه، قال: إنه كان شاباً حدثاً، فأستصغرت العرب سنّه، وقد كمل الآن، ألم تعلم أن الله تعالى لم يبعث نبياً إلاّ بعد الأربعين؟ قلت: يا أمير

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٩/١٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٠/١٢.

المؤمنين أما أهل الحجى والنهى فإنهم ما زالوا يعدونه كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنهم يعدونه محروماً محدوداً، فقال: أما إنه سيليها بعد هياط ومياط، ثم تزل فيها قدمه، ولا يقضي منها إربة، ولتكونن شاهداً ذلك يا عبدالله، ثم يتبين الصبح لذي عينين، ويعلم العرب صحة رأي المهاجرين الأولين الذين صرفوها عنه بادي بدء، فليتني أراكم بعدي يا عبد الله، إن الحرص محرمة، وإن دنياك كظلك كلما هممت به ازداد عنك بعداً. نقلت هذا الخبر من أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب.[١]

قال: ونقلت منه أيضاً ما رواه عن ابن عباس قال: تبرم عمر بالخلافة في آخر أيامه وخاف العجز، وضجر من سياسة الرعية، فكان لا يزال يدعو الله بأن يتوفاه، فقال لكعب الأحبار يوماً وأنا عنده: إني قد أحببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الأمر، وأظن وفاتي قد دنت فما تقول في علي؟ أشر عليّ في رأيك، واذكر لي ما تجدونه عندكم، فإنكم تزعمون أن أمرنا هذا مسطور في كتبكم، فقال: أما من طريق الرأي فإنه لا يصلح، إنه رجل متين الدين لا يغضي على عورة، ولا يحلم عن زلة، ولا يعمل بإجتهاد رأيه، وليس هذا من سياسة الرعية في شيء، وأما ما نجده في كتبنا فنجده لا يلي الأمر ولا ولده، وإن وليه كان هرج شديد، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنه أراق الدماء، وذلك أن داود لما أراد أن يبني حيطان بيت المقدس أوحى الله إليه لا تبنه لأنك أرقت الدماء، وإنما يبنيه سليمان، فقال عمر: بحق أراقها، قال كعب: وداود بحق

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/٨٠

أراقها يا أمير المؤمنين، قال عمر: الأمر تجدونه عندكم؟ قال: نجده ينقل بعد صاحب الشريعة إلى أعدائه الذين حاربهم وحاربوه، وحاربهم علي يا عمر مراراً، وقال: أتسمع يا ابن عباس، أما والله لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله ما يشابه هذا، سمعته يقول: ليصعدن بنو أمية على منبري هذا، ولقد رأيتهم في منامي ينزون عليه نزو القردة، وفيهم أنزل: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن**﴾.[1]

وقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبة قال: قال لي عمر يوماً: يا مغيرة هل أبصرت بهذه عينك العوراء منذ أصيبت؟ قلت: لا، قال: أما والله ليعورن بنو أمية الإسلام كما أعورت عينك هذه، ثم ليعمينه حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجيء، قلت: ثم ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: ثم يبعث الله بعد مائة وأربعين بعد مائة وثلاثين وفداً كوفد الملوك طيبة ريحهم يعيدون إلى الإسلام بصره وشتاته، قلت: من هم يا أمير المؤمنين؟ قال: حجازي عراقي وقليلاً ما كان، وقليلاً مادام.[2]

وقال: وروى أبو بكر الأنباري في أماليه أن علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده ناس، فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب، فقال عمر: حق لمثله أن يتيه، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام وهو بعد أقضى الأمة، وذو سابقتها، وذو شرفها، فقال له ذلك القائل: فما

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨١/١٢

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٢/١٢

منعكم يا أمير المؤمنين عنه؟ قال: كرهناه على حداثة السن، وحبه بني عبدالمطلب.[١]

ثم قال ابن أبي الحديد بعد ذكره هذه الأخبار: قلت: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد، وقد قرأت عليه الأخبار فقلت له: ما أراها إلاّ تكاد تكون دالة على النص ولكني أستبعد أن تجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة رد نصه على الكعبة، وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين![٢]

قال رَحِمَهُ اللهُ: أبيت إلاّ ميلاً إلى المعتزلة، ثم قال: إن القوم لم يكونوا يذهبون إلى أنها من معالم الدين، وأنها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلاة والصوم، ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأمور الدنيوية، ويذهبون إلى هذا مثل تأمير الأمراء، وتدبير الحروب، وسياسة الرعية، وما كانوا بهذا الأمر وبه وأمثال هذا من مخالفة نصوصه عَلَيْهِ السَّلَامُ اذا رأوا المصلحة في الإسلام، تراه كيف نص على إخراج أبي بكر وعمر في جيش اسامة ولم يخرجا لما رأيا في مقامهما مصلحة للدولة والملة، وحفظاً للبيضة، ودفعاً للفتنة، وقد كان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يخالَف وهو حي في أمثال ذلك فلا ينكره ولا يرى به بأساً، ألست تعلم أنه نزل في غزاة بدر منزلاً على أن يحارب قريشاً فيه فخالفته الأنصار وقالت له: ليس الرأي في نزولك هذا المنزل فأتركه وأنزل في منزل

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٢/١٢

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٢/١٢

كذا، فرجع إلى آرائهم، وهو الذي قال للأنصار عام قدم إلى المدينة: لا توبروا النخل، فعملوا على قوله، فحالت نخلهم في تلك السنة ولم تثمر حتى قال لهم: أنتم أعرف بأمر دنياكم، وأنا أعرف بدينكم، وهو الذي أخذ الفداء من أسارى بدر فخالفه عمر، فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلص الأسرى ورجعوا إلى مكة، وهو الذي أراد أن يصالح الأحزاب على ثلث تمر المدينة فيرجعوا عنه، فأبى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة ذلك وخالفاه، فرجع إلى قولهما، وقد كان قال لأبي هريرة: اخرج فناد في الناس من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة، فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه في صدره حى وقع إلى الأرض، وقال: لا تقلها فإنك إن تقلها يتكلوا عليها ويدعوا العمل، فأخبر أبو هريرة النبي رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بذلك فقال: لا تقلها وخلهم يعملون، فرجع إلى قول عمر، وقد أطبقت الصحابة إطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك، كإسقاطهم سهم ذوي القربى، وإسقاطهم سهم المؤلفة قلوبهم، وهذان الأمران أدخل في باب الدين منها في باب الدنيا، وقد عملوا بأرآئهم في أمور لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة كحد الخمر، فإنهم عملوه اجتهاداً، ولم يحد رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ شاربي الخمر، وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم، ولقد كان أوصاهم في مرضه فقال: اخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب، فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك وباستصلاحهم، وهم الذين هدموا المسجد

بالمدينة، وحولوا المقام بمكة، وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونم من المصلحة، ولم يقفوا مع موارد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة، وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة.[١]

قال النقيب: وأكثر ما يعملون بآرائهم فيما يجري مجرى الولايات والتأمير والتدبير لقواعد الدولة، وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول الله ﷺ وتدبيراته إذا رأوا المصلحة في خلافها، كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظاً، وكأنهم كانوا يفهمونه من قرآئن أحواله وتقدير ذلك القيد افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة.[٢]

قال: فأما مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدين وليس بمتعلق بأمور الدنيا وتدبيراتها نحو أن يقول الوضوء شرط في الصلاة فيجمعوا على رد ذلك ويجيزوا الصلاة من غير وضوء، أو يقول صوم شهر رمضان واجب، فيطبقوا على مخالفة ذلك، ويجعلوا شوالاً عوضاً عنه فإنه بعيد، إذ لا غرض لهم فيه، ولا يقدرون على اظهار مصلحة عثروا عليها خفيت عنه عليه السلام، والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أن العرب لا تطيع علياً عليه السلام بعضها للحسد، وبعضها للوتر والثأر، وبعضها لاستحداثهم سنّه لإستطالته عليهم، ورفعه عنهم، وبعضها كراهية اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد، وبعضهم للخوف من

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٣/١٢

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٣/١٢

شدة وطأته وشدته في دين الله، وخوف لرجاء تدارك قبائل العرب إذا لم يقتصر بها على بيت مختصة عليه، فيكون رجاء كل حي يوصلهم اليها ثابتاً مستمراً، وبعضها ببغضهم من قرابته لرسول الله ﷺ وهم المنافقون من الناس ومن في قلوبهم شك من أمر النبوة، فأصفق الكل إصفاقاً واحداً على صرف الأمر لغيره، فقالوا رؤساؤهم بأنا خفنا الفتنة، وعلمنا أن العرب لا تطيعه وتتركه، ولا ننكر النص، وقالوا إنه لنص ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، والغائب قد يترك لأجل المصلحة الكلية، وأعانهم على ذلك مسارعة إلى تفويض الأمر، وإخراجهم سعد بن عبادة من بيته وهو مريض لبيعته، زعموا واختلط الناس وكثر الخبط، وكادت الفتنة تشتعل بينهم، فوثب رؤساء المهاجرين فبايعوا أبا بكر، فكانت فلتة كما قال قائلهم، وزعموا أنما أطفأوا بها نائرة الأنصار، فمن سكت من المسلمين وأغضى ولم يعترض فقد كفاهم أمر نفسه، ومن قال سراً أو جهراً إن فلاناً قد كان رسول الله ﷺ ذكره أو نص عليه أو أشار إليه أسكتوه في الجواب بأنا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة، واعتذروا عنده ببعض ما تقدم، إما إنه حديث السن أو تبغضه العرب، لأنه وترها وسفك دماءها، أو لأنه صاحب زهوٍ وتيه، أو كيف تجتمع النبوة والخلافة في مغرس واحد، بل قد قالوا في العذر ما هو أقوى من هذا وآكد، قالوا أبو بكر أقوى على هذا الأمر لا سيما عمر يعضده ويساعده، والعرب تحب أبا بكر ويعجبها لينه ورفقه، وهو شيخ مجرب للأمور، ولا يحسده أحد ولا يحقد عليه أحد، ولا يبغضه أحد، وليس بذي شرف في النسب يتشمخ

على الناس بشرفه، ولا ذي قربى من الرسول ﷺ فيدل بقربه، ودع ذا كله فإنه فضل مستغنى عنه، قالوا لو نصبنا علياً ارتد الناس عن الإسلام، وعادت الجاهلية كما كانت، فأيما أصلح في الدين الوقوف مع النص المفضي إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهلية.

قال: بمقتضى الأصلح واستيفاء الإسلام واستدامة العمل بالدين، وان مخالفته مخالفة النص.

قال: وسكت الناس عن الإنكار لأنهم كانوا متفرقين، فمنهم من هو مبغض شانيء لعلي عليه السلام، فالذي تم منصرف الأمر في قرة عينه وبرد فؤاده، ومنهم ذو الدين وصحة اليقين إلاّ أنه بعض من الصحابة قد اتفقوا على صرف الأمر عنه ظن أنهم إنما فعلوا ذلك خلاف النص من رسول الله ﷺ بنسخ ما قد كان سمعه من النص في حقه للحسن، لاسيما ماروواه أبو بكر من قول النبي ﷺ الأئمة من قريش، فإن كثيراً من الناس توهموا أنه ناسخ للنص الخاص، وأن الناس مباحون في نصب إمام من قريش من أي بطون قريش كان، فأوكد أيضاً في نفوسهم رفض النص الخاص ما سمعوه من قول رسول الله ﷺ ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وقوله سألت الله أن لا يجمع أمتي في ضلال فأعطانيها، فأحسنوا الظن بعاقدي البيعة وقالوا هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله ﷺ من كل أحد، فأمسكوا وكفوا عن الإنكار، ومنهم فرقة أخرى وهم الأكثرون أعراب وجفاة وطغام، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، فهؤلاء مقلدون لا يسألون ولا ينكرون ولا يبحثون، وهم مع أمرائهم

وولاتهم لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها، فلذلك أمحق النص وخفي ودرس، وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبي بكر، وقواها زيادة على ذلك اشتغال علي عليه السلام وبني هاشم برسول الله صلى الله عليه وآله واغلاق بابهم عليهم، وتخليتهم الناس يعملون ما شاءوا وأحبوا من غير مشاركة لهم فيما هم فيه، لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعدما فات، وهيهات الفائت لا رجعة له، وأراد علي عليه السلام بعد ذلك نقض البيعة فلم يتم له ذلك، وكانت العرب لا ترى الغدر، ولا نقض البيعة، صواباً كانت أو خطأ، وقد قالت له الأنصار وغيرها أيها الرجل لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعة لما عدلنا بك أحداً، ولكنا قد بايعنا، فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها.[1]

قال النقيب: ومما جرأ عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن علي عليه السلام مع ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وآله في أمره أنه أنكر مراراً على الرسول أموراً اعتمدها، فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله انكاره له، بل رجع في كثير منها إليه وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته، فأطمعه ذلك في الإقدام على اعتماد في كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة مما هي على خلاف النص، وذلك نحو انكاره على الصلاة على عبد الله بن أبي المنافق، وانكاره فداء اسارى بدر، وانكاره على تبرج نسائه للناس، وانكاره قضية الحديبية، وانكاره أمان العباس لأبي سفيان بن حرب، وانكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة، وانكاره أمره عليه السلام بالنداء من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنة،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٣/١٢

وانكاره أمره عليه السلام أصحابه بذبح النواضح، وانكاره على النساء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله هيبتهن له دون رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غير ذلك من أمور كثيرة يشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إلاّ انكاره قول رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه آتوني بدواة وكتف اكتب لكم ما لا تضلون بعده، وقوله ما قال، وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله عنه، وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم حسبنا كتاب الله، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار، فبعضهم يقول القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعضهم يقول القول ما قال عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كثر اللغط وعلت الأصوات: قوموا عني فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هذا التنازع، فهل بقي للنبوة مزية أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القول وميل المسلمين بينهما، فرجح قوم هذا، وقوم هذا، فليس ذلك دالاً على أن القوم سووا بينه وبين عمر، وجعلوا القولين مسألة خلاف، ذهب كل فريق منهم نصرة واحد منهما ما يختلف اثنان من عَرِض المسلمين في بعض الأحكام، فينصر هذا قوم، وينصر ذاك آخرون، فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النص، ومن الذي كان ينكر ذلك وهو في القول الذي قاله لرسول صلى الله عليه وآله في وجهه غير خائف من الانكار، ولا أنكر عليه أحد، لا رسول الله ولا غيره، وهو أشد من مخالفة النص في الخلافة، وأفظع واشنع.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٧/١٢

قال النقيب: على أن الرجل ما أهمل أمر نفسه بل أعد أعذاراً وأجوبة، وذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص أن رسول الله ﷺ رجع عن ذلك بإقامته أبا بكر في الصلاة مقامه، وأوهمهم أن ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافة، وقال يوم السقيفة أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ﷺ في الصلاة، ثم أكد ذلك بأن قال لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة أنت صاحب رسول الله ﷺ في المواطن كلها شدتها ورخائها، رضيك لديننا أفلا نرضاك لدنيانا، ثم عاب علياً عليه السلام بخطبة بنت أبي جهل، وأوهم أن رسول الله ﷺ كرهه لذلك ووجد عليه، وأرضاه عمرو بن العاص فروى حديثاً قطعه واختلقه على رسول الله ﷺ قال سمعته يقول: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه.[1]

قلت للنقيب: يصلح النسخ في مثل هذا نسخاً للشيء قبل أن يحضر وقت فعله؟

فقال: سبحان الله من أين تعرف العرب هذا، وأنى لها أن تتصوره فضلاً عن أن تحكم بعدم جوازه، فهل يفهم حذاق الأصوليين هذه المسألة فضلاً عن حمقى العرب، هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة، ويستمالون

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٨/١٢

بأضعف سبب، وتبنى الأمور معهم على ظواهر النصوص وأوائل الأدلة، وهم أصحاب جهل وتقليد، لا أصحاب تفضيل ونظر.[١]

قال: ثم أكد حسن ظن الناس بهم أنهم طلقوا أنفسهم عن الأموال، وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها، وسلكوا مسلك الرفض لزينتها والرغبة عنها، والقناعة بالطفيف النزر منها، وأكلوا الخشن، ولبسوا الكرابيس، ولما ألقت اليهم الدنيا أفلاذ كبدها وفروا الأموال على الناس وقسموها بينهم، ولم يتدنسوا منها بقليل ولا كثير، فمالت إليهم القلوب، وأحبتهم النفوس، وحسنت فيهم الظنون، وقال من كان في نفسه شبهة منهم أو وقفة في أمرهم لو كان هؤلاء خالفوا النص بهوى أنفسهم لكانوا أهل الدنيا، ولظهر عليهم الميل إليها، والرغبة فيها، والإستيثار بها، فكيف يجمعون على أنفسهم بين مخالفة النص وترك لذات الدنيا ومآربها، فيخسر الدنيا والآخرة، وهذا لا يفعله عاقل، والقوم عقلاء ذوو الباب وآراء صحيحة، فلم يبق عند أحد شك في أمرهم ولا ارتياب بفعلهم، وثبتت العقائد على ولايتهم وتنزيههم، وتصويب أفعالهم، ونسوا لذة الرئاسة، وأن أصحاب الهمم العالية لا يلتفتون إلى المأكل والمشرب والمنكح، وإنما يريدون الرئاسة والحكم، ونفوذ الأمر كما قال الشاعر:

لقد رغبت عن لذة المال انفس ... وما رغبت عن لذة النهي والأمر[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٨/١٢

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٩/١٢

قال: والفرق بين الرجلين وبين الثالث ما أصيب به الثالث وقتل تلك القتلة، وخلعه الناس وحصروه وضيقوا عليه بعد أن توالى انكارهم أفعاله وجبهوه في وجهه وفسقوه، وذلك لأنه استأثر هو وأهله بالأموال، وانغمسوا فيها، واستبدوا بها، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفاً لطريق الأولين، فلم تصبر العرب على ذلك، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد وجمع النفس، وردع الأمراء والولاة عن الأموال، وتجنب استعمال أهل بيته، ووفر أعراض الدنيا وملاذاتها وشهواتها على الناس زاهداً فيها، تاركاً لها، معرضاً عنها لما ضره شيء قط، ولا أنكر عليه أحد قط، ولو حول الصلاة من الكعبة إلى بيت المقدس، بل لو اسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس وأقتنع منهم بأربع، لأن همم الناس مصروفة إلى الدنيا والأموال، فإذا وجدوها سكنوا، وإذا فقدوها هاجوا وأضطربوا، ألست ترى رسول الله صلى الله عليه وآله كيف قسم غنائم هوازن على المنافقين وعلى أعدائه الذين يتمنون قتله وموته وزوال دولته، فلما أعطاهم أحبوه إما كلهم أو أكثرهم، ومن لم يحبه منهم بقلبه جامله وداره، وكف عن اظهار عداوته والإجلاب عليه، ولو أن علياً عليه السلام صانع أصحابه بالمال واعطاء الوجوه والرؤساء لكان أمره إلى الإنتظام والإطراد أقرب، ولكنه رفض جلب التدبير الدنيوي، وآثر لزوم الدين، وتمسك بأحكام الشريعة والملك أمر آخر غير الدين، فأضطرب عليه أصحابه وهرب كثير منهم إلى عدوه.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٩/١٢

وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما حفظت عن النقيب أبي جعفر، ولم يكن إمامي المذهب ولا كان يبرأ من السلف الصالح، ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة، ولكنه كلام أجراه على لسانه البحث والجدل بيني وبينه على أن العلوي لو كان كرامياً لابد أن يكون عنده نوع من تعصب وميل عن الصحابة وإن قل.[١]

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر من الشرح: وكان النقيب أبو جعفر رَحِمَهُ اللهُ غزير العلم، صحيح العقل، منصفاً في الجدل غير متعصب للمذهب وإن كان علوياً كان يعترف بفضل الصحابة، ويثني على الشيخين ﴿رضي الله عنهما﴾، قال لي مرة: حاش لله أن يثبت معاوية في جريدة الشيخين الفاضلين أبي بكر وعمر ﴿رضي الله عنهما﴾ والله هما كالذهب الابريز، ولا معاوية إلاّ كالدرهم الزائف أو كالدرهم القسي، ثم قال: فما يقول أصحابكم فيهما؟ قلت: أما الذي استقر عليه رأي المعتزلة بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التفضيل وغيره أن علياً عليه السلام أفضل الجماعة، وأنهم تركوا الأفضل لمصلحة رأوها، وإن لم يكن هناك نص يقطع العذر، وإنما كانت إشارة وإيماء لا يتضمن شيء منها صريح النص، وأن علياً عليه السلام نازع ثم بايع وجمح ثم أصحب، ولو أقام على الإمتناع لم نقل بصحة البيعة ولا بلزومها، ولو جرد السيف كما جرده في زمان آخر الأمر لقلت بفسق كل من خالفه على الاطلاق كائناً ما كان، ولكنه رضي بالبيعة أخيراً، ودخل في طاعة القوم،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٠/١٢.

وبالجملة فأصحابنا يقولون إن الأمر كان له، وكان هو المستحق المتعين، فإن شاء أخذه لنفسه، وإن شاء ولاه غيره، فلما رأينا قد وافق على ولاية غيره اتبعناه، ورضينا بما رضي.[١]

فقال: قد بقي بيني وبينكم قليل أنا أذهب إلى النص وأنتم لا تذهبون إليه، فقلت له: لم يثبت عندنا بطريق يوجب العلم وما تذكرونه أنتم صريحاً فأنتم تنفردون بنقله وما عدا ذلك من الأخبار التي نشارككم فيها فلها تأويلات معلومة.[٢]

فقال لي وهو ضجر: يا فلان لو فتحنا باب التأويلات لأمكن أن نتأول قولنا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، دعني من التأويلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس أنها غير مرادة، وأن المتكلمين تكلفوها وتعسفوها، فإنما أنا وأنت في الدار ولا ثالث لنا ليستحي أحدنا من صاحبه أو يخافه، فلما بلغنا إلى هذا الموضع دخل قوم ممن كان يغشانا، فتركنا ذلك الأسلوب من الحديث وخضنا في غيره.[٣]

قال: قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي: رأينا جميع المتخلفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها من خارجي مارق، وناصب حنق وشبهه، وشان ومعاند، ومنافق مكذب، وعثماني حسود، فيعرض فيها

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٠.

ويطعن، ومعتزلي قد نقد الكلام وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشبهة ومواطن الطعن وضروب التأويلات، قد التمس الحيل في ابطال مناقبه، وتأويل مشهور فضائله، فمرة يتأولها بما لا يحتمل، ومرة يقصد أن يضيع من قدرها بقياس متنقض، ولا يزاد مع ذلك إلاّ قوة ورفعة ووضوحاً واستنارة، وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم، وذلك نحو ثمانين سنة لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعنه، واخفاء فضائله وسائر مناقبه وسوابقه.[1]

قال الفقير إلى ربه الغني عبده هاشم بن سليمان الحسيني البحراني مؤلف هذا الكتاب: انظر إلى ما ذكرناه في هذا الباب من طريق المخالفين، وما يروونه من صحة النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمامة والخلافة، وأنه ولي الأمر بعده صلى الله عليه وآله، وذكرهم أن تأويل النص باطل، وهو مطلوبنا.

وقال ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي: إن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً عليه السلام إلى الإسلام وكلفه التصديق، وقد ورد في الخبر الصحيح أن كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكة أن يصنع له طعاماً ويدعو له بني عبد المطلب فصنع لهم الطعام، ودعاهم له، وساق بنحو ما تقدم، وإن تخالف في البعض، إلى أن قال من الإجابة: هذا أخي ووصيي

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٩/١٣.

وخليفتي من بعدي، فقاموا يسخرون ويضحكون، ويقولون لأبي طالب أطع ابنك فقد أمره عليك.[١]

قال: قال أبو بكر وعلي بن سليمان النوفلي قال: سمعت أبي يقول ذكر سعد بن عبادة يوماً علياً عليه السلام بعد يوم السقيفة فذكر أمراً من أمره نسيه أبو الحسن توجب ولايته، فقال له ابنه قيس ابن سعد: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هذا في علي بن أبي طالب ثم تطلب الخلافة وتقول لأصحابك منا أمير ومنكم أمير، لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة أبداً.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٤/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٤/٦.

الباب الرابع

في أن الخلفاء الأربعة أجمعوا على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في الإمامة والخلافة وإتيان أبي بكر وعمر له عليه السلام ليبايعاه

قال ابن أبي الحديد: قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وسمعت أبا زيد عمرو بن شيبة يحدث رجلاً بحديث لم أحفظ إسناده قال: قال: مر المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر وهما جالسان على باب النبي صلى الله عليه وآله حيث قبض فقال ما يقعدكما؟

قالا: ننتظر هذا الرجل ليخرج فنبايعه يعنيان علياً عليه السلام فقال: اتريدون أن تنتظرون حبل الحبلة من أهل هذا البيت، وسعوها في قريش تتسع، قال: فقاما إلى سقيفة بني ساعدة أو كلاماً هذا بمعناه.[1]

قلت: انظر كيف رجع أبو بكر وعمر عن الحق ورجعا إلى المغيرة بن شعبة الذي شهد عليه المعتزلة بالكفر كما صرح به ابن أبي الحديد، وزان فاسق كما رواه ابن أبي الحديد أيضاً في روايات كثيرة متظافرة، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في باب مفرد.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/٤٣.

وقال: وروى القاضي أبو حامد أحمد بن بشر المروروذي العامري فيما حكاه عنه أبو حيان التوحيدي قال أبو حيان: سمرنا عند القاضي أبي حامد ليلة ببغداد في دار ابن جيشان في شارع الماذبان فتصرف الحديث منا كل مصرف وكان والله معنا مزيلاً غزير الرواية، لطيف الدراية، له في كل جو متنفس، وفي كل نار مقتبس، فجرى حديث السقيفة وتنازع القوم الخلافة، فركب كل منا فناً، وقال قولاً، وعرض بشيء ونزع إلى مذهب، فقال أبو حامد: وهل فيكم من يحفظ رسالة أبي بكر إلى علي وجواب علي لدى مبايعته إياه عقيب تلك المراسلة؟

فقالت الجماعة: لا والله، فقال: هي والله من دُر الحقائق المصونة، فجاءت الصناديق في الخزائن، ومنذ حفظتها ما رويتها إلاّ للمهلبي في وزارته فكتبها عني في خلوة بيده، وقال: لا أعرف في الأرض رسالة أعقل منها ولا أبين، وإنها لتدل على علم وحكم، وفصاحة، وفقه ودين، ودهاء، وبعد غور، وشدة غوص.[1]

فقال له واحد من القوم: أيها القاضي فلو أتممت المنّة علينا بروايتها سمعناها، فنحن أوعى لها من المهلبي وأوجب ذماماً عليك، فقال: هذه الرسالة رواها عيسى بن دأب، عن صالح بن كيسان، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن أبي عبيده بن الجراح، قال أبو عبيده: لما استقامت لأبي بكر من المهاجرين والأنصار ولحظ بعين الوقار والهيبة بعد هنة كاد الشيطان

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧١/١٠.

بها، يسر فدفع الله شرها ورحض عرها، فترك كيدها، وتيسر حرها، وقصم ظهر النفاق والفسق بين أهلها، بلغ أبا بكر عن علي عليه السلام تلكؤ وشماس وتهمهم ونفاس، فكره أن يتمادى الحال، وتبدو العورة، وتنفرج ذات البين، ويصير ذلك دريئة لجاهل مغرور أو عاقل ذي دهاء، وصاحب سلامة ضعيف القلب، خوار العنان، دعاني في خلوة فحضرته وعنده عمر وحده، وكان عمر قبساً له وظهيراً معه، يستضيء بناره، ويستملي من لسانه، فقال لي: يا أبا عبيدة ما أيمن ناصيتك وأبين الخير بين عارضيك، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وآله بالمكان المحوط، والمحل المغبوط، ولقد قال فيك في يوم مشهود أبو عبيدة أمين هذه الأمة، وطال ما أعز الله بك وأصلح نماه على يديك، ولم تزل لله ناصراً، وللمؤمنين روحاً، ولأهلك ركناً، ولإخوانك ردءاً، قد أردتك لأمر له ما بعده، خطره مخوف، وصلاحه معروف، ولئن لم يندمل جرحك بيسارك ورفقك، ولم يجب حينه بريقتك، فقد وقع اليأس، وأعضل البأس، واحتيج بيدك إلى ما هو أضر من ذلك وأعق، وأوعر منه وأغلق، والله نسأل تمامه ونظامه على يدك فتأت له يا أبا عبيدة وتلطف به، وأنصح لله ولرسوله، ولهذه العصابة، غير آل حمداً، ولا قال جهداً، والله كالئك وناصرك، وهاديك ومبصرك، امض إلى علي واخفض جناحك له، واغضض صوتك عنده، وأعلم أنه سلالة أبي طالب، ومكانه ممن فقدناه بالأمس مكانه، وقل له البحر مغرقة، والبر مفرقة، والجو أكلف، والليل أغلف، والسماء جلواء، والأرض صلعاء، والصعود متعذر، والهبوط متيسر، والحق عطوف رؤوف، والباطل قشوف وعصوف،

والعجب مقدحة الشر، والضعن رائد البوار، والتعريض شحار الفتنة، والفحة مفتاح العداوة، والشيطان متكيء على شماله، باسط ليمينه، نافج حضنيه لأهله، ينتظر الشتات والفرقة، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة، عناداً لله ولرسوله ولدينه، يوسوس بالفجور، ويدلي بالغرور، ويمني أهل الشرور، ويوحي إلى أهله الباطل، دأباً له منذ كان على عهد أبينا آدم، دعاة منه مذ أهانه الله في سالف الدهر، لا ينجي منه إلاّ عض الناجذ على الحق، وغض الطرف عن العاجل، ووطيء هامة عدو الله والدين بالأشد فالأشد، والأجد فالأجد، وإسلام النفس لله فيما حاز رضاه، وجنب سخطه، ولا بد من قول ينفع إذ قد أضر السكوت، وخيف غبه، ولقد أرشدك من أفاء ضالتك، و صافاك من أحيا مودته لك بغيابك، وأراد الخير من آثر البقاء معك، ما هذا الذي تسول لك نفسك، ويدوي به قلبك، ويلتوي عليه رأيك، ويتخاوص دونه طرفك، ويستشري به ضغنك، ويتراد معه نفسك، ويكثر لأجله صعداؤك، ولا تفيض به لسانك، أعجمة بعد إفصاح، ألبساً بعد إيضاح، أديناً غير دين الله، أخلفاً غير خلف القرآن، أهدياً غير هدي محمد، أمثلي تتمنى له الضراء، وتدب له الخمراء، أم مثلك يغص عليه الفضاء، ويكسف في عينه الغمراء،[١] ما هذه القعقعة بالسنان، والوعوعة باللسان، إنك لجد عارف باستجابتنا لله ولرسوله، وخروجنا من أوطاننا وأولادنا، وأحببنا هجرة إلى الله، ونصرة لدينه في زمان أنت معه في كنّ الصبى، وحذر الغرارة، غافل تسبب، وتريب لا تعي ما يشاد

---

[١] - في شرح النهج: في عينه القمر.

ويراد، ولا تحصل ما يساق ويقاد، سوى ما أنت جار عليه من أخلاق الصبيان أمثالك، وسجايا الفتيان أشكالك حتى بلغت إلى غايتك هذه إليها أجريت، وعندها حط رحلك غير مجهول القدر، ولا مجحود الفضل، ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالاً تزيل الرواسي، ونقاسي أهوالاً تشيب النواصي، خائضين غمارها، راكبين بتارها، نتجرع صابها، ونشرح غيابها، ونحكم أساسها، ونبرم أمراسها، والعيون تجدع بالحسد، والأنوف عطس بالكبر، والصدور تستقر بالغيض، والأعناق تتطاول بالفخر، والألسنة تشحذ بالمكر، يمتد بالخوف، ولا ينتظر عند المساء صباحاً، ولا عند الصباح مساءاً، ولا يدفع في نحر امرء إلاّ بعد أن يحبس الموت دونه، ولا يبلغ إلى شيء إلاّ يود تجرع العذاب قبله، ولا يقوم مناد إلاّ بعد اليأس من الحياة عنده، فادين في كل ذلك رسول الله ﷺ بالأب والأم، والخال والعم، والمال والنسب، والسبد واللبد، والهلة والبلة، بطيب النفس، وقرة أعين، ورحب اعطان، وثبات عزائم، وصحة عقود، وطلاقة أوجه، وذلاقة ألسن، هذا إلى خفيات أسرار، ومكنونات أخبار كنت عنها غافلاً، ولولا سنك لم تكن عن شيء منها ناكلاً، كيف وفؤادك مشهوم، وعودك معجوم، وعيبك مخبور، والخير منك كثير، فالآن قد بلغ الله بك، وأرهص الخير لك، وجعل مرادك بين يديك، فاسمع ما أقول لك، واقبل ما يعود قبوله عليك، ودع التحبس والتقبس لمن لا يضلع لك اذا أخطأ، ولا يتزعزع عنك اذا عطا، فالأمر غض، وفي النفوس مض، وأنت أديم هذه الأمة، فلا تحلم إلى لجاجاً، وسيفها الغضب، فلا تنب اعوجاجاً، وماؤها العذب، فلا

تحل أجاجاً، والله لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر لمن هو؟ فقال: هو لمن يرغب عنه، لا لمن يجاحش عليه، ولمن يتفال له، لا لمن يشمخ إليه، هو لمن يقال له هو لك، لا لمن يقول هو فيّ، ولقد شاورني رسول الله في الصهر فذكر فتياناً من قريش فقلت أين أنت عن علي، فقال: إني لأكره لفاطمة ميعة شبابه، وحدة سنّه، فقلت متى كنفته يدك، ورعته عيناك حفت بهما البركة، وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به رغبته فيك، وما كنت عرفت منك حوجاء ولا لجوجاء، ولكني قلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك، وأجد رايحة سواك، وكنت لك اذ ذاك خيراً منك الآن لي، ولئن كان عرض بك رسول الله في هذا الأمر، فلقد كنى عن غيرك، وإن كان قال فيك فما سكت عن سواك، وإن اختلج في نفسك شيء، فهلم فالحكم مرضي، والصواب مسموع، والحق مطاع، ولقد نقل رسول الله إلى ما عند الله وهو عن هذه العصابة راض، وعليها حدب، يسره ما سرها، ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويسخطه ما أسخطها، ألم تعلم أنه ﷺ لم يدع أحداً من أصحابه وخلطائه وأقاربه وسحرائه إلاّ بانه بفضيلة، وخصه بمزية، وأفرده بحال، لو أصفقت الأمة عليه لأجلها لكان عنده أباً لها ونفالتها، أتظنه ﷺ ترك الأمة سداً برداً، عدى مناهل عباهل، طلاحي مفتونة بالباطل، ملوية عن الحق لا ذائد ولا رايد، ولا ضابط ولا خابط، ولا رابط ولا ساقي ولا واقي، ولا حادي ولا هادي، كلا والله ما اشتاق إلى ربه، ولا سأله المصير إلى رضوانه إلاّ بعد أن أقام الصوى، وأوضح الهدى، وأمن المهالك، وحمى المطارح والمبارك، وإلاّ

بعد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله، وشرم وجه النفاق لوجه الله، وجدع أنف الفتنة في دين الله، وتفل في عين الشيطان بعون الله، وصدع بملء فيه ويده بأمر الله، وبعد فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة جامعة، ودار واحدة، فإن استقادوا لك، وأشادوا بك، فأنا واضع يدي في يدك، وصائر إلى رأيهم فيك، وإن تكن الأخرى فأدخل في صالح ما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم، والفاتح لمغالقهم، والمرشد لضالهم، والرادع لغاويهم، وقد أمر الله بالتعاون على البر، وأهاب إلى التناصر على الحق، ودعنا نقض هذه الحياة الدنيا بصدور برية من الغل، ونلقى الله بقلوب سليمة من الضغن، وإنما الناس عامة، فأرفق بهم، وأحن عليهم، ولِن لهم، ولا تسول لك نفسك فرقتهم، واختلاف كلمتهم، وأترك ناجم الشر حصيداً، وطائر الحقد واقفاً، وباب الفتنة مغلقاً، لا قال ولا قيل، ولا لوم ولا تعنيف، ولا عتاب ولاتثريب، والله على ما أقول وكيل، ومما نحن عليه نصير.[١]

قال أبو عبيدة: فلما تهيأت للنهوض قال لي: كن على الباب هنيئة فلي معك ذرواً من الكلام، فوقفت فما أدري ما كان بعدي إلاّ أنه لحقني بوجه يندى تهللاً، وقال لي قل لعلي: الرقاد محلمة، واللجاج ملجمة، والهوى مقحمة، وما منا أحد إلاّ له مقام معلوم، وحق مشاع أو مقسوم، ووزن كل أمر بميزانه، ولم يجعل خبره كعيانه، ولا قاس فتره بشبره، ديناً أو دنياً، وضلالاً كان أو هدى، ولا خير في علم معتمل في جهل، ولا في معرفة مشوبة بنكره،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧١/١٠.

ولسنا كجلدة رقع الأديم بين العجان وبين الذنب، كل ضال فبناره يصلى، وكل سيل فإلى فزاره يجري، وما كان يكون هذه العصابة كلامها إلى هذه الغاية لغي وحصر، ولا كلمنا اليوم لفرق وحذر، فقد جذع بمحمد ﷺ أنف كل متكبر، وقصم به كل جبار، وسل لسان كل كذوب، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال، ما هذه الحِير، وإنه في فراش رأسك وما هذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك، وما هذه الوجرة التي أكلت شراسيفك، والقذاة التي أعشت ناظرك، وما هذا الدحس الركس اللذان يدلان على ضيق الباع، وخور الطباع، وما هذا الذي لبست بسببه جلدة النمر، وأشتملت عليه بالشحناء والنكرة، لشد ما استسعيت لها، وسريت سرى ابن انقد إليها، إن العوان لا تعلم الخمرة، ما أحوج الفرعاء إلى قالبه، وما أفقر الصلحاء إلى جالبه، لقد قبض رسول الله ﷺ والأمر معبد مخيس، ليس لأحد فيه ملمس، لم يسيغك قولاً، ولم يستنزل لك قرآناً، ولم يحرم في شأنك حكماً، لسنا في كسروية كسرى، ولا في قيصرية قيصر، نحن في نور نبوة، وضياء رسالة، وغرة حلمه، واثر رحمة، وعنوان نعمة، وضل عصمة، بين أمة مهدية بالحق والصدق، مأمونة على الفتق والرتق، لها من الله تعالى قلب أبي، وساعد قوي، ويد ناصرة، وعين ناظرة، أتظن ظناً ان ابا بكر وثب على هذا الأمر مقتاتاً على الأمة، خادعاً لها، ومتسلطاً عليها، أترى أصلح أحلامها، وأزاغ أبصارها، وأحل عقودها، وأحال عقولها، وأستل من صدروها حميقاً، ونكث رشاها، وسبا ماءها، وأضلها عن هداها، وساقها إلى رداها، وجعل نهارها ليلاً، ووزنها كيلاً، ونفظها رقاداً، وصلاحها

فساداً، إن كان هكذا إن سحره لمبين، وإن كيده لمتين، كلا والله، بأي خيل ورجل، وبأي سنان ونصل، وبأي قوة ومنّة، وبأي مال وعدة، وبأي أيد وشدة، وبأي عشيرة وأسرة، وبأي قدرة ومكنة، وبأي تدرع وبسطة، لقد أصبح بما وسمته منيع الرقية، رفيع العتبة، لا والله ولكن تسلا عنها فولهت، وتطامن لها فالتفت به، ومال عنها فمالت إليه، واستمر دونها فاستثقلت عليه، حبوة حباه الله بها، وغاية بلغه الله إليها، ويداً وجب الله شكرها، وأمة نظر الله به لها، وطال ما خلقت فرقة في أيام النبي ﷺ وهو لا يلتفت لفتها، ولا يرتصد وقتها، والله أعلم بخلقه، وأرأف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة، وإنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وكهف الحكمة، ولا يجحد حقك فيما أتاك ربك من العلم، ومنحك من الفقه في الدين، هذا إلى مزايا خصصت بها، وفضائل اشتملت عليها، ولكن لك عزيز أحمك بمنكب أخضم من منكبك، وقربى أمس من قرباك، وسنّ أعلم من سنّك، وشيبة أورع من شيبتك، وسيادة معروفة في الإسلام والجاهلية، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة، ولا تذكر فيها في مقدمه ولا ساقه، ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع، ولا تعد بنازل ولا هبع، إن أبا بكر كان حبة قلب رسول الله، وعلاقة همه، وعيبة سره، ومثوى غربه، وراحة ماله، وومق طرفه، سهر به مغيبه عن الدلالة عليه، ولعمري إنك لأقرب منه إلى رسول الله قرابة، ولكنه أقرب منك قربة، والقرابة لحم ودم، والقربة روح ونفس، وهذا فرق يعرفه المؤمنون، ولذلك صاروا إليه أجمعون، ومهما شككت فلا تشك في أن يد الله مع الجماعة، ورضوانه لأهل

الطاعة، فأدخل فيما هو خير لك اليوم، وأنفع غداً، والفظ من فيك ما هو متعلق بلهاتك، وأنفث سخيمة صدرك، فإن يكن في الأمد طول، وفي الأجل فسحة، فستأكله مريئاً أو غير مريء، وستشربه هينئاً أو غير هنيء، حين لا راد لقولك إلاّ من كان آيساً منك، ولا تابع لك إلاّ من هو طامع فيك، حين يمحص إهابك، ويعترك أديمك، ويزرى على هديك، هناك تقرّعَ اسن من ندم، وتشرب الماء ممزوجاً، تأسى على ما مضى من عمرك، وانقرض من دارج قومك، وتود لو سقيت بالكاس التي سقيتها غيرك، ورددت إلى الحال التي كنت تكرهها في أمسك، ولله فينا وفيك أمر هو بالغه، وعاقبة هو المرجع لسراها وضراها، وهو الولي الحميد، الغفور الودود.[١]

قال أبو عبيدة: فمشيت إليه متثبطاً متباطئاً، كأنما اخطو على أم رأسي فرقاً من الفتنة، واشفاقاً على الأمة، وحذر من الفرقة حتى وصلت إليه في خلاء فأنبأته بنبأي كله، وبريت إليه منه، ورفقت له، فلما سمعها ووعاها، وسرت في أوصاله جميعها، قال: حلت مغلوطة، وولت مخروطة، ثم قال:

احذر لياليك فهيسي هيسي ــــ لا تنعمي الليلة بالتعريس

يا أبا عبيدة أهذا كله في أنفس القوم يستبطنونه ويضطغنونه؟ فقلت: لا جواب عندي، إنما جئتك قاضياً حق، وراتقاً فتق الإسلام، وساداً ثلم الأمة، يعلم الله ذلك من جلجلان قلبي، وقرارة نفسي.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٨/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٠/١٠.

فقال: ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصداً للخلاف، ولا انكار المعروف، ولا زراية على مسلم، بل لما وقدني به رسول الله ﷺ من فراقه، وأودعني من الحزن لفقده، فإني لم أشهد به مشهداً إلاّ جدد حزناً، وذكرني شجناً، وإن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره، وقد عكفت على عهد الله أنظر فيه وأجمع ما تفرق منه رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله، وسلم لعمله ومشيته أمره، على أني أعلم أن التظاهر عليّ واقع، ولي عن الحق الذي سبق اليّ دافع، وإذ قد أنعم الوادي، وحشد النادي عليّ لما شاء أخذ من المسلمين، وفي النفس كلام، لولا سابق قول، وسالف عهد، لشفيت غيضي بخنصري وبنصري، وخضبت لحيته بأخمصي ومفرقي، ولكني ملجم إلى أن ألقى الله تعالى، وعنده أحتسب ما نزل بي، وأنا غاد إن شاء الله إلى جماعتكم، ومتابع لصاحبكم، وصابر على ما أساءني وسركم، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وكان الله على كل شيء شهيداً.[1]

قال أبو عبيدة: فعدت إلى أبي بكر وعمر، فقصصت القول على غره، ولم أترك شيئاً من حلوه ومره، وذكرت غدوه إلى المسجد، فلما كان صباح يومئذ وافى علي فخرق الجماعة إلى أبي بكر وتابعه، وقال خيراً، ووصف جميلاً، وجلس زميلاً، واستأذن للقيام ونهض فتبعه عمر اكراماً واجلالاً لموضعه، واستنباطاً لما في نفسه، وقام أبو بكر إليه فأخذ بيده، وقال: إن عصابة أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة، وإن أمة أنت فيها لمرحومة، ولقد

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨١/١٠.

أصبحت عزيزاً علينا، كريماً لدينا، نخاف الله إذا سخطت، ونرجوه إذا رضيت، ولولا أني سدهت لما أحببت إلى ما دعيت إليه، ولكني خفت الفرقة، واستيثار الأنصار بالأمر على قريش، وأعجلت عن حضورك ومشاورتك، ولو كنت حاضراً لبايعتك، ولم أعدل بك، ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل كاهلي به، وما أسعد من ينظر الله إليه، وإنا إليك لمحتاجون، وبفضلك عالمون، وإلى رأيك وهديك في جميع الأحوال راغبون، وعلى حمايتك وحفيظتك معولون.[1]

ثم انصرف وتركه مع عمر، فالتفت علي إلى عمر فقال: يا أبا حفص والله ما قعدت عن صاحبك جزعاً على ما صار إليه، ولا أتيته خائفاً منه، ولا أقول ما أقول بعلة، وإني لأعرف مسمى طرفي، ومحط قدمي، ومنزع قوسي، وموقع سهمي، ولكني تخلفت اعذاراً إلى الله، وإلى من يعلم الأمر الذي جعله رسول الله صلى الله عليه وآله، وأتيت فبايعت حفظاً لدين الله، وخوفاً من انتشار أمر الله.[2]

فقال عمر: يا أبا الحسن كفكف من غربك، ونهنه من شرتك، ودع العصا بلحائها، والدلو برشائها، فإن من خلفها وورائها، إن قدحنا أورينا، وإن متحنا أروينا، وإن فرحنا أدمينا، وقد سمعنا أمثالك التي الغزت بها صادرة عن صدر دوٍّ، وقلب جوٍّ، زعمت أنك قعدت في كسر بيتك لما قد وقذك به فراق رسول الله صلى الله عليه وآله وقذك وحدك، ولم يقذ سواك، إن مصابه لا غرو أعظم من ذلك، وإن من حق مصابه أن لاتصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها، فإنك

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٢/١٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٢/١٠.

لترى الأعراب حول المدينة لو تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في ممساه، وزعمت أن الشوق إليه بنصرة دينه، وموازرة المسلمين عليه، ومعاونتهم فيه، وزعمت أنك مكب على عهد الله تجمع ما تفرق منه، فمن العلوق على عهد الله النصيحة لعباده، والرأفة على خلقه، وأن تبدل من نفسك ما يصلحون به ويجتمعون عليه، وزعمت أن التظاهر عليك واقع، أي تظاهر وقع عليك، وأي حق استؤثر به دونك، لقد علمت ما قالت الأنصار أمس سراً وجهراً، وما تقلبت عليه ظهراً وبطناً، فهل ذكرتك أو أشارت بك أو طلبت رضاها من عندك، وهؤلاء المهاجرون من الذي قال منهم إنك صاحب هذا الأمر، وأومىء إليه أو همّ بك في نفسه، أتظن أن الناس ضلوا من أجلك، وعادوا كفاراً بهذا فيك، وباعوا الله تعالى بهواهم بغضاً لك، ولقد جاءني قوم من الأنصار فقالوا: إن علياً ينتظر الإمامة، ويزعم أنه أولى بها من أبي بكر، فأنكرت عليهم، ورددت القول في نحورهم حتى قالوا إنه ينتظر الوحي، ويتوكف مناجاة الملك، فقلت: ذاك أمر طواه بعدُ محمد ﷺ، ومن أعجب قولك لولا سابق قول لشفيت غيضي بخنصري وبنصري، وهل ترك الدين لأحد أن يشفي غيظه بيده أو لسانه، تلك جاهلية استأصل الله شأفتها، وأقتلع جرثومتها، ونوّر ليلها، وغور سبيلها، وأبدل منها الروح والريحان، والهدى والبرهان، وزعمت أنك ملجم، فلعمري أنت أعز ما أتقى الله وطلب ما عنده، أمسك لسانه وأطبق فاه، وعلت عقده ودينه على هواه، وما قولك إني لأعرف منزع قوسي، فإذا عرفت منزع قوسك وغيرك مضرب سيفه، ومطعن رمحه، وأما ما تزعمه من الأمر الذي

جعله رسول الله لك فتخلفه اعذاراً إلى الله وإلى العارفين به من المسلمين، فلو عرفه المسلمون لجنحوا إليه، وأصفقوا عليه، وما كان الله ليجمعهم على العمى، ولا ليصيرهم بالضلال بعد الهدى، ولو كان لرسول الله ﷺ فيك رأي عليك عزم، ثم بعثه الله فرأى اجماع أمته على أبي بكر لما سفه آراءهم، ولا ضلل خللهم، ولا آثرك عليهم، ولا رضاك بسخطهم، ولأمرك باتباعهم وبالدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم.[1]

فقال علي: مهلاً أبا حفص، أرشدك الله، خفض عليك ما بدلت، وأنا أريد عنه حولاً، وأنا آخر الناس صفعة عند الله من استبطن النفاق، وأحتضن الشقاق، وفي الخلف عن كل فائت عوض من كل واهب، وسلوة عن كل حادث، وعليه التوكل في جميع الحوادث، ارجع أبا حفص إلى مجلسك ناقع القلب، مبرود الغليل، فصيح اللسان، رحيب الصدر، متهلل الوجه، فليس وراء ما سمعته مني إلاّ ما يشد العزم، ويحبط الوزر، ويضع ويجمع الإلفة، ويرفع الكلفة إن شاء الله تعالى، فأنصرف عمر إلى مجلسه.

قال أبو عبيدة: فلم أسمع ولم أرَ كلاماً ولا مجلساً كان أصعب من ذلك الكلام والمجلس.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٣/١٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٣/١٠.

قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: فوالذي لا إله إلاّ هو وإني على جادة الحق، وإنهم لعلى منزلة الباطل.[1]

وقال: قال الطبري: روى صالح ابن كيسان، عن المغيرة بن شعبة قال: لما دفن عمر أتيت علياً وأنا أحب أن أسمع منه في عمر شيئاً، فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل، وهو ملتحف بثوب لا يشك أن الأمر يصير اليه.[2]

وقال ابن أبي الحديد: قال عليه السلام في كلام له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل: وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم، فإنهم إن يمموا على قيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين.

ثم ذكر أن الحسد دعاهم إلى ذلك وفاها عليه.[3]

قال: كنت قرأت على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني رحمه الله أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام، وذكر كلاماً طويلاً يأتي إن شاء الله تعالى في موضع آخر، وفي كلامه: فكان علي عليه السلام لا يشك أن الأمر له، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس، ولهذا قال له عمه وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله: امدد يدك ابايعك فيقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يختلف عليك اثنان، قال: يا عم وهل يطمع فيها طامع غيري؟

---

[1] - نهج البلاغة ١٧١/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥/١٢.

[3] - نهج البلاغة ٨٢/٢.

قال: ستعلم، قال: فإني لا أحب هذا الأمر من وراء رتاج، وأحب أن أصحر بـه، فسكت عنه.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٢/٩.

الباب الخامس
في اعتراف عمر أن أمير المؤمنين علي عليه السلام
هو صاحب الأمر والإمام والخليفة
زيادة على ما تقدم

قال ابن أبي الحديد: قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شيبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، عن رجاله، عن ابن عباس، قال: مر عمر ﴿رضي الله عنه﴾ بعلي عليه السلام وأنا معه بفناء داره، فسلم عليه، فقال له علي: أين تريد؟ قال: بقيع، قال: افلا نصل جناحك ونقوم معك؟ قال: بلى، فقال لي علي عليه السلام: قم معه، فقمت ومشيت إلى جانبه فشبك أصابعه في أصابعي ومشينا قليلاً حتى إذا خلفنا البقيع قال لي: يا ابن عباس، أما والله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ إنا خفناه على إثنتين، قال ابن عباس: فجاء بكلام لم أجد بداً من مسألته عنه، فقلت: وما هما يا أمير المؤمنين؟ قال: خفناه على حداثة السن، وحبه بني عبد المطلب.[1]

وقال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد، عن رجاله، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن تولوها أبو بكر تجدوه ضعيفاً في بدنه، قوياً في أمر الله، وإن تولها عمر تجدونه قوياً في بدنه، قوياً في أمر الله، وإن تولوها علياً وما

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٧/٢.

أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً، يحملها على المحجة البيضاء، والصراط المستقيم.[١]

قال: قال أبو العباس أحمد بن يحيى تغلب في كتاب الأمالي: كان عبد الله بن عباس عند عمر ﴿رضي الله عنه﴾ فتنفس عمر نفساً عالياً، قال ابن عباس: حتى ظننت أن أضلاعه قد انفرجت، فقلت له: وما أ خرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلاّ همّ شديد!

قال: أي والله يا ابن عباس، إني فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي، ثم قال: لعلك ترى صاحبك لها أهلاً؟ قلت: وما يمنعه من ذلك مع جهاده، وسابقته، وقرابته، وعلمه.

قال: صدقت، ولكنه امرء فيه دعابة.

قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: هو ذو لبأو بإصبعه المقطوعة، قلت: فعبد الرحمن، قال: رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد إمرأته، قلت: فالزبير، قال: شكس النفس، يلاطم في البقيع في صاع من بر، قلت: فسعد ابن أبي وقاص، قال: صاحب مقنب وسلاح، قلت: فعثمان، قال أوه أوه مراراً، ثم قال: والله لئن وليها ليحملن ابن أبي معيط على رقاب الناس، ثم لتنهضن إليه العرب فتقتله، ثم قال ابن عباس: إنه لا يصلح لهذا الأمر إلاّ حصيف العقدة، قليل الغرة، لا تأخذه في الله لومة لائم، يكون شديداً من غير عنف، ليناً من غير ضعف، جواداً من غير سرف، ممسكاً من غير وكف، قال

---

[١]- شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٢/٦.

ابن عباس: وكانت هذه صفات، ثم أقبل عليّ فقال: إن أحراهم إن وليها أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك، والله لئن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء، والصراط المستقيم.[١]

قال: وروى عمرو بن ميمون قال: سمعت عمر وهو يقول وقد أشار إلى الستة، ولم يكلم أحداً منهم إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام وعثمان، ثم أمرهم بالخروج، فقال لمن كان عنده اذا اجتمعوا على رجل فمن خالف ليضرب عنقه، ثم قال: إن تولوها الأجلح يسلك بهم الطريق، فقال له قائل: فما يمنعك من العهد إليه؟

قال: أكره أن أتحملها حياً وميتاً!

قلت : أراد بالأجلح علياً عليه السلام.[٢]

قال: وقد روى محمد بن سعد، عن الواقدي، عن محمد بن عبد الله الزهري، عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة قال: قال عمر: لا أدري ما أصنع بأمة محمد؟ وذلك قبل أن يطعن، فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم قال: اصاحبك يعني علياً، قلت نعم، هو لها أهل، قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره، وسابقته وبلائه، قال: إن فيه بطالة وفكاهة، قلت: فأين أنت من طلحة؟ قال: فأين الزهو والنخوة، قلت: عبد الرحمن؟ قال: هو رجل صالح على ضعف فيه، قلت: فالزبير؟ قال: وعق ونفس، مؤمن الرضا، كافر الغضب،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٢٦/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٨/١٢.

شحيح، وإن هذا الأمر لا يصلح إلاّ لقوي في غير عنف، رفيق في غير ضعف، وجواد في غير سرف، قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه.[١]

وقد روي عن غير هذا الطريق أن عمر قال لأصحاب الشورى: روحوا اليّ، فلما نظر إليهم قال: جاني كل واحد يهز عقيرته يرجو أن يكون خليفة، أما أنت يا طلحة أفلست القائل إن قبض النبي ﷺ نكحنا أزواجه من بعده، فما جعل محمداً حق ببنات أعمامنا، فأنزل الله تعالى فيك: ﴿**ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً**﴾، وأما أنت يا زبير فوالله ما لان قلبك يوماً وليلة، وما زلت جلفاً جافياً، وأما أنت يا عثمان فوالله لروثة خير منك، وأما أنت يا عبد الرحمن فإنك رجل عاجز تحب قومك، ميعاً، وأما أنت يا سعد فصاحب عصبية وفتنة، وأما أنت يا علي لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم، فقام علي مولياً يخرج، فقال عمر: والله لأعلم مكان رجل لو وليتم أمركم لحملكم على المحجة البيضاء، قالوا: من هو؟ قال: هذا المولي من بينكم، قالوا: فما يمنعك من ذلك؟ قال: ليس إلى ذلك سبيل.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٨/١٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١٢.

وفي خبر آخر رواه البلاذري في تاريخه أن عمر لما أخرج أهل الشورى من عنده قال: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق، فقال عبد الله بن عمر: فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين؟ قال: أكره أن أتحملها حياً وميتاً.[١]

قال: وكان عمر قال لطلحة والزبير ولغيرهما: أما إن الأجلح إن وليها ليحملنكم على المحجة البيضاء، والصراط المستقيم، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من قبل قال: وإن تولوها علياً تجدوه هادياً مهدياً.[٢]

وقال: قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة باسناد رفعه إلى ابن عباس قال: إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة، يده في يدي، فقال: يا ابن عباس ما أظن صاحبك إلاّ مظلوماً، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين فأد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي ثم مر يهمهم ساعة ثم وقف، فلحقته، فقال لي: يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلاّ انهم استصغروه، فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى، فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره بأخذ سورة براءة من أبي بكر.[٣]

وقال: روى الزبير بن بكار في كتاب الموفقيات، عن عبد الله بن عباس قال: إني لأماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة، وساق الحديث إلى آخره إلاّ إن في آخره فقال: يا ابن عباس ما أظنهم منعهم منه إلاّ

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٠/١٢.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠/١١.

[٣] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٥/٦.

أنه استصغره قومه، فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى، فقلت: والله ما استصغراه الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك، فأعرض عني وأسرع، فرجعت عنه.[١]

وقال: وروى عبد الله بن عمر قال: كنت عند أبي يوماً وعنده نفر من الناس فجرى ذكر الشعر، فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان، فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس، فقال عمر: قد جاءك الخبير، من أشعر الناس يا عبد الله؟ قال: زهير بن أبي سلمة، قال: ما تنشدني ما تستجيده له، فقال: يا أمير المؤمنين إنه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان وقال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

قوم بأن لهم أو مجدهم قعدوا

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم

طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

انس اذا آمنوا جن اذا فزعوا

مزرأون بهاليل اذا جهدوا

محسدون على ما كان من نعم

لا ينزع الله منهم ما له حسدوا[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٦/١٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٢/١٢.

فقال عمر: والله لقد أحسن ولا أرى هذا المدح لا يصلح إلاّ لهذا البيت من هاشم لقربتهم من رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: وفقك الله يا أمير المؤمنين، فلم تزل موفقاً، قال: يا ابن عباس اتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: لكني أدري، قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجمع لكم النبوة والخلافة، فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت ووفقت فأصابت، فقال ابن عباس: أيميط عني أمير المؤمنين غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء، قال: أما قول أمير المؤمنين إن قريشاً كرهت، فإن الله تعالى قال لقوم إنهم ﴿**كرهوا ما انزل الله فاحبط أعمالهم**﴾، وأما قولك إنا كنا نجحف، فلو جحفنا بالخلافة لجحفنا بالقرابة، ولكنا أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ الذي قال الله ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾، وقال له: ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾، وأما قولك إن قريشاً اختارت، فإن الله تعالى يقول: ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة**﴾، وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت قريش، فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس أبت قلوبكم يا بني هاشم إلاّ غشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول، فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ الذي طهره

الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطيراً**﴾.[١]

قال: ذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني قال: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثني عمر بن شبة، عن هارون بن عمر، وعن أيوب بن سويد، عن يحيى بن زيد، عن عمر بن عبد الله الليثي، قال: قال عمر بن الخطاب ليلة مسيره من الجابية: أين عبد الله بن عباس، فأتي به، فشكى إليه تخلف علي بن أبي طالب، قال ابن عباس: فقلت: ولم يعتذر إليك، قال: بلى، قلت: فهو ما اعتذر به، قال ثم أنشأ يحدثني فقال: إن أول من ربتكم عن هذا الأمر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة.[٢]

قال أبو الفرج: ثم ذكر قصة طويلة فكرهت ذكرها.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٢/١٢.

[٢] - الاغاني

[٣] - الاغاني

الباب السادس
في اعتراف عثمان لأمير المؤمنين علي عليه السلام
بأنه أولى بالخلافة و الإمامة
وأن اللذين تقدما عليه ظلما أنفسهما

قال ابن أبي الحديد: أتى أناس عثمان وفيهم ابن عباس، فلما أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس فقال: ما لي ولكم يا ابن عباس، ما أغراكم بي، وأولعكم بتعقب أمري، أتنقمون على أمر العامة، أتيت من وراء حقوقكم أم أمركم، وقد جعلتم تمنون منزلتكم، لا والله، لكن الحسد والبغي، وتوثير الشر، وإحياء الفتن، والله لقد ألقى النبي صلى الله عليه وآله إليّ ذلك، وأخبرني به عن أهله واحداً واحداً، والله ما كَذبت ولا كذب ولا أنا بمكذوب.[1]

فقال ابن عباس: على رسلك يا أمير المؤمنين، فوالله ما عهدتك جهراً بسرك، ولا مظهراً ما في نفسك، فما الذي هيجك وثورك؟ إنا لم يولعنا بك أمر، ولم نتعقب أمرك بشيء أتيت بالكذب، ونسوق عليك بالباطل، والله ما ينقمنا عليك ولا للعامة، قد أتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم، وقضيت ما يلزمك ولهم، فأما الحسد والبغي، وتثوير الفتن، وإحياء الشر، فمتى رعيت به عترة النبي وأهل بيته، وكيف وهم منه وإليه، أعلى دين الله يثورون الشر، أم على دين الله يحيون الفتن، كلا ليس البغي ولا الحسد من طباعهم، فتأيد يا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨/٩

أمير المؤمنين، وأبصر أمرك، وأمسك عليك، فإن حالتك الأولى خير من حالتك الأخرى، لعمري إن كنت لا ترى عند رسول الله، وإن كان ليقضي إليك بسره ما يظن به عن غيرك، ولا كذبت ولا كذبت، ولا أنت مكذوب، اخش الشيطان عنك لا يركبك، وأغلب غضبك ولا يغلبك، فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك؟ قال: دعاني اليه ابن عمك علي بن أبي طالب، قال ابن عباس: وعسى أن يكذب مبلغك، قال عثمان: إنه ثقة، قال ابن عباس: إنه ليس بثقة من بلغ وأغرى، قال عثمان: يا ابن عباس، والله إنك ما تعلم من علي ما شكوت منه، قال: اللهم إلاّ أن تقول كما يقول الناس، ينقم كما ينقمون، فمن أغراك به وأولعلك بذكره دونهم، قال عثمان: أنا أفتي من أعظم الداء الذي ينصب نفسه لرأس الأمور وهو علي بن أبي طالب ابن عمك، وهذا والله من نكده وشومه، قال ابن عباس: مهلاً استثن يا أمير المؤمنين، قل إن شاء الله تعالى، قال إن شاء الله، إني انشدك يا ابن عباس الإسلام والرحم، فقد والله غلبت وابتليت بكم، والله لوددت أن هذا الأمر صار إليكم دوني فحملتموه عني، وكنت أحد أعوانكم عليه، إذاً والله لوجتموني لكم خيراً مما وجدتكم لي، ولقد علمت أن الأمر لكم، ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم، فوالله ما أدري أرفعوه عنكم أم رفعوكم عنه؟ قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما نشدتك الله والإسلام والرحم مثل ما نشدتنا أن نطمع فيك وفينا عدواً، ونشمت بك وبنا حسوداً، إن أمرك إليك ما كان فعلاً، فإذا صار فعلاً فليس إليك ولا في يديك، وإنا والله لنخالفن إن خولفنا، ولنازعن إن نوزعنا، ما

تمنيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلاّ أن يقول قائل بقوله منا ما الناس ويعيب كما عابوا، فإما صرف قومنا عنا الأمر فعن حسد قد والله عرفته، وبغي قد والله علمته، فالله بيننا وبين قومنا، وأما قولك إنك لا تدري أرفعوه عنا أم رفعونا عنه، فلعمري إنك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الأمر ما ازددنا به فضلاً ولا قدراً إلى قدرنا، وإنا لأهل الفضل وأهل القدر، وما فضل فاضل إلاّ بفضلنا، ولا سبق سابق إلاّ بسبقنا، ولولا هدانا ما اهتدى أحد ولا أبصر، ومن عمي ولا قصد فمن جور.[١]

فقال عثمان: حتى متى يا ابن عباس يأتيني عنكم ما يأتيني، هبوني كنت بعيداً، أما كان لي من الحق عليكم أن أراقب وأن اناظر، بلى ورب الكعبة لكن الفرقة سهلت لكم القول فيّ، وتقدمت بكم إلى الاإسراع اليّ، والله المستعان.

قال ابن عباس: مهلاً حتى ألقى علياً ثم أحمل إليك على قدر ما أرى.

فقال: افعل فقد فعلت، وطال ما طلبت، فلا أطلب ولا أحارب، ولا أغلب.

قال ابن عباس: فخرجت فلقيت علياً وإذا به من الغضب والتلظي أضعاف ما لعثمان، فأردت تسكينه فأمتنع، فأتيت منزلي وأغلقت بابي واعتزلتهما، فبلغ ذلك عثمان فأرسل اليّ فأتيته وقد هدأ غضبه، فنظر اليّ ثم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨/٩

ضحك، فقال: يا ابن عباس ما أبطأ بك عنا، إن تركك العود إلينا لدليل على ما رأيت عند صاحبك، وعزفت من حاله، فالله بيننا وبينه.

حدثنا في غير ذلك، فكان عثمان إذا أتاه بعد ذلك عن علي شيء فأردت التكذيب عنه يقول ولا يوم الجمعة حين أبطأت عنا وتركت العود إلينا، فلا أدري كيف أرد عليه.[1]

قال: وروى الواقدي في كتاب الشورى عن ابن عباس رَحِمَهُ الله قال: شهدت عتاب عثمان لعلي عليه السلام يوماً فقال له في بعض ما قاله: نشدتك الله أن تفتح للفرقة باباً، ولعهدي بك وأنت تطيع عتيقاً وابن الخطاب كطاعتك لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولست بدون واحد منهما، وأنا أمس بك رحماً، وأقرب إليك صهراً، فإن كنت تزعم أن هذا الأمر جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لك، فقد رأيناك حيث توفي نازعت ثم أقررت، فإن كانا لم يركبا من الأمر جدداً فكيف أذعنت لهما بالبيعة، ونجعت بالطاعة؟ وإن كانا أحسنا فيما وليا، ولم أقصر عنهما في ديني وحسبي وقرابتي، فكن لي كما كنت لهما؟[2]

فقال علي عليه السلام: أما الفرقة فمعاذ الله أن افتح لها باباً، وأُسهل إليها سبيلاً، ولكني أنهاك عما ينهاك الله ورسوله عنه، وأما عتيق وابن الخطاب فإن كانا أخذا ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لي فأنت أعلم بذلك والمسلمون، وما لي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين، فإما أن لا يكون حقي بل المسلمون فيه

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨/٩

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/٩.

شرع، فقد أصاب السهم الثغرة، وإما أن يكون حقي دونهم، فقد تركته لهم، طبت به نفساً أو نفضت يدي منه استصلاحاً، وأما التسوية بينك وبينهما، فلست كأحدهما، إنهما وليا هذا الأمر فطلقا أنفسهما وأهلهما عنه، وعمت وقومك عوم السابح في اللجة، فأرجع إلى الله أبا عمرو وأنظر هل بقي من عمرك إلاّ كظم الحمار، فحتى متى وإلى متى ألا تنهى سفهاء بين أمية عن أعراض المسلمين، وأبشارهم وأموالهم، والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان أثمه مشتركاً بينه وبينك.

قال ابن عباس: فقال عثمان: لك العتبى، وأفعل وأعزل من عمالي كل من تكرهه، ويكرهه المسلمون.

ثم افترقا، فصده مروان بن الحكم عن ذلك وقال: يجتريء عليك الناس، فلم يعزل أحداً منهم.[1]

وقال: قال عمرو بن العاص لعثمان: أرى لك أن تلزم طريق صاحبيك، فتلين موضع اللين، وتشد موضع الشدة.[2]

فقال عثمان: قد سمعت ما قلتم، إن الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن لا بد منه، وإن بابه الذي يغلق عليه لينفتحن فكفكفوهم باللين والمداراة إلاّ في حدود الله، فقد علم الله إني لم آل خيراً، وإن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها، سكتوا الناس وهبوا لهم حقوقكم، فإذا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٧/٢.

تعوطبت حقوق الله فلا تدهنوا فيها، ثم نفر وقدم المدينة، فدعى علياً وطلحة والزبير فحضروا عنده فسكت عثمان ولم يتكلم، وتكلم معاوية فحمد الله وقال: أنتم أصحاب رسول الله وخيرته من خلقه، وولاة أمر هذه الأمة، لا يطمع فيه أحد غيركم، أخرتم صاحبكم من غير غلبة ولا طمع، وقد كبر وولى عمره، فلو انتظرتم به الهرم كان قريباً مع أني أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغه ذلك، وقد فشت مقالة خفتها عليكم فما عنيتم فيه من شيء فهذه يدي لكم به رهناً، فلا تطمعوا الناس في أمركم، فوالله إن طمعتموهم لا رأيتم أبداً منها إلا أذناباً.[1]

فقال علي عليه السلام: ما لك وذاك لا أم لك، فقال: دع أمي فإنها ليست بشر أمهاتكم، قد أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وآله، وأجبني عما أقول لك.

فقال عثمان: صدق ابن أخي، أنا أخبركم عني وعما وليت، إن صاحبيّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما، ومن كان منهما بسبيل احتساباً، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعطي قراباته، وأنا في رهط أهل عيلة وقلة معاش، فبسطت في شيء من ذلك لما أقوم فيه، فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه، فأمري لأمركم تبع، فقالوا: أصبت وأحسنت، إنك أعطيت عبد الله بن خالد بن اسيد خمسين ألفاً، وأعطيت مروان خسمة عشر الفاً فاستعدها منهما، فاستعادها فخرجوا راضين.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٧/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٧/٢.

الباب السابع
في اعتراف معاوية بأن أمير المؤمنين علي عليه السلام حقه لازم له ولأبي بكر وعمر من الإمامة والخلافة والعلم بذلك من النص على أمير المؤمنين عليه السلام

قال ابن أبي الحديد: قال نصر: وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية، من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر، سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولايته أما بعد:

فإن الله بجلالته وعظمته وسلطانه وقدرته، خلق خلقاً بلا عبث، ولا ضعف في قوته، ولا حاجة به إلى خلقهم، ولكنه خلقهم عبيداً، وجعل منهم شقياً وسعيداً، وغوياً ورشيداً، ثم اختارهم على علمه، فأصطفى وأنتجب منهم محمداً صلى الله عليه وآله، فأختصه برسالته، وأختاره لوحيه، وأئتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعى إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب، وصدق وأسلم أخوه وابن عمه علي ابن أبي طالب، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يزل مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل، ومقامات الروع حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو، السابق المبرز في كل حين، أول الناس اسلاماً، وأصدق الناس نية،

وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم، وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجهدان على اطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليكم بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ، والشاهد لعلي من فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن، فضّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب، يجالدون حوله بأسيافهم، ويهرقون دماءهم دونه، يرون الفضل في إتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيه، وأبو ولده، وأول الناس له إتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسره، ويشركه في أمره، وأنت عدوه وابن عدوه، فتمتع ما أستطعت بباطلك، وليمددك ابن العاص في غوايتك، فكأن أجلك، قد انقضى وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا، وأعلم أنك إنما تكايد ربك الذي أمنت كيده، وآيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، وبالله وبأهل بيت رسول الله عنك الغنِا، والسلام على من اتبع الهدى.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٨/٣.

فكتب إليه معاوية: من معاوية بن أبي سفيان، إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر، سلام الله على أهل طاعة الله، أما بعد:

فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما اصطفى به نبيه مع كلام ألفته و وضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت حق ابن أبي طالب، وقدم سابقته وقرابته من نبي الله، ونصرته ومواساته إياه في كل هول وخوف، وإحتجاجك عليّ، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، ومبرزاً علينا، فلما أختار الله لنبيه ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أول من آثره وخالفه، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم دعواه إلى انفسهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم فبايعهما وسلم لهما، لا يشاركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضا وانقضى أمرهما، ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدي بهديهما، ويسير بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، وبطنتما له، وظهرتما عليه، وكشفتما له عداوتكما وغلكما حتى بلغتما منه مناكما، فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، فترى وبال أمرك، وقس فترك بشبرك، يقصر أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حمله، ولا يلين على قسر قناته، ولا يدرك ذو مدى أناته، أبوك مهد له مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يكن جوراً فأبوك رأسه، ونحن

شركاؤه، بهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، رأينا أباك فعل ما فعل فأحتدينا مثاله، وأقتدينا بفعاله، فعب أباك بما بدا لك أو دع، والسلام على من أناب، ورجع عن غوايته وتاب.[١]

قال امير المؤمنين عليه السلام في خطبة مكاتبة لمعاوية:أما بعد: فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور، فلقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل، واقتحامك غرور المين والأكاذيب، من انتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك ما قد اختزن دونك، فراراً من الحق، وجحوداً لما هو الزم لك من لحمك ودمك، مما قد وعاه سمعك، وملىء به صدرك، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال، وبعد البيان إلاّ اللبس، فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها.[٢]

قال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: قال: ما قد علا عنك أي دون الخلافة ولست من أهلها، والإبتزاز الإستلاب، قال: ما قد اختزن دونك يعني التسمي بإمرة المؤمنين، ثم قال: فراراً من الحق، أي فعلت ذلك كله هرباً من التمسك بالحق والدين، وحباً للكفر والشقاق والتغلب، قال: وجحوداً لما هو ألزم يعني فرض طاعة علي عليه السلام، لأنه قد وعى ما سمعه لا ريب في ذلك، إما بالنص في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كما تذكره الشيعة، فقد كان معاوية حاضراً يوم الغدير، لأنه حج معهم حجة الوداع، وقد كان أيضاً حاضراً يوم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨٩/٣.

[٢] - نهج البلاغة ١٢٤/٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢/١٨.

تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافة: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وقد سمع غير ذلك، وإما بالبيعة كما نذكره نحن، فإنه قد اتصل به خبرها وتواتر عنده وقوعها، فصار وقوعها عنده معلوماً بالضرورة كعلمه أن في الدنيا بلدة إسمها مصر، وإن كان ما رآها، والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنه يريد المعنى الأول، ونحن نخرجه على وجه لا يلزم منه ما يقول الشيعة فنقول:

لنفرض أن النبي ما نص عليه بالخلافة بعده، أليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة أنه قال له في ألف مقام: أنا حرب لمن حاربك، وسلم لمن سالمك، ونحو ذلك من قوله: اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، وقوله: حربك حربي، وسلمك سلمي، وقوله: أنت مع الحق والحق معك، وقوله: هذا مني وأنا منه، وقوله: هذا أخي، وقوله: يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وقوله: اللهم اتني بأحب الخلق إليك، وقوله: إنه ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي، وقوله في كلام قاله: وهو خاصف النعل، وقوله: لا يحبه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق، وقوله: إن الجنة لمشتاقة إلى أربعة، وجعله أولهم، وقوله لعمار: تقتلك الفئة الباغية، وقوله: ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي.[1]

إلى غير ذلك مما يطول تعداده جداً، ويحتاج الى كتاب مفرد يوضع له، فما كان لمعاوية أن يفكر في هذا ويتأمله، ويخش الله ويتقه، فلعله عليه السلام

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١٨.

إلى هذا أشار بقوله جحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، مما قد وعاه سمعك، وملأ به صدرك.[١]

قلت: فيما ذكره ابن أبي الحديد حجة عليه وعلى مشايخه الثلاثة وأتباعهم العالمين بالنص من الرسول صلى الله عليه وآله على علي امير المؤمنين عليه السلام بأنه عليه السلام الإمام والخليفة من بعده صلى الله عليه وآله بهذه النصوص وغيرها، كما اعترف به ابن أبي الحديد.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١٨.

الباب الثامن

في أن المهاجرين والأنصار لا يشكون أن الإمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه ولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

ابن أبي الحديد قال: روى الزبير بن بكار، قال محمد بن إسحاق: إن أبا بكر لما بويع افتخرت تيم ابن مرة، قال: وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون في ان علياً عليه السلام هو صاحب الأمر من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الفضل بن العباس: يا معشر قريش وخصوصاً بني تيم إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة، ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهية الناس لنا أعظم من كراهيتهم لغيرنا، حسداً منهم لنا، وحقداً علينا، وإنا لنعلم أن عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه، وقال بعض ولد أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم:

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرف
عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صلى لقبلتكم
وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن
جبرئيل عون له في الغسل والكفن

مـن فيـه مـا فيهم لا تمتـرون بـه
وليس فـي القوم ما فيهم من الحسن
مـن ذا الـذي ردهـم عنه فنعلمه
هـا أن ذا غبـناً مـن أعـظم الـغبن

قال الزبير: فبعث اليه علي عليه السلام فنهاه وأمره أن لا يعود، وقال: سلام الدين أحب الينا من غيرها.[1]

وقال: روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز في كتاب السقيفة، قال: أخبرني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أحمد بن يسار، قال: حدثنا سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري، إن النبي صلى الله عليه وآله لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قبض، فقال سعد بن عبادة لإبنه قيس أو لبعض بنيه: إني لا أستطيع ان أسمع الناس كلامي لمرضي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهم، فكان سعد يتكلم ويسمع إبنه فيرفع فيه صوته، ليسمع قومه، فكان من قوله بعد حمد الله والثناء عليه أن قال: إن لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان، فما آمن به من قومه إلاّ قليل، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله، ولا يعزوا دينه، ولا يدفعوا ضيماً عراه حتى إذا أراد الله بكم خير الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، خصكم بنبيه، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والإعزاز لدينه، والجهاد لأعدائه،

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/٦.

فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه عنكم، وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيد القيادة صاغراً كارهاً، حتى أنجز الله تعالى لنبيكم الوعد، ودانت بأسيافكم العرب، توفاه الله وهو عنكم راض، وبكم قرير العين، فشدوا بأيديكم بهذا الأمر، فإنكم أحق الناس واولاكم به.[١]

فاجابوه جميعاً: أن وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدوا ما أمرت، نوليك هذا الأمر، فأنت لنا مقنع، ولصالح المؤمنين رضاً، ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش، فقالوا نحن المهاجرون، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلام تنازعونا هذا الأمر من بعده، فقالت طائفة منهم: إذن نقول منا أمير، ومنكم أمير، لن نرضى بدون هذا منكم أبداً، لنا في الإيواء النصرة ما لهم في الهجرة، ولنا في كتاب الله ما لهم، فليس يعدون شيئاً إلاّ ونحن نعد مثله، وليس من رأينا الإستيثار عليهم، فمنا أمير، ومنهم أمير، فقال سعد ابن عبادة: هذا أول الوهن.[٢]

وأتى الخبر عمر فأتى منزل رسول الله صلى الله عليه وآله فوجد أبا بكر في الدار، وعلياً عليه السلام في جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله، كان الذي أتاه بالخبر معن بن عدي، فأخذ بيد عمر وقال: قم، فقال عمر: إني مشغول، فقال: إنه لا بد من قيام، فقام معه، فقال له: إن هذا الحي من الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة معهم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

سعد بن عبادة، يدورون حوله أنت المرجى، وفحلك المرجى، وثم أناس من أشرافهم، وقد خشيت الفتنة، فأنظر يا عمر ماذا ترى، وأذكر لإخوتك من المهاجرين والأنصار، واحتالوا لأنفسكم، فإني أنظر إلى باب فتنة قد فتح الساعة إلاّ يغلقه الله، ففزع عمر أشد الفزع حتى أتى إلى أبي بكر فأخذ بيده، وقال: قم، فقال أبو بكر: أين تبرح بي حتى يواري رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فقال عمر: لا بد من قيام، وسترجع إن شاء الله، فقام أبو بكر مع عمر فحدثه الحديث، ففزع أبو بكر أشد الفزع، وخرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة، وفيها رجال من أشراف الأنصار، ومعهم سعد بن عبادة، وهو مريض بين أظهرهم، فأراد عمر أن يتكلم ويمهد لأبي بكر، وقال: خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام، فلما تيسر عمر الكلام كفه أبو بكر وقال: على رسلك، فستكفى الكلام، ثم تكلم بعد كلامي بما بدا لك، فتشهد أبو بكر وقال: إن الله جل ثناؤه بعث محمداً بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام، فأخذ الله بنواصينا وقلوبنا إلى ما دعانا إليه، فكنا معشر المهاجرين أول الناس اسلاماً، والناس في ذلك تبع، ونحن عشيرة رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وأوسط العرب انساباً، ليس من قبيلة من قبائل العرب إلاّ ولقريش فيها ولادة، وأنتم أنصار الدين، ونصرتم رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، ثم أنتم وزراء رسول الله، وإخوتنا في كتاب الله، وشركاؤنا في الدين، وفيما كنا فيه من خير وشر، فأنتم أحب الناس إلينا، وأكرمهم علينا، وأحق الناس بالرضا والتسليم لما ساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين، وأحق الناس أن لا تحسدوهم، فأنتم المؤثرون على أنفسهم حيث

الخصاصة، وأحق الناس أن لا يكون انتقاض هذا الدين واختلاطه على أيديكم، وأنا أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر، فكلاهما قد رضيت لهذا الأمر، وكلاهما أراه له أهلاً.

فقال عمر وأبو عبيدة: لا ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك، أنت صاحب الغار، وثاني اثنين، وأمرك رسول الله بالصلاة، فأنت أحق الناس بهذا الأمر.[١]

فقالت الأنصار: والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، ولا أحد أحب إلينا، ولا أرضى عندنا عنكم، ولكنا نشفق ما بعد اليوم، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منّا ولا منكم، فلو جعلتم اليوم رجلاً منكم تابعنا ورضينا على أنه اذا هلك اخترنا واحداً من الأنصار، فإذا هلك كان آخر من المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الأمة، كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد ﷺ، يشفق الأنصاري أن يزيغ فينقض عليه القرشي، ويشفق القرشي أن يزيغ فينقض عليه الأنصاري.[٢]

فقام أبو بكر فقال: إن رسول الله لما بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخالفوه وشاقوه، وخص المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه على الشدة، آذاه قومهم، فلم يستوحشوا لكثرة عددهم، فهم أول من عبد الله في الأرض، وهم أول من آمن بالله

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/٦.

ورسوله، وهم أولياؤه وعترته، وأحق الناس بالأمر بعده، لا ينازعهم فيه إلاّ ظالم، وليس أحد بعد المهاجرين يعد فضلاً وقدماً في الإسلام مثلكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا يغتاب دونكم بمشورة، ولا تقضى دونكم الأمور.[١]

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أيديكم، إنما الناس في فيئكم وظلكم، ولن يجتريء مجتريء على خلافكم، ولا يصدر الناس إلاّ عن أمركم، أنتم أهل الإيواء والنصرة، وإليكم كانت الهجرة، وأنتم أصحاب الدار والإيمان، والله ما عبد الله علانية إلاّ عندكم وفي بلادكم، ولا جمعت الصلاة إلاّ في مساجدكم، ولا عرف الإيمان إلاّ من أسيافكم، فأملكوا عليكم أمركم، فإن أبى هولاء فمنا أمير ومنهم أمير.[٢]

فقال عمر بن الخطاب: هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد واحد، إن العرب لا ترضى أن تؤمركم، ونبيها من غيركم، وليس تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وأولوا الأمر منهم، لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا، والسلطان المبين على من نازعنا، من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته إلاّ مدل بباطل، ومتجانف لإثم أو متورطاً في هلكة.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

فقام الحباب بن المنذر فقال: يا معشر الأنصار لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فتذهبوا بنصيبكم من الأمر، فإن أبوا عليكم ما عطيتموهم فأجلوهم عن بلادكم، وتولوا لهذا الأمر عليهم، فأنتم والله أحق بهذا الأمر، إنه دان لهذا الأمر بأسيافكم من لم يكن يدين له، أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، إن شئتم لنعيدنها جذعة، والله لا يرد علينا أحد ما أقول إلاّ حطمت أنفه بالسيف.[1]

قال: فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ما أجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عبادة، وكان حاسداً له، وكان من سادة الخزرج، قام فقال: أيها الأنصار، إنا وإن كنا ذوي فضيلة وسابقة، فإنا لم نرد بجهادنا وإسلامنا إلاّ رضا ربنا، وطاعة نبينا، ولا ينبغي لنا أن نستطيل بذلك على الناس، ولا نبتغي به عرضاً من الدنيا، إن محمداً رجل من قريش، وقومه أحق بميراث أمره، وأيم الله يراني الله أنازعهم هذا الأمر، فأتقوا الله، ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم.[2]

فقام أبو بكر فقال: هذا عمر وأبو عبيدة، بايعوا أيهما شئتم.

فقالا: والله لا نتولى هذا الأمر عليك، وأنت أفضل المهاجرين، وثاني اثنين، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل الدين، ابسط يديك نبايعك، فلما بسط يده وذهبا يبايعانه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير عقك عقاق، والله ما أضطرك إلى هذا إلاّ الحسد

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

لإبن عمك، فلما رأت الأوس أن رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن خضير، وهو رئيس الأوس فبايع حسداً لسعد أيضاً، ومنافسة له أن يلي الأمر، فبايعت الأوس كلها لما بايع أسيد، وحمل سعد بن عبادة، وهو مريض فأدخل إلى منزله، وأمتنع من البيعة في ذلك اليوم وفيما بعده، وأراد عمر أن يكرهه عليها، فأشير عليه أن لا تفعل، فإنه لا يبايع حتى يقتل، ولا يقتل حتى يقتل أهله، ولا يقتل أهله حتى يقتل الخزرج كلها، وإن حوربت الخزرج كانت الأوس معها وفسد الأمر، فتركوه، فكان لا يصلي بصلاتهم، ولا يجتمع بجماعاتهم، ولا يقضي بقضاياهم، ولو وجد أعواناً لضاربهم، فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر، ثم لقي عمر في خلافته وهو على فرس، وعمر على بعير، فقال له عمر: هيهات يا سعد.

فقال سعد: هيهات يا عمر.

فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه.[1]

قال: نعم أنا ذاك، ثم قال لعمر: والله ما جاورني أحد هو أبغض جواراً اليّ منك.

قال عمر: من كره جوار رجل انتقل عنه.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

فقال سعد: إني لأرجو أن أخليها لك عاجلاً إلى جوار من هو أحب اليّ جواراً منك ومن أصحابك، فلم يلبث سعد بعد ذلك إلاّ قليلاً حتى خرج إلى الشام فمات بحوران، فلم يبايع لأحد لا لأبي بكر ولا عمر ولا لغيرهما.[١]

قال: وكثر الناس على أبي بكر فبايعه معظم المسلمين في ذلك اليوم، وأجتمعت بني هاشم إلى بيت ابن أبي طالب علي عليه السلام ومعهم الزبير، وكان يعد نفسه رجلاً من بني هاشم، ثم كان علي عليه السلام يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ولده فصرفوه عنا.[٢]

وأجتمعت بنو أمية إلى عثمان، وأجتمعت بنو زهرة إلى سعد وعبدالرحمن، فأقبل إليهم عمر وأبو عبيدة فقال: ما لي أراكم حلقاً بئس، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع له الناس وبايعته الأنصار، فقام عثمان ومن معه، وقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما فبايعوا أبا بكر، وذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة عليها السلام منهم أسيد بن خضير، وسلمة ابن أسلم، فقال لهم انطلقوا فبايعوا، فأبوا عليه، وخرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب، فوثب عليه سلمة بن أسلم فأخذ السيف من يده، فضرب به الجدار، ثم انطلقوا به وبعلي ومعهما بنو هاشم وعلي عليه السلام يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، حتى انتهوا إلى أبي بكر فقيل له: بايع، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، وأحتججتم عليهم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

بالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما أحتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، ولا تبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون.[١]

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع.

فقال له علي عليه السلام: احلب يا عمر حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره ليدره عليك غداً، لا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه.

فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك.[٢]

فقال أبو عبيدة: يا أبا الحسن إنك حديث السن، وهؤلاء مشيخة قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك، وأشد احتمالاً له، واضطلاعاً به، فسلم له هذا وارض به، فإنك إن تعش ويطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليق، وبه حقيق في فضلك، وقرابتك وجهادك.[٣]

فقال: يا معشر المهاجرين الله الله لا تخرجوا سلطان محمد من بيته وداره إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوها عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان فينا القاريء

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة، المطلع بأمور الرعية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً.[١]

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما أختلف عليك اثنان، ولكنهم قد بايعوا.[٢]

وأنصرف علي عليه السلام إلى منزله ولم يبايع، ولزم بيته حتى ماتت فاطمة، فلما ماتت فاطمة خرج فبايع.[٣]

قلت: هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين عليه السلام وغيره، لأنه لو كان هناك نص لأحتج به، ولم يجر للنص ذكر، وإنما كان الإحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب، فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين عليه السلام أو على أبي بكر لأحتج به أبو بكر على الأنصار، ولأحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر، فإن هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة تدل على أنه قد كاشفهم، وهتك القناع بينه وبينهم، ألا ترى كيف ينسبهم إلى التعدي عليه وظلمه، ويمتنع من طاعتهم، ويسمعهم من الكلام أشده وأغلظه، فلو كان هناك نص لذكره أو ذكره بعض من كان من شيعته وحزبه، لأنه لا عطر بعد عروس، وهذا أيضاً يدل على أن الخبر المروي في أبي بكر في صحيح مسلم والبخاري غير

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/٦.

صحيح،[١] وهو ما روي من قوله عليه السلام لعائشة في مرضه ادعي لي أباك وأخاك حتى اكتب لأبي بكر كتاباً، فإني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر.[٢] وهذا هو نص مذهب المعتزلة.

يقول فقير الله الغني مؤلف هذا الكتاب هاشم بن سليمان الحسيني البحراني: قال ابن أبي الحديد في الشرح: روى ابن ديزيل، قال: حدثنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا علي بن القاسم، عن سعد بن طارق، عن عثمان بن القاسم، عن زيد ابن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ألا أدلكم** على ما إن سالمتم عليه لم تهلكوا، إن وليكم الله، وإمامكم علي ابن أبي طالب، فناصحوه وصدقوه، فإن جبرئيل أخبرني بذلك.[٣]

قال ابن أبي الحديد عقيب هذا الحديث: فإن قلت: هذا نص صريح في الإمامة، فما الذي تصنع المعتزلة بذلك؟

قلت: يجوز إنه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية لا في الخلافة، وأيضاً فإنا قد شرحنا من قول مشايخنا البغداديين ما محصوله أن الإمامة كانت لعلي عليه السلام إن رغب فيها ونازع عليها، وإن أقرها في غيره وسكت عنها تولينا ذلك الغير، وقلنا بصحة خلافته، وأمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الأئمة الثلاثة، ولا جرد السيف، ولا استنجد بالناس عليهم، فدل ذلك على إقراره لهم على ما

---

[١] - صحيح مسلم ١١٠/٧، صحيح البخاري

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٨/٣.

كانوا فيه، فلذلك توليناهم، وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصلاح، ولو حاربهم، وجرد السيف عليهم، واستصرخ العرب على حربهم، لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعاملة من التفسيق والتضليل.[1]

قلت: ما يكفي ابن أبي الحديد وأصحابه ما ذكره ورواه في منازعة أمير المؤمنين عليه السلام وتظلمه، وغير ذلك مما ذكره ابن أبي الحديد ها هنا سابقاً حيث قال: فإن هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة تدل على أنه قد كاشفهم، وهتك القناع بينه وبينهم، إلى آخر ما تقدم من كلامه، فكيف يقول عقيب هذا الحديث الأخير من قول شيوخه البغداديين أن الإمامة كانت لعلي عليه السلام إن رغب فيها ونازع عليها، فأي رغبة أظهر وأبين وأعظم مما ظهرت في هذا الحديث لمن تأمله بأدنى تأمل، وهل هذا إلاّ تعصب من ابن أبي الحديد على مذهبه الاعتزالي، واعترافه بالحق وانكاره إياه، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال.

وأما قوله: هذا الحديث يدل على بطلان ما ادعي من النص على أمير المؤمنين عليه السلام فكلامه باطل من وجهين:

الاول: إنه قال وإنما كان الإحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرابة إلى آخر ما ذكره سابقاً.

قلت: قوله بالسوابق والفضائل والقرابة يشير به الى النصوص التي سبقت فيه من النصوص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله من النص عليه في غدير

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٨/٣.

خم، ويوم الدار، وهي بيعة العشيرة، وحديث المنزلة، والوصية، وغير ذلك التي لو أفردت تحتاج إلى كتاب مفرد كما ذكره ابن أبي الحديد، وقد ذكرناه عنه في الباب السابق.

والوجه الثاني: من الحديث قوله عليه السلام حيث قال عليه السلام: فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان فينا القاريء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة، المضطلع بأمور الرعية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً، فإن هذا القاريء إلى آخر ما ذكره يعني به نفسه عليه السلام، وهو يشير إلى ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام أقضاكم علي، وهذا الحديث نقله العامة والخاصة، بل هو من الأحاديث المتواترة، وهو نص في الإمامة والخلافة، لأن القضاء يحتاج إلى معرفة الكتاب والسنة، ولا ريب أن علياً عليه السلام هو العالم بالكتاب والسنة، وغيره يحتاج إليه في معرفتهما، وهو لا يحتاج إلى غيره في معرفتهما، كما عليه إجماع المؤالف والمخالف، ولا معنى للإمام والخليفة إلاّ العالم بالأحكام الشرعية التي يفزع فيها إليه على الإطلاق، كما هو معنى قوله صلى الله عليه وآله أقضاكم علي، وهذا واضح بيّن، والحمد لله.

فإن قلت: أكان سعد بن عبادة حال ترشيحه للخلافة يعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الإمام والخليفة والولاية من رسول الله صلى الله عليه وآله واعترف بذلك؟!

قلت: نعم.

قال ابن أبي الحديد: قال أبو بكر، وعلي بن سليمان النوفلي، قال: سمعت أبي يقول: ذكر سعد بن عبادة يوماً علياً عليه السلام بعد يوم السقيفة فذكر أمراً من أمره نسيه أبو الحسن توجب ولايته، فقال له إبنه قيس بن سعد: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هذا في علي بن أبي طالب ثم تطلب الخلافة وتقول لأصحابك منا أمير، ومنكم أمير! لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة أبداً.[١]

وأقول: قد تقدم من رواية ابن أبي الحديد في الأبواب السالفة أن أبا بكر وعمر وعثمان يعلمون أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الأمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالنص عليه من الرسول صلى الله عليه وآله.

وقال ابن أبي الحديد: قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وحدثنا احمد، قال: حدثني سعيد بن كثير، قال: حدثني ابن لهيعة، إن رسول الله صلى الله عليه وآله توفي وأبو ذر غائب، فقدم وقد ولي أبو بكر، فقال، أصبتم قناعه، وتركتم قرامه، لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم ما أختلف عليكم اثنان.[٢]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبه، قال: حدثنا أبو قبصة محمد بن حرب، قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله وجرى في السقيفة ما جرى تمثل علي عليه السلام:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٤/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٦.

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا ويطغون لما غال زيداً غوائله[1]

وقال: وروى زبير بن بكار في الموفقيات قال: لما بايع بشر بن سعد أبا بكر ﴿رضي الله عنه﴾ وازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه، مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب عليه السلام فوقف وأنشد:

بني هاشم لا تطمع الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلاّ فيكم وإليكم وليس لها إلاّ أبو حسن علي

أباحسن فاشدد بها كف حازم فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي

وأي امرء يرمي قصياً ورأيها منيع الحمى والناس من غالب قصي[2]

وقال: وذكر المدائني والواقدي، أن معن بن عدي اتفق هو وعويم بن ساعدة على تحريض أبي بكر وعمر على طلب الأمر وصرفه عن الأنصار، قال: وكان معن بن عدي يشخصهما اشخاصاً، ويسوقهما سوقاً إلى السقيفة مبادرة إلى الأمر قبل فواته.[3]

وقال: قال الزبير: فلما بويع أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفاً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما كان آخر النهار افترقوا إلى منازلهم، وأجتمع قوم من الأنصار، وقوم من المهاجرين فتعاتبوا فيما بينهم، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم أولي فضل ونصر وسابقة، ولكن

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧/٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/٦.

ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر، ولا علي ولا أبي عبيدة، فقال زيد ابن أرقم: إنا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبد الرحمن، وإن منا لسيد الأنصار سعد بن عبادة، ومن أمر الله رسوله عليه السلام أن يقريه السلام، وأن يأخذ عنه القرآن أبي بن كعب، ومن يجيء يوم القيامة إمام العلماء معاذ بن جبل، ومن أمضى رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، وإنا لنعلم أن من سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد علي بن أبي طالب.[1]

قال الزبير: فلما كان من الغد قام أبو بكر فخطب الناس فقال: أيها الناس إني وليتكم ولست بخيركم، فإذا أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، إن لي شيطاناً يعتريني، فإياكم وإياي إذا غضبت، ولا أوثر في أشعاركم وأبشاركم، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي حتى أرد إليه حقه، والقوي ضعيف حتى آخذ الحق منه، إنه لايدع قوم الجهاد إلاّ ضربهم الله بالذل، ولا تشيع في قوم الفاحشة إلاّ عمهم البلاء، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، فقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.[2]

وقال: قال الزبير: محمد بن موسى الأنصاري المعروف بإبن مخرمة، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، قال: لما بويع أبو بكر وأستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وذكروا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/٦.

علي بن أبي طالب عليه السلام، وهتفوا بإسمه، وإنه لفي بيته لم يخرج إليهم، وجزع ذلك المهاجرون وكثروا في ذلك الكلام.[١]

وقال: قال: وحضر أبو سفيان بن حرب، فقال: يا معشر قريش إنه ليس للأنصار أن يتفضلوا على الناس حتى يقروا بفضلنا عليهم، فإن يفعلوا فحسبنا حيث انتهى بنا وإلاّ فحسبهم حيث انتهى بهم، وأيم الله لئن بطروا المعيشة، وكفروا النعمة لنضربنهم على الإسلام كما ضربونا عليه، فأما علي بن أبي طالب فأهل والله أن تسوده قريش، وتطيعه الأنصار.[٢]

وقال: قال أبو بكر: وأخبرنا ابو زيد عمر بن شبه، عن رجاله، عن الشعبي قال: قام الحسن بن علي عليهما السلام إلى أبي بكر وهو يخطب على المنبر فقال: انزل عن منبر أبي، فقال أبو بكر: صدقت، والله إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي، فبعث علي عليه السلام إلى أبي بكر إنه غلام حدث، وإنا لم نأمره، فقال أبو بكر: صدقت إنا لم نتهمك.[٣]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عسان بن عبد الحميد، قال: لما اكثروا في تخلف علي عليه السلام عن البيعة، وأشتد أمر أبي بكر وعمر ﴿رضي الله عنهما﴾ في ذلك، خرجت أم مسطح بنت اثاثة فوقفت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونادته يا رسول الله:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٢/٦.

قـــد كـــان بـعـدك انباء وهنبثة

لـــو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنـــا فقدناك فـقـد الأرض وابلها

واختـل قـومك فاشهدهم ولا تغب[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٥٠.

الباب التاسع

في إخراج أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيعة أبي بكر ملبباً وإرادت عمر حرق بيت فاطمة عليها السلام عند امتناعه عليه السلام من الخروج وقد تأخر عن الصلح القهري ستة أشهر

قال ابن أبي الحديد: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: فنظرت فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم.[١]

قال ابن أبي الحديد: الكظم - بفتح الظاء - مخرج النفس، والجمع اكظام، وضننت - بالكسر - بخلت، وأغضيت على كذا، أغضضت عن طرفي، والشجا ما يعرض في الحلق، اختلفت الروايات في قصة السقيفة، فالذي تقوله الشيعة وقد قال قوم من المحدثين بعضه، ورووا كثيراً منه، أن علياً عليه السلام امتنع من البيعة حتى أخرج كرهاً، وأن الزبير بن العوام امتنع من البيعة، وقال: لا أبايع إلاّ علياً، وكذلك أبو سفيان بن حرب، وخالد بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس، والعباس بن عبد المطلب وبنوه، وأبو سفيان بن أبي الحارث بن عبد المطلب، وجميع بني هاشم.[٢]

---

[١] - نهج البلاغة ٦٧/١، خطبة ٢٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/٢.

وقالوا: إن الزبير لما شهر سيفه قام عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم، قال في جملة ما قال: خذوا سيف هذا فاضربوا به الحجر، ويقال: إنه أخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجراً فكسره، وساقهم كلهم بين يديه الى أبي بكر فحملهم على بيعته، ولم يتخلف إلاّ علي وحده فإنه اعتصم ببيت فاطمة، فتحاموا اخراجه منه قسراً، وقامت فاطمة إلى باب البيت فأسمعت من جاء يطلبه فتفرقوا، وعلموا أنه مفرد لا يضر شيئاً فتركوه، وقيل: إنه أخرجوه فيمن أخرج، وحمل الى أبي بكر فبايعه.[1]

وقد روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري كثيراً من هذا، فأما حديث التحريق وما جرى مجراه من الأمور الفظيعة، وقول من قال أنهم أخذوا علياً عليه السلام يقاد بعمامته والناس حوله، فأمر بعيد، والشيعة تنفرد به على أن جماعة من أهل الحديث قد رووا نحوه، وسنذكر ذلك.[2]

وقال أبو جعفر: الأنصار لما فاتها ما طلبت من الخلافة، قالت وقال بعضها: لا نبايع إلاّ علياً، وذكر نحو هذا علي بن عبد الكريم المعروف بإبن الأثير الموصلي في تأريخه.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/٢، وقد روى قضية الاحراق والتهديد به مجموعة من العلماء منهم: كتاب الاخبار للنوفلي، عنه مروج الذهب ٧٧/٣، المصنف ٢٦٧/١٤، الاكتفاء عنه تشييد المطاعن ٤٤٠/١، كنز العمال ٦٥١/٥، الامامة والسياسة/١٧ - ٢٠، وغيرهم الكثير فمن اراد فليرجع اليها في محلها. المحقق.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/٢.

فأما قوله لم يكن لي معين إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، فقول ما زال عليه السلام يقوله، ولقد قاله عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: لو وجدت أربعين ذوي عزم، ذكر ذلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين، وذكره كثير من أرباب السيرة.

وأما الذي يقوله جمهور المحدثين وأعيانهم فإنه عليه السلام امتنع من البيعة ستة أشهر، ولزم بيته لم يبايع حتى ماتت فاطمة عليها السلام، فلما ماتت بايع طوعاً.[١]

وفي صحيحي مسلم والبخاري كانت وجوه الناس إليه وفاطمة باقية بعد، فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه، وخرج من بيته فبايع أبا بكر، وكانت مدة بقائها بعد أبيها عليه السلام ستة أشهر.[٢]

قال: وروى أحمد بن عبد العزيز، قال: لما بويع لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى علي وهو في بيت فاطمة، فيتشاورون ويتراجعون أمرهم، فخرج عمر حتى دخل على فاطمة عليها السلام وقال: يا بنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بتحريق البيت عليهم، فلما خرج عمر جاؤوها، فقالت: تعلمون أن عمر جاءني وحلف لي بالله إن عدتم ليحرقن عليكم البيت، وأيم الله ليمضين ما

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/٢، صحيح مسلم بسنده عن عائشة، في كتاب الجهاد والسير ٣ / ١٣٨، صحيح البخاري بسنده عن عائشة في كتاب المغازي ٣ /٥٥.

حلف له، فانصرفوا عنا راشدين، فلم يرجعوا إلى بيتها، وذهبوا فبايعوا لأبي بكر.[1]

وقال: وروى أحمد وروى المبرد في الكامل صدر هذا الخبر عن عبدالرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر اعوده في مرضه الذي مات فيه، فسلمت وسألت ما به فاستوى جالساً، فقلت: أصبحت بحمد الله بارئاً!

فقال: أما إني على ما ترى لوجع، وجعلتم لي معشر المهاجرين شغلاً مع وجعي، جعلت لكم عهداً مني من بعدي، وأخترت لكم خيركم في نفسي، فكلكم ورم لذلك انفه، رجاء أن يكون الأمر له، ورأيتم الدنيا قد أقبلت، والله لتتخذن ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألمون ضجايع الصوف، لا أدري كأن أحدكم على حسك السعدان، والله إن يقدم أحدكم فيضرب عنقه في حد خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا، وإنكم غداً لأول ضال بالناس.

وساق حديثه، إلى أن قال: فقال أبو بكر: أما إني لا آسى إلاّ على ثلاث فعلتهن، ووددت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن، وددت أن فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن، فأما الثلاثة التي فعلتها، وددت أني لم أكن فعلتها، فوددت أني لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته ولو اغلق على حرب، ووددت أن يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر وأبي عبيدة، فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت أني إذ أتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته، وكنت قتلته بالحديد أو

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٥/٢.

أطلقته، وأما الثلاث التي تركتها، وودت أني فعلتها، فوددت أني يوم أتيت بالأشعث كنت ضربت عنقه، فإنه تخيل إليّ أنه لا يرى شراً إلاّ أعان عليه، ووددت أني حيث كنت وجهت خالداً إلى أهل الردة، أقمت بذي القصة، فإن ظفر المسلمون وإلاّ كنت ردءاً لهم، ووددت حيث وجهت خالداً إلى الشام، كنت وجهت عمر إلى العراق، فأكون قد بسطت كلتا يدي اليمنى واليسرى في سبيل الله، وأما الثلاث اللواتي وددت أني كنت سألت رسول الله عنهن، فوددت أن سألته فيمن هذا الأمر، فكنا لا ننازعه أهله، ووددت أني سألته عن ميراث العمة وبنت الأخت، فإن في نفسي منها حاجة.[1]

قال: قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبه قال: حدثنا إبراهيم ابن المنذر، عن ابن وهب، عن لهيعة، عن أبي الأسود قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر من غير مشورة، وغضب علي والزبير، فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة فيهم أسيد بن خضير، وسلامة بن سلامة بن وقش، وهما من بني عبد الاشهل، فصاحت فاطمة وناشدتهما الله، فأخذوا سيفي علي والزبير، فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما، ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا، ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم وقال: إن بيعتي كانت فلتة، وقى الله شرها، وخشيت الفتنة، وأيم الله ما حرصت عليها يوماً قط، ولقد قلدت أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٥/٢.

يدان، ولوددت أن أقوى الناس عليه مكاني، وجعل يعتذر إليهم، فقبل المهاجرون عذره.[١]

وقال: قال أبو بكر: وحدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا أحمد بن معاوية، قال: حدثني النضر بن سهيل، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن مسلمة بن عبد الرحمن قال: لما جلس أبو بكر على المنبر كان علي عليه السلام والزبير وأناس من بني هاشم في بيت فاطمة عليها السلام فجاء عمر إليهم فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم، فخرج الزبير مصلتاً سيفه فأعتنقه رجل من الأنصار، وزياد بن لبيد فدق به، فبدر السيف فصاح أبو بكر وهو على المنبر أضرب به الحجر.[٢]

قال أبو عمر بن حماس: فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة، وقالوا: هذه ضربة سيف الزبير، ثم قال أبو بكر: دعوهم فسيأتي الله بهم، قال: فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه.[٣]

قال أبو بكر: وقد روى في رواية أخرى أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة، والمقداد بن الأسود أيضاً، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، فخرج إليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح، فنهنهت من الناس، وقالوا ليس عندنا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٥٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٥٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٥٦.

معصية ولا خلاف في خير اجتمع عليه، وإنما اجتمعنا لنولف القرآن في مصحف واحد، ثم بايعوا أبا بكر، فأستمر الأمر واطمأن الناس.[1]

قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد، عن عمر بن شبة، قال: أخبرنا أبو بكر الباهلي قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن مجالد، عن الشعبي، قال: سأل أبو بكر، فقال: أين الزبير؟ فقيل: عند علي عليه السلام وقد تقلد سيفه، فقال: قم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد، فانطلقا حتى تأتياني بهما، فانطلقا، فدخل عمر وقام خالد على باب البيت من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: نبايع علياً، فاخترطه عمر فضرب به حجراً فكسره، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه، ثم دفعه وقال: يا خالد دونكه فأمسكه، ثم قال لعلي عليه السلام: قم فبايع لأبي بكر، فتلكأ وأحتبس فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم فحمله ودفعه كما دفع الزبير فأخرجه، ورأت فاطمة ما صنع بهما فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله، قال: فمشى إليها أبو بكر بعد ذلك فتشفع لعمر وطلب إليها، فرضيت عنه.[2]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال: حدثنا علي بن هاشم مرفوعاً إلى عاصم بن عمر بن قتادة قال: لقي علي عليه السلام عمر، فقال له: انشدك الله هل استخلفك رسول الله؟

قال: لا.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٦/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٧/٢.

فقال: كيف تصنع أنت وصاحبك؟

قال: أما صاحبي فقد مضى لسبيله، وأما أنا فسأخلعها من عنقي إلى عنقك.

فقال: جذع الله أنف من ينقذك منها، ولكن جعلني علماً فإذا قمت فمن خالفني ضل.[١]

قال أبو بكر: حدثني أبو زيد، قال: حدثني محمد بن عباد، قال: حدثني أخي سعيد بن عباد، عن الليث بن سعد، عن رجاله، عن أبي بكر الصديق ﴿رضي الله عنه﴾ أنه قال: ليتني لم أكشف بيت فاطمة ولو أغلق على الحرب.[٢]

قال أبو بكر: وذكر ابن شهاب، إن ثابت بن قيس بن سماك أخا بني الحارث من الخزرج كان مع الجماعة الذين دخلوا بيت فاطمة.[٣]

قال: وروى سعد بن إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر ذلك اليوم، وأن محمد بن سلمة كان معهم، وأنه هو الذي كسر سيف الزبير.[٤]

قال أبو بكر: وحدثني أبو زيد عمر بن شبه، عن رجاله، قال: جاء عمر إلى بيت فاطمة عليها السلام في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين، فقال:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٨/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤/٢٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٨/٦.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٨/٦.

والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن عليكم، فخرج إليه الزبير مصلتاً بالسيف فأعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فبدر السيف من يده، فضرب به عمر الحجر فكسره، ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً حتى بايعوا أبا بكر.[١]

قال أبو زيد: وروى النضر بن سهيل قال: حمل سيف الزبير لما بدر من يده إلى أبي بكر وهو على المنبر يخطب فقال: اضربوا به الحجر.[٢]

قال أبو عمرو بن حماس: ولقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة والناس يقولون هذا أثر ضربة سيف الزبير.[٣]

قال أبو بكر: أخبرني أبو بكر الباهلي، عن إسماعيل بن مجالد، عن الشعبي قال: قال أبو بكر: يا عمر اين خالد بن الوليد؟ فقال: ها هو ذا، قال: انطلقا اليهما، يعني علياً والزبير، فأتياني بهما، فانطلقا، فدخل عمر، ووقف خالد على الباب من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: أعددته لأبايع علياً.[٤]

قال: وكان في البيت ناس كثير منهم، المقداد بن عمر، وجمهور الهاشميين، فأخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٨/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٨/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٨/٦.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٨/٦.

بيد الزبير فاقامه ثم دفعه فأخرجه، وقال: يا خالد دونك هذا، فامسكه خالد، وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس أرسلهم أبو بكر ردءاً لهما، ثم دخل عمر فقال لعلي: قم فبايع، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير حتى امسكه خالد، وساقهما عمر سوقاً عنيفاً، وأجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، وأجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن، فخرجت إلى باب حجرتها ونادت يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ﷺ، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله، فلما بايع علي والزبير وهدأت تلك الغورة مشى إليها أبو بكر بعد ذلك فشفع لعمر، وطلب إليها فرضيت عنه.[1]

وقال: فأما البخاري ومسلم في الصحيحين في كيفية المبايعة لأبي بكر فهو بهذا اللفظ الذي أورده عليك والإسناد إلى عائشة، أن فاطمة عليها السلام والعباس اتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من النبي ﷺ وهما يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنا لا نورث ما تركناه يكون صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلاّ صنعته، فهجرته فاطمة ولم تكلمه في ذلك حتى ماتت، فدفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وكان لعلي

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٨/٦.

وجه بين الناس حياة فاطمة، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علي، فمكثت فاطمة ستة أشهر ثم توفيت.[١]

فقال رجل للزهري وهو راوي هذا الخبر عن عائشة: فلم يبايعه علي ستة أشهر؟ قال: لا ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي، فلما رأى ذلك ضرع الى مصالحة أبي بكر، فأرسل إلى أبي بكر أن ايتنا ولا تأتنا معك بأحد، فكره أن يأتيه عمر لما علم من شدته، فقال عمر: لا تأتيهم وحدك، فقال أبو بكر: والله لآتينهم وحدي وما عسى أن يصنعوا بي، فانطلق أبو بكر حتى دخل على علي عليه السلام وقد جمع بني هاشم عنده، فقام علي فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإنه لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر انكاراً لفضلك، ولا نفاسة لخير ساقه الله إليك، ولكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فأستبددتم علينا، ثم ذكر قرابته من رسول الله وحقه، فلم يزل علي عليه السلام يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر، فلما صمت علي شهد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فوالله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحب اليّ أن أصلها من قرابتي، وإني والله ما ألوتكم في هذه الأحوال التي كانت بيني وبينكم إلاّ الخير، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورث ما تركناه يكون صدقة، وإنما ياكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أذكر أمراً صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ صنعته إن شاء الله.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٦/٦، صحيح البخاري ١٨٦/٢،

قال علي: فموعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر علياً ببعض ما اعتذر به، ثم قام علي فعظم من حق أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقته، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه، فأقبل الناس إلى علي وقالوا: أصبت وأحسنت، وكان علي قريباً إلى الناس حين قارب الأمر المعروف.[١]

قال أبو بكر: وحدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن الحكم، قال: حدثنا عبدالله بن وهب، عن الليث بن سعد، قال: تخلف علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر فأخرج ملبباً يمضى به وقصاً، وهو يقول: معاشر المسلمين علام تضرب عنق رجل من المسلمين لم يتخلف لخلاف، وإنما تخلف لحاجة، فما مر بمجلس من المجالس إلاّ يقال له انطلق فبايع.[٢]

قال أبو بكر: وحدثنا يعقوب، عن رجاله، قال: لما بويع أبو بكر تخلف علي عليه السلام فلم يبايع، فقيل لأبي بكر: إنه كره إمارتك، فبعث إليه، أكرهت إمارتي؟ قال: لا، ولكن القرآن خشيت أن يزاد فيه، أو قال: كان يزاد فيه، فحلفت أني لا ارتدي برداء حتى أجمعه، اللهم إلاّ إلى صلاة الجمعة، فقال أبو بكر: لقد أحسنت، قال: فكتبه علي عليه السلام كما أنزل بناسخه ومنسوخه.[٣]

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٦/٦.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٥/٦.

[٣] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٠/٦.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب، أما بعد: فقد أتاني كتابك تذكر اصطفاء الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله لدينه، وتأييده إياه من أيده من أصحابه، فلقد جناه لنا الدهر منك عجباً، إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا، ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر، وداعي مسدده الى النضال، وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تم أعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه، وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيهات، لقد حنّ قدح ليس منها، وطفق يعلم فيها من عليه الحكم لها، ألا تربع أيها الانسان على ضلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخر حيث أخرك القدر، فما عليك غلبة المغلوب، ولا لك ظفر الظافر، وإنك لذهاب في التيه، رواغ عن القصد، ألا ترى غير مخبر لك، ولكن بنعمة الله أحدث، إن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا، قيل سيد الشهداء، وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه، أو لا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله، ولكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة، وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله عنه

من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة، تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين، فدع عنك من مالت به الرمية، فإنا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قديم عزمنا، وعادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا، فعل الأكفاء، ولستم هناك، وأنى لا يكون ذلك كذلك، ومنا النبي، ومنكم المكذب، ومنا أسد الله، ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيدا شباب أهل الجنة، ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين، ومنكم حمالة الحطب، في كثير مما لنا وعليكم، فإسلامنا ما قد سمع، وجاهليتنا لا تدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شد عنا، وهو قوله سبحانه: ﴿واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾، وقوله تعالى: ﴿ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾، فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة، ولما أحتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ﷺ فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج لهم، فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم، وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك، فيكون العذر إليك.

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقلت أني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فأفتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دين الله، ولا مرتاباً بيقينه، وهذا حجتي إلى غيرك قصدها، ولكني اطلعت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها.[1]

وقال: قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم، ويقول: إنما أراد بذلك أن لا تنشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، وتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار.[2]

قال: وروي عن جعفر بن محمد وغيره أن عمر ضرب فاطمة بالسوط، وضرب الزبير بالسيف، وأن عمر قصد منزلها وفيه علي والزبير والمقداد وجماعة ممن تخلف عن أبي بكر وهم مجتمعون هناك، فقال لها: ما أحد بعد أبيك أحب إلينا منك، وأيم الله لئن اجتمع هؤلاء النفر عندك لنحرقن عليهم، فمنعت القوم من الإجتماع.[3]

---

[1] - نهج البلاغة ٣٠/٣، كتاب ٢٨.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٧/٢٠.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧١/١٦.

وقال ابن أبي الحديد بعد نقله هذه الأخبار: وأعلم أن الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً، ومن تأملها وأنصف عَلِمَ أنه لم يكن هناك نص صريح مقطوع به، لا تختلجه الشكوك، ولا تتطرق إليه الإحتمالات، كما تزعم الإمامية، فإنهم يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وآله نص على أمير المؤمنين عليه السلام نصاً صريحاً جلياً، ليس بنص يوم الغدير، ولا خبر المنزلة، ولا ما شابههما من الأخبار الواردة من طرق العامة وغيرها، بل نص عليه بالخلافة، وبإمرة المؤمنين، وأمر المسلمين أن يسلموا عليه بذلك، فسلموا عليه بها، وصرح لهم في كثير من المقامات بأنه خليفته عليهم من بعده، وأمرهم بالسمع والطاعة له،.

ولا ريب أن المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم قطعاً أنه لم يكن هذا النص، ولكن سبق إلى هذا النفوس والعقول أنه قد كان هناك تعريض وتلويح وكناية، وقول غير فصيح، وحكم غير مشوب، ولعله صلى الله عليه وآله كان يصده عن التصريح بذلك أمر يعلمه، ومصلحة يراعيها، أو وقوف مع إذن الله تعالى له في ذلك، فأما إمتناع علي عليه السلام من البيعة حتى أخرج على الوجه الذي أخرج، فقد ذكره المحدثون ورواة السير، وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب، وهو من رجال الحديث، ومن الثقات المأمونين، وقد ذكر من هذا النحو ما لا يحصى كثرة.

وأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة، وأنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج، وبقى أثره إلى أن ماتت، وأن عمر اضغطها بين الباب والجدار، فصاحت يا أبتاه، يا

رسول الله، وألقت جنيناً ميتاً، وجعل في عنق علي حبل يقاد به وهو يعتل، وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور، وا أبتاه، و حسن وحسين معها يبكيان، وأن علياً لما أحضر ساموه للبيعة فأمتنع، فتهدد بالقتل، فقال: إذن تقتلوا عبد الله وأخا رسوله، فقالوا: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأنه طعن فيهم في أوجههم بالنفاق، وتسطر صحيفة الغدر التي أجتمعوا عليها، وأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، فكله لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث، ولا تعرفه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله.[١]

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر من الشرح بعد ذلك: الظاهر عندي صحة ما يرويه المرتضى في الشافي والشيعة، لا كل ما يزعمونه بل كان بعض ذلك، وحق لأبي بكر أن يندم ويتأسف على ذلك يعني على كشفه بيت فاطمة عليها السلام.[٢]

والذي رواه المرتضى في كتاب الشافي قال: روى إبراهيم بن سعيد الثقفي، قال: حدثنا أحمد بن عمرو البجلي، قال: حدثنا أحمد بن حبيب العامري، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: والله ما بايع علي عليه السلام حتى رأى الدخان قد دخل عليه بيته.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٩/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/١٧.

[٣] - الشافي في الامامة للسيد المرتضى ٢٤١/٣.

وقال السيد المرتضى ايضاً: وروى البلاذري عن مسلمة، عن محارب، عن سليمان التيمي، عن أبي عون، أن أبا بكر أرسل إلى علي فلم يبايع، فجاء عمر ومعه قبس فتلقته فاطمة عليها السلام على الباب، فقالت: يا ابن الخطاب أتراك محرقاً عليّ بابي؟!

قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك، وجاء علي عليه السلام فبايع.[1]

وقال السيد عقيب هذا الحديث: وهذا الخبر قد روته الشيعة من طرق كثيرة، وإنما الطريق أن يرويه الشيوخ محدثي العامة لكنهم كانوا يروون ما سمعوا بالسلامة، وربما تنبهوا على ما يروونه عليهم، فكفوا عنه، وأي اختيار لمن يحرق عليه بابه.[2]

وقال السيد: وروى إبراهيم، عن يحيى بن الحسن، عن عاصم بن عامر، عن نوح بن دراج، عن داود بن يزيد الأودي، عن أبيه، عن عدي بن حاتم قال: ما رحمت أحداً رحمتي علياً حين أوتي به ملبباً، فقيل: له بايع، قال: فإن لم أفعل، قالوا: إذن نقتلك، قال: إذن تقتلون عبد الله، وأخا رسوله، ثم بايع كذا، وضم يده اليمنى.[3]

وقال المرتضى ايضاً: قد روى أبو الحسن أحمد بن جابر البلاذري، وحاله في الثقة عند العامة، والبعد عن مقاربة الشيعة، والضبط لما يرويه

---

[1] - الشافي في الامامة للسيد المرتضى ٢٤١/٣.

[2] - الشافي في الامامة للسيد المرتضى ٢٤١/٣.

[3] - الشافي في الامامة للسيد المرتضى ٢٤٤/٣.

معروفة، قال: حدثني بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته، وقال: ائتني به بأعنف العنف، فلما أتاه جرى بينهما كلام، فقال علي عليه السلام: احلب حلباً لك شطره، والله ماحرصك على إمارته اليوم إلاّ ليؤملك غداً، وما ننفس على أبي بكر هذا الأمر، ولكن أنكرنا تركككم مشاورتنا، وقلنا إن لنا حقاً لا تجهلونه، ثم أتاه فبايعه.[1]

وهذا الخبر يتضمن ما جرت عليه الحال، وما تقوله الشيعة بعينه، وقد نطق به رواتهم، وساق السيد المرتضى الأحاديث في نحو ذلك، ومن أراده وقف عليه من الشافي.

قلت: ونقلت من هذا الكتاب لما صحح ابن أبي الحديد ما ذكره السيد المرتضى في الشافي، فهذا في حكم ما رواه ابن أبي الحديد، لأني لا أذكر في هذا الكتاب إلاّ ما ذكره في شرح نهج البلاغة، ولم أذكر في هذا الكتاب من غير الشرح إلاّ هذه الأحاديث عن السيد المرتضى لا غير لما صححها ابن أبي الحديد.

وأقول: إن ابن أبي الحديد قال بصحة ما ذكره السيد المرتضى في الشافي والشيعة إلاّ ما أنكره من روايتهم مع نقله ما يوافق روايتهم عن ثقاته، إن هذا منه لعجيب، وتعصب لمذهبه الاعتزالي مع أنه روى عن مشايخه وثقاته ما نقل في الأبواب الماضية النص من رسول الله صلى الله عليه وآله على علي بن

---

[1] - الشافي في الامامة للسيد المرتضى ٣/٢٤٠.

أبي طالب عليه السلام بأنه الإمام والخليفة من بعده، وسيأتي إن شاء الله تعالى في أبواب من رواية ابن أبي الحديد من طريق أصحابه النص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم، وقوله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي، وأنه عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله بروايات لا تحتمل النقيض في أنه عليه السلام هو صاحب الأمر بعده صلى الله عليه وآله والأمام والخليفة، وهذه الروايات التي رواها ابن أبي الحديد في ذلك مجمع على نقلها من الشيعة والجمهور، فلا ينفع ابن أبي الحديد معارضتها بما وقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن ما وقع بعد وفاته عليه السلام ليس ناسخ لتلك النصوص الواردة منه صلى الله عليه وآله على تعيين أمير المؤمنين عليه السلام بأنه الإمام والخليفة بعده، مع أنه إذا تأمل متأمل بأدنى تأمل في بيعة أبي بكر مما ذكرناه من روايات ابن أبي الحديد في هذا الباب كان بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، وقعت منهم على الحسد والعناد لأهل البيت عليهم السلام، وتعلل بتعليلات باطلة وقعت على سبيل العداوة منهم لأهل البيت عليهم السلام، وبعض الأتباع أخذ قهراً على البيعة، وإخراج علي عليه السلام على الحالة التي ذكرت في روايتهم، وقد قطع بذلك ابن أبي الحديد من إخراجه عليه السلام على تلك الحالة، من إخراجه عليه السلام ملبباً بعمامته، وإرادت عمر حرق بيت الزهراء فاطمة بنت المصطفى ﴿صلى الله عليهم أجمعين﴾ بيت الوحي والرسالة بروايات من نص على ثقته وأمانته في روايته، وهو أحمد بن عبد العزيز الجوهري، مصنف كتاب السقيفة، وقال: وقد ذكر من هذا النحو ما لايحصى كثرة، وكلامه يعطي أن الجوهري ذكر روايات كثيرة غير ما ذكره

ابن أبي الحديد عنه هنا، والذي ذكره قليل من كثير، فارجع أيها الواقف على هذا الكلام، وتأمل ما ذكره هنا ابن أبي الحديد ما نقله عن الجوهري في كيفية بيعة أبي بكر، وقس على هذه الروايات التي ذكرها مما لا يحصى على التي لم نذكرها.

والذي يعلم من كلام ابن أبي الحديد أن هذه الروايات التي ذكرها ابن أبي الحديد وغيره في النص على أمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمامة والخلافة من غدير خم، والمنزلة، والوزارة، والوصية، لا ينكر ولا يدفع، غاية ما في الباب أن هذه الروايات تعطي عند الشيعة نصوصاً لا تحتمل النقيض، وعند ابن أبي الحديد أنها تعريض وتلويح وكناية، فالنزاع بيننا وبينه أمر لفظي، لأن الإمامية تقول: إن قول رسول الله صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليه السلام الإمام والخليفة بعده، وأنه عليه السلام منه صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وآله، وقوله صلى الله عليه وآله إنه عليه السلام الولي، والوصي، والوزير، وغير ذلك من ألفاظه صلى الله عليه وآله بالنص عليه عليه السلام، نصوص لا تقبل التأويل لغير الإمامة والخلافة، وذلك واضح بيّن، ولا ريب أن الروايات المروية عن النبي صلى الله عليه وآله بأن علياً عليه السلام من بعده صلى الله عليه وآله هو الإمام والخليفة، وأنه منه بمنزلة هارون من موسى، والولي والوصي يجمعهما أمر واحد، وهو الإمام، وأن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو المطلوب.

والعجب كل العجب أنك إذا تأملت بيعة أبي بكر لم يحتج عليها عمر على من حضر من المهاجرين والأنصار إلاّ بأن أبا بكر ثاني اثنين إذ هما في

الغار، وهذه ليس فيها تصريح ولا تلويح بإمامة أبي بكر، بل هي في الحيقية للذم أقرب من المدح.

وقال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: فإن احتج محتج لعلي عليه السلام بالمبيت على الفراش، فبين الغار والفراش فرق واضح، لأن الغار وصحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وآله قد نطق به القرآن، فصار كالصلاة والزكاة وغيرهما مما نطق به الكتاب، وأمر علي عليه السلام ونومه على الفراش وإن كان ثابتاً صحيحاً إلاّ أنه لم يذكر في القرآن، وإنما جاء بمجيء الروايات والسير، وهذا لا يوازن هذا ولا يكايله.[1]

وقال ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله يعني أبا جعفر الاسكافي: في هذا فرق غير مؤثر، لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب، ولا يجحده إلاّ مجنون أو غير مخالط لأهل الملة، أرأيت كون الصلاة خمساً، وكون زكاة الذهب ربع العشر، وكون الريح ناقضة للطهارة، وأمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر علمه، هل هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الأحكام، هذا مما لا يقوله رشيد ولا عاقل على أن الله تعالى لم يذكر إسم أبي بكر في الكتاب، وإنما قال يقول لصاحبه، وإنما علمنا أنه أبو بكر بالخبر وما ورد في السير![2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦١/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦١/١٣.

وقد قال أهل التفسير: إن قوله تعالى: ﴿**ويمكر الله وهو خير الماكرين**﴾ كناية عن علي عليه السلام، لأنه مكر بهم، وأول الآية ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ أنزلت في ليلة الهجرة، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش، ومكر الله تعالى هو مقام علي عليه السلام على الفراش، فلا فرق بين الموضعين في أنهما مذكوران كناية لا تصريحاً.[١]

وقد روى المفسرون كلهم أن قول الله تعالى: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**﴾ نزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت على الفراش، فهذه مثل قوله تعالى: ﴿**اذ يقول لصاحبه**﴾ لا فرق بينهما.[٢]

قال الجاحظ: وفرق آخر، وهو أنه لو كان مبيت علي عليه السلام على الفراش جاء مجيء كون أبي بكر في الغار، لم يكن له كبير طاعة، لأن الناقلين نقلوا أنه صلى الله عليه وآله قال ثم: فلن يخلص إليك شيء تكرهه، ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في صحبته إياه وكونه معه في الغار مثل ذلك.[٣]

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: هذا هو الكذب الصراح والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله قال: اذهب فأضطجع في مضجعي، وتغشي ببردي الحضرمي، فإن القوم سيفقدوني

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٢/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٢/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٢/١٣.

ويتعاهدون مضجعي، فلعلهم إذا رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا، فإذا أصبحت فاغد في أداء أمانتي، ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنما ولده أبو بكر الأصم وأخذه عنه الحافظ، ولا أصل له، ولو كان هذا صحيحاً لم يصل إليه مكروه منهم، وقد وقع الإتفاق على أنه ضرب ورمي بالأحجار قبل أن يعلموا من هو حتى تضور، وأنهم قالوا له: رأينا تضورك، فإنا كنا نرى محمداً ولا يتضور، ولا لفظه المكروه، وإن كان قالها إنما يراد بها القتل، فهب أنه آمن القتل، فكيف يأمن من الضرب والهوان أو من أن يقطع بعض أعضائه، وإن سلمت نفسه، أليس الله تعالى قال لنبيه: ﴿**بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ ومع ذلك فقد كُسرت رباعيته، وشج وجهه، ورميت ساقه، وذلك لأنه عصمه من القتل خاصة، وكذلك المكروه الذي أومن علي عليه السلام منه إن صح ذلك في الحديث، إنما هو مكروه القتل.[1]

ثم يقال له: وأبو بكر لا فضيلة له أيضاً في كونه في الغار، لأن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تحزن إن الله معنا، ومن يكون الله معه، فهو آمن لا محالة من كل سوء.[2]

فكيف قلت: ولم ينقل أنه قال لأبي بكر في الغار مثل ذلك، فكل ما يجيب به عن هذا فهو جوابنا عما أورده.

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/١٣.

[2] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/١٣.

ويقال له: هذا ينقلب عليك في النبي ﷺ، لأن الله تعالى أوعده بظهور دينه وعاقبة أمره، فيجب على قولك أن لا يكون مثاباً عند الله على ما يحتمله من المكروه ولا ما يصيبه من الأذى إذا كان قد أيقن بالسلامة والفتح في هذه.[١]

قال الجاحظ: ومن جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله ﷺ فقد كفر، لأنه جحد نص الكتاب، ثم أنظر ما في قوله تعالى: ﴿**ان الله معنا**﴾ من الفضيلة لأبي بكر، لأنه شريك رسول الله ﷺ في كون الله تعالى معه، وانزال السكينة، قال كثير من الناس في الآية مخصوص بأبي بكر، لأنه كان محتاجاً إلى السكينة لما تداخله من رقة الطبع البشري، والنبي ﷺ كان غير محتاج إليها، لأنه يعلم أنه محروس من الله تعالى، فلا معنى لنزول السكينة عليه، وهذه فضيلة ثالثة.[٢]

وقال ابن أبي الحديد: قال شيخنا رحمه الله إن ابا عثمان يجر على نفسه ما لا طاقة له به من مطاعن الشيعة، ولقد كان في غنية بما تعلق، لأن الشيعة تقول إن هذه الآية بأن تكون عيباً وطعناً على أبي بكر أولى من أن تكون فضيلة ومنقبه له، لأنه لما قال له ﴿**لا تحزن**﴾ دل على أنه قد كان حزن وقنط وأشفق على نفسه، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين، ولا يجوز أن يكون حزنه طاعة، لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعة، فلو لم يكن ذنباً لم ينه عنه،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٦٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٦٤.

وقوله ﴿**ان الله معنا**﴾ أي إن الله عالم بحالنا وما نضمره من اليقين أو الشك، كما يقول الرجل لصاحبه: لا تضمرن سوء ولا تنوين قبيحاً، فإن الله تعالى يعلم ما تسره وما تعلنه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿**ولا أدنى من ذلك ولا اكثر إلاّ هو معهم اين ما كانوا**﴾، أي عالم بهم.[١]

وأما السكينة فكيف يقول إنها غير راجعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وما تأييده في ﴿**وايده بجنود لم تروها**﴾، أترى المؤيد بالجنود أبا بكر أم رسول الله صلى الله عليه وآله.[٢]

وقوله: إنه مستغن عنها ليس بصحيح، ولا يستغني أحد عن ألطاف الله وتوفيقه وتأييده، وتثبيت قلبه، وقد قال الله تعالى في قصة حنين: ﴿**وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله**﴾.[٣]

وأما الصحبة فلا تدل إلاّ على المرافقة والإصطحاب لا غير، وقد يكون حيث لا إيمان كما قال الله تعالى: ﴿**قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة**﴾، ونحن إن كنا نعتقد اخلاص أبي بكر وإيمانه الصحيح السليم وفضيلته العامة إلاّ إنا لا نحتج بمثل

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٤/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٤/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٤/١٣.

ما يحتج به الجاحظ من الحجج الواهية، ولا نتعلق بما يجر علينا دواهي الشيعة ومطاعنها.[١]

قلت: ما ذكره أبو جعفر هو الحق الصريح فكيف يحتج به عمر على من حضر في السقيفة من المهاجرين والأنصار بما هو طعن على أبي بكر فضلاً عن أن يكون منقبة وفضيلة، ويجعلها عمر دليله على استحقاق أبي بكر للخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله التي هي منصب النبوة إلاّ النبوة مع علم عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله نص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حجة الوداع التي هي في آخر عمره صلى الله عليه وآله بغدير خم، بأن علياً عليه السلام هو الإمام والخليفة، ومولى المؤمنين بعده صلى الله عليه وآله بمحضر ما يزيد على مائة ألف رجل كما هو المذكور في رواية الجمهور.

ولا ريب أنه نص على أن علياً عليه السلام هو القائم مقامه، والنائب منابه، والحافظ للشريعة، والوالي على الرعية، والإمام والخليفة، وقد نص رسول الله صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام في مواطن كثيرة، بأن علياً عليه السلام هو الإمام والخليفة بعده، كما عليه إجماع الشيعة، ونقله الجمهور كإبن أبي الحديد، كما ذكرناه عنه في الأبواب السابقة، ورواه غيره من علماء الجمهور أيضاً.

وأما كلام ابن أبي الحديد وهو قوله: وأما الأمور المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى آخر ما ذكره،[٢] فالذي رواه العياشي في

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٥/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٠/٢.

تفسيره عن أحدهما عليه السلام قال: إن نبي الله لم يقبض حتى أعلم الناس أمر علي، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال: إنه مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن كلها، وكان معه في المسجد يدخله على كل حال، وكان أول الناس إيماناً به، فلما قبض نبي الله صلى الله عليه وآله كان الذي كان لما قضى من الإختلاف وعمل عمر فبايع أبا بكر، ولم يدفن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد، فلما رأى ذلك علي، ورأى الناس قد بايعوا أبا بكر خشي أن يفتتن الناس، ففزع إلى كتاب الله وأخذ يجمعه في مصحف، فأرسل أبو بكر إليه أن تعال فبايع، فقال علي: لا أخرج حتى أجمع القرآن، فأرسل إليه مرة أخرى، فقال: لا أخرج حتى أفرغ، فأرسل إليه الثالثة عمر رجلاً يقال له قنفذ، فقامت فاطمة بنت رسول الله ﴿صلوات الله عله﴾ تحول بينه وبين علي عليه السلام فضربها، فأنطلق قبله وليس معه علي، فخشي أن يجمع علي عليه السلام الناس، فأمر بحطب فجعل حوالي بيته، ثم أنطلق عمر بنار فأراد ان يحرق على علي عليه السلام بيته وفاطمة والحسن والحسين ﴿صلوات الله عليهم﴾، فلما رأى ذلك خرج فبايع كارهاً غير طائع.[١]

وقد قدمنا في الأحاديث السابقة في روايات ابن أبي الحديد أنه قال: وروي عن جعفر بن محمد وغيره أن عمر ضرب فاطمة بالسوط، وساق حديثه.

---

[١] - تفسير العياشي ٣٠٧/٢.

والروايات التي ذكرها ابن أبي الحديد الذي كان معه خالد وغيره، ولا منافاة بين ذلك في المعنى، وإن اختلف الحاضر في ذلك، وحلف عمر على أن يحرق بيت فاطمة ومن فيه من فاطمة وبعلها وبنيها وغيرهم كما تقدم في روايات ابن أبي الحديد.

وأي قبيح أقبح من ذلك، وأي كفر أشد من ذلك، ومن اعتقد إمامة من فعله هذا الفعل فقد خسر خسراناً مبيناً، وضل ضلالاً بعيداً.

الباب العاشر
في قول عمر أن أبا بكر أحسد قريش وأعق وأظلم
وما وقع بينهما من الملاحاة والمكاشفة

قال ابن أبي الحديد: روى شريك بن عبدالله النخعي، عن محمد بن عمرو بن مرة، عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة، عن أبي موسى الأشعري، قال: حججت مع عمر ﴿رضي الله عنه﴾ فلما نزلنا وعظم الناس خرجت من رحلي أريده، فلقيني المغيرة بن شعبة فرافقني، ثم قال: أين تريد؟ فقلت: أمير المؤمنين، فهل لك، قال: نعم.

فانطلقنا نريد رحل عمر، فإنا لفي طريقنا إذ ذكرنا تولي عمر وقيامه بما هو فيه، وحياطته على الإسلام، ونهوضه بما قبله من ذلك، ثم خرجنا إلى ذكر أبي بكر، فقلت للمغيرة: يا لك الخبر لقد كان أبو بكر مسدداً في عمر لكأنه ينظر إلى قيامه من بعده، وجده واجتهاده وعنايته في الإسلام.[1]

قال المغيرة: لقد كان ذلك وإن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها، وما كان لهم في ذلك من حظ، فقلت له: لا أباً لك ومن القوم الذين كرهوا ذلك لعمر؟ فقال المغيرة: لله أنت كأنك لا تعرف هذا الحي من قريش، وما حضوا به من الحسد، فوالله لو كان هذا الحسد يذكر بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره، وللناس بينهم عشر، فقلت: مه يا مغيرة، فإن قريشاً أبانت بفضلها

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٣٠.

على الناس، فلم نزل في ذلك حتى انتهينا إلى رحل عمر، فلم نجده، فسألنا، فقيل خرج آنفاً، فمضينا نقفوا أثره حتى دخلنا المسجد، فإذا عمر يطوف بالبيت، فطفنا معه، فلما فرغ دخل بيني وبينه المغيرة فتوكأ على المغيرة، فقال: من أين جئتما؟ فقلنا: خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين فأتينا رحلك فقيل لنا خرج إلى المسجد، فقال: اتبعكما الخير، ثم نظر المغيرة اليّ وتبسم، فرمقه عمر، فقال: لم تبسمت أيها العبد؟ فقال: من حديث كنت أنا وأبو موسى فيه آنفاً في طريقنا إليك، قال: وما ذاك الحديث؟ فقصصنا عليه الخبر حتى بلغنا ذكر حسد قريش، وذكر من أراد صرف أبي بكر عن استخلاف عمر، فتنفس الصعداء، ثم قال: ثكلتك أمك يا مغيرة، وما تسعة أعشار الحسد وتسعة أعشار العشر، وفي الناس كلهم العشر، وقريش كلهم شركاء أيضاً فيه، وسكت ملياً وهو يتهادى بيننا، ثم قال: ألا أخبركما بأحسد قريش كلها؟ قلنا: نعم، بلى يا أمير المؤمنين![1]

قال: وعليكما ثيابكما؟ قلنا: نعم، قال: وكيف بذلك وأنتما ملبسان ثيابكما!

قلنا: يا أمير المؤمنين، وما بال الثياب؟ قال: خوف الإذاعة، قلنا: اتخاف الإذاعة من الثياب، أنت والله من ملبسي الثياب أخوف، وما الثياب أردت، قال: هو ذاك، ثم انطلق وانطلقنا معه حتى انتهينا إلى رحله، فخلى أيدينا من يده، ثم قال: لا ترميا ودخل، فقلت للمغيرة: لا أباً لك لقد عثرنا بكلامنا معه،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/ ٣٠.

وما كنا فيه، وما أراه حبسنا إلاّ ليذاكرنا إياها، قال: فإنا لكذلك إذ خرج آذنه إلينا، فقال: ادخلا، فدخلنا، فوجدناه مستلقياً على بردعة رحل، فلما رآنا تمثل بقول كعب بن زهير، شعر:

لا تفش سرك إلاّ عند ذي ثقة
أولى بأفضل ما استودعت أسراراً
صدراً رحيباً وقلباً واسعاً قمناً
ولا نخاف متى اذعت اظهاراً

فعلمت أنه يريد أن نضمن له كتمان حديثه، فقلت: إنا له يا أمير المؤمنين، أكرمنا وخصنا وصلنا، قال: بماذا يا أخا الأشعريين؟ قلت: بإفشاء سرك، وأن تشركنا في همك، فنعم المستشاران نحن لك، قال: إنكما لكذلك، فأسألا عما بدا لكما، ثم قام إلى الباب ليغلقه، فإذا الآذن الذي أذن لنا عليه في الحجرة، ثم قال: امض عنا لا أم لك، فخرج وأغلق الباب خلفه، ثم أقبل علينا فجلس معنا، وقال: سلا تخبرا.[١]

قلنا: نريد أن تخبرنا يا أمير المؤمنين بأحسد قريش الذي تأمن ثيابنا على ذكره لنا.

فقال: سألتما عن معضلة، وسأخبركما، فليكن عندكما في ذمة منيعة وحرز ما بقيت، فإذا مت فشأنكما وما شئتما من إظهار أو كتمان.

قلنا: فإن لك عندنا ذلك.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠/٢.

قال أبو موسى: وأنا اقول في نفسي مايريد إلاّ الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره، فإنهم قالوا لأبي بكر: اتستخلف علينا فظاً غليظاً، فإذا هو يذهب إلى غير ما في نفسي، فعاد إلى التنفس، ثم قال: من تريانه؟ قلنا: والله ما ندري إلاّ ظناً، قال: وما تظنان؟ قلنا: عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على صرف هذا الأمر عنك! قال: كلا والله، بل كان أبو بكر أعق وأظلم، وهو الذي سألتما عنه، كان والله أحسد قريش كلها، ثم أطرق طويلاً فنظر المغيرة اليّ ونظرت إليه، وأطرقنا لإطراقه، وطال السكوت منا ومنه حتى ظننا أنه ندم على ما بدا منه، ثم قال: والهفاه على ضئيل بني تيم بن مرة، لقد تقدمني ظالماً، وخرج إليّ منها آثماً![1]

فقال المغيرة: أما تقدمه عليك ظالماً فقد عرفناه، قال: كيف خرج إليك منها آثماً؟

قال: ذاك لأنه لم يخرج اليّ منها إلاّ بعد يأس منها، أما والله لو كنت أطعت زيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلمط من حلاوتها بشيء أبداً، ولكني قدمت وأخرت، وصعدت وصوبت، ونقضت وأبرمت، فلم أجد إلاّ الإغضاء على ما نشب به منها، والتلهف على نفسي، وأملت انابته ورجوعه، فوالله ما فعل حتى تغرمها شمّاً.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠/٢.

قال المغيرة: فما يمنعك يا أمير المؤمنين وقد عرضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها، ثم أنت الآن تنقم وتتأسف؟

فقال: ثكلتك أمك يا مغيرة، إن كنت لأعدك من دهاة العرب، كأنك كنت غائباً عما هناك، إن الرجل ماكرني وماكرته، وألفاني أحذر من قطاة، إنه لما رأى شغف الناس به، وإقبالهم بوجوههم عليه، أيقن أن لا يريدون به بدلاً، فأحب لما رأى من حرص الناس عليه وميلهم إليه، أن يعلم ما عندي، وهل تنازعني نفسي إليها، وأحب أن يبلوني بإطماعي فيها، والتعرض لي بها، وقد علم وعلمت لو قبلت ما عرضه عليّ لم يجب الناس إلى ذلك، فألفاني قائماً للناس على أخمصي مستوفراً حذراً، ولو أجبته إلى قبولها لم تسلم الناس إليّ ذلك، واختباها ضغناً عليّ في قلبه، ولم آمن غائلته ولو بعد حين، مع ما بدا لي من كراهة الناس لي، أما سمعت نداهم من كل ناحية عند عرضها عليّ، لا نريد سواك يا أبا بكر، أنت لها، فرددتها إليه عند ذلك، فلقد رأيته التمع وجهه لذلك سروراً، ولقد عابني مرة على كلام بلغه عني، وذاك لما قدم بالأشعث عليه أسيراً فمنّ عليه وأطلقه، وزوجه أخته أم فروة، فقلت للأشعث وهو قاعد بين يديه: ياعدو الله أكفرت بعد إسلامك، وأرتددت ناكصاً على عقبيك، فنظر اليّ نظراً شزراً علمت أنه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه، ثم لقيني بعد ذلك في بعض سكك المدينة فقال لي: أنت صاحب الكلام يا ابن الخطاب؟ قلت: نعم يا عدو الله، ولك عندي شر من ذلك، فقال: بئس الجزاء هذا اليّ منك.[١]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/ ٣٠.

قلت: علام تريد مني حسن الجزاء.

قال: لا عتبى عليك من إتباع هذا الرجل، والله ما جرأتي على الخلاف علي إلاّ تقدمه عليك وتخلفك عنها، ولو كنت صاحبها لما رأيت مني خلافاً عليك.

قلت: لقد كان ذلك فما تأمر الآن؟

قال: انه ليس بوقت أمر، بل وقت صبر، ومضى ومضيت، ولقي الأشعث الزبرقان بن بدر فذكر له ما جرى بينه وبيني، فنقل ذلك إلى أبي بكر، فأرسل اليّ بعتاب مؤلم، فأرسلت إليه، أما والله لتكففن أو لأقولن كلمة بالغة بي وبك في الناس تحملها الركبان حيث ساروا، وإن شئت استدمنا ما نحن فيه عفواً.[1]

قال: لا، بل نستديمه، وإنها لصائرة إليك بعد أيام، فما ظننت أنه يأتي عليه جمعة حتى يردها اليّ، فتغافل والله ما ذكر لي بعد ذلك حرفاً حتى هلك، ولقد مات في أمدها عاضاً على نواجده حتى حضره الموت فآيس منها، فكان منه ما رأيتما، فأكتما ما قلت لكما عن الناس كافة، وعن بني هاشم خاصة، وليكن منكما بحيث أمرتكما إذا شئتما على بركة الله.

فقمنا ونحن نتعجب من قوله، فوالله ما أفشيت أمره حتى هلك.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٣٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٣٠.

الباب
الحادي عشر
في حسد أبي بكر علياً عليه السلام
وعداوة أبي بكر وعائشة لعلي وفاطمة عليهما السلام

قال ابن أبي الحديد: كنت أقرأ على الشيخ أبي يعقوب بن إسماعيل اللمعاني رحمه الله أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام، وسألته فيما عنده في عائشة، فأجابني بجواب طويل أنا أذكر محصول بعضه بلفظه رحمه الله وبعضه بلفظي، فقد شذ عني الآن لفظه كله وبعضه، قال:

أول بدأ الضغن كان بينها وبين فاطمة، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها عقيب موت خديجة، فأقامها مقامها، وفاطمة هي إبنة خديجة، ومن المعلوم أن إبنة الرجل إذا ماتت أمها وتزوج أبوها إمرأة أخرى كان بين الإبنة وبين المرأة كدر وشنآن، وهذا لا بد منه، لأن الزوجة تنفس عليها، مثل الأب والبنت تكره ميل أبيها إلى إمرأة غريبة كالضرة لأمها، بل هي ضرة على الحقيقة، وإن كانت الأم ميتة، ولأنا لو قدرنا الأم حية لكانت العداوة مضطرمة مستعرة، فإذا كانت قد ماتت ورثت ابنتها تلك العداوة، وفي المثل عداوة الحماة والكنة، وقال الراجز:

إن الحماة أولعت بالكنة وأولعت كنتها بالظنة[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٢/٩.

ثم أتفق أن رسول الله ﷺ قال إليها وأحبها فأزداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله، وأكرم رسول الله ﷺ فاطمة إكراماً عظيماً أكثر ما كان الناس يظنونه، وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم حتى أخرج بها عن حد حب الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاص والعام مراراً لا مرة واحدة، وفي مقامات مختلفة، لا في مقام واحد، أنها سيدة نساء العالمين،[1] وأنها عديلة مريم بنت عمران،[2] وأنها إذا مرت في الموقف نادى مناد من جهة العرش، يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد،[3] وهذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة، وإن انكاحه علياً إياها ما كان إلاّ بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة،[4] وكم قال من مرة: يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها، وأنها بضعة مني، يريبني ما رابها.[5]

فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة التعظيم والتبجيل، والنفوس البشرية تغبط على دون هذا، فكيف هذا، ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها أعني علياً عليه السلام، فإن النساء كثيراً ما يحصلن الأحقاد في قلوب الرجال، لا سيما وهن محدثات الليل كما قيل في المثل، وكانت تكرر الشكوى من عائشة، ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها،

---

[1] - شرح الاخبار، القاضي النعمان، ٥٦/٣، فتح الباري ٨٢/٧

[2] - كتاب الاربعين، محمد طاهر القمي/٦١٧.

[3] - كتاب الاربعين، محمد طاهر القمي/٦١٧.

[4] - مستدركات الوسائل ٢٠٦/١٤، نوادر المعجزات للطبري/٨٩

[5] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٣/٩.

فينقلن إليها كلمات عن عائشة، ثم يذهبن إلى بيت عائشة، فينقلن اليها كلمات عن فاطمة، وكما كا نت فاطمة تشكوا إلى بعلها، كانت عائشة تشكوا إلى أبيها، لعلمها أن بعلها لا يشكيها على إبنته، فحصل في نفس أبي بكر ﴿رضي الله عنه﴾ من ذلك أثر ما تزايد تفريط رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام وتقريبه واختصاصه، فأحدث ذلك حسداً له، وغبطة في نفس أبي بكر وهو أبوها، وفي نفس طلحة وهو ابن عمها، وهي تجلس إليهما، وتسمع كلامهما، وهما يجلسان إليها ويحادثانها، فأعدى إليها منهما كما أعدتهما.[1]

قال: ولست أبريء علياً عليه السلام من مثل ذلك، فإنه كان ينفس على أبي بكر ﴿رضي الله عنه﴾ سكون النبي ﷺ وثناؤه عليه، ويحب أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص دونه ودون الناس أجمعين، ومن إنحرف عن إنسان انحرف عن أهله وأولاده، فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين، ثم كان من أمر القذف ما كان، فلم يكن علي عليه السلام من القاذفين ولكنه كان من المشيرين على رسول الله ﷺ بطلاقها، تنزيهاً لعرضه عن أقوال الشناة والمنافقين، قال لما استشاره إن هي إلاّ شسع نعلك، وقال له: سل الخادمة وخوفها، وإن أقامت على الجحود فأضربها، وبلغ عائشة هذا الكلام كله، وسمعت أضعافه مما جرت عادت الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة، ونقل النساء إليها كلاماً كثيراً عن علي وفاطمة، وأنهما قد أظهرا الشماتة بها، وسرا بوقوع هذه الحادثة، فتفاقم الأمر وغلظ، ثم إن رسول الله ﷺ صالحها ورجع إليها،

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٣/٩.

ونزل القرآن ببرائتها، فكان منها ما يكون ينتصر بعد أن ما قهر، ويستظهر بعد أن غلب، ويتبرأ بعد أن أتهم، من بسط اللسان، وفلتات القول، وبلغ ذلك كله علياً وفاطمة عليهما السلام فأشتدت الحال وغلظت، وطوى كل من الفريقين قلبه على الشنآن لصاحبه، ثم كان بينهما وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أحوال وأقوال كلها تقتضي تهيج ما في النفوس، نحو قولها له وقد استدناه رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء حتى قعد بينها وبينه وهما متلاصقان، أما وجدت مقعداً إلاّ لكذي، لا تكني عنه إلاّ فخذي.[1]

ونحو ما روي أنه سايره يوماً وأطال مناجاته، فجاءت وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما، وقالت: فيم أنتما فقد أطلتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم.[2]

وما روي في حديث الجفنة من الثريد الذي أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها، ونحو ذلك مما يكون بين الأهل وبين المرأة وأحمائها.[3]

ثم أتفق أن فاطمة ولدت أولاداً كثيرة بنين وبنات، ولم تلد هي ولداً، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقيم أبناء فاطمة مقام بنيه، ويسمي الواحد منهما إبني، ويقول ادعوا لي إبني، ولا ترزموا إبني، وما فعل إبني، فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل رأت تبني بين إبنته من غيرها، ويحنوا عليهم، هل

---

[1] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٤/٩.

[2] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٤/٩.

[3] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٤/٩.

يكون محبته لأولئك البنين ولأمهم وأبيهم مبغضة، وهل يود دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاه.[١]

ثم أتفق أن رسول الله ﷺ سد باب أبيها إلى المسجد، وفتح باب صهره، ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة، ثم عزله عنها بصهره، فقدح ذلك في أنفسهما، وولد لرسول الله ﷺ إبراهيم بن مارية فاظهر علي عليه السلام بذلك سروراً كثيراً، وكان يتعصب لمارية ويقوم بأمرها عند رسول الله ﷺ ميلاً على غيرها، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة فبرأها علي عليه السلام منها، وكشف بطلانها أوكشفه الله تعالى على سره، وكان ذلك كشفاً محساً بالبصر لايتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوا في القرآن المنزل ببراءة عائشة، وكل ذلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه، ويؤكد ما في نفسها منه، ثم مات إبراهيم فأبطنت شماتة، وإن أظهرت كآبة، ووجم علي عليه السلام من ذلك، وكانا يؤثران ويريدان أن تتميز مارية عليها بالولد، فلم يصدر لهما ولا لمارية ذلك، وبقيت الأمور على ما هي عليه وفي النفوس ما فيها حتى مرض رسول الله ﷺ المرض الذي توفى فيه، فكانت فاطمة وعلي عليه السلام يريد أن يمرضاه في بيتهما، وكذلك أزواجه كلهن، فمال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبة القلبية التي كانت لها دون نسائه، وكره أن تزاحم فاطمة وبعلها في بيتها، فلا يكون عنده من الإنبساط لوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه في بيت من يميل إليه بطبعه، وعلم أن المريض يحتاج إلى فضل مداواة، ونوم ويقظة، وانكشاف

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٥/٩.

وخروج حدث، وكانت نفسه إلى بيته اسكن منها إلى بيت صهره وبنيه، فإذا تصور حياهما منه استحيى هو أيضاً منهما، وكل أحد يحب أن يخلو بنفسه، ويحتشم الصهر والبنت، ولم يكن له الى بيت غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها فيمرض، فغضبت على ذلك، ولم يمرض رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة مثل هذا المرض، وإنما كان مرضه الشقيقة يوماً أو بعض يوم ثم يبرأ، فتطاول هذا المرض، فكان علي عليه السلام لا يشك أن الأمر له، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس، ولهذا قال له عمه وقد مات رسول الله ﷺ: امدد يدك حتى أبايعك، فيقول الناس عم رسول الله ﷺ فلا يختلف عليك اثنان، قال: يا عم وهل يطمع فيها طامع غيري، قال: ستعلم! قال: فاني لا أحب هذا الأمر من وراء رتاج، وأحب أن أصحر به، فسكت عنه، فلما ثقل رسول الله ﷺ انفذ جيش إسامة وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان علي عليه السلام حينئذ بوصوله إلى الأمر إن حدث برسول الله ﷺ حدث أوثق ويغلب على ظنه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفواً عفواً، وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضد منازعته عليها، فكان من عود أبي بكر من جيش اسامة بإرسالها إليه، وإعلامه أن رسول الله ﷺ يموت ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس، فنسب علي عليه السلام على عائشة إلى أنها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس، لأن رسول الله ﷺ كما روي قال: ليصل بهم أحد، ولم يعين، وكانت صلاة الصبح، فخرج رسول الله ﷺ وهو في آخر رمق يتهادى بين علي والفضل ابن العباس حتى قام في

المحراب كما ورد في الخبر، ثم دخل فمات ارتفاع الضحى، فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه، وقال: أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلاة، ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله لصرفه عنها بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن، فبويع على هذه النكتة التي اتهما علي عليه السلام أنها ابتدأت منها، وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً، ويقول عنه ألم يقل صلى الله عليه وآله أنكن كصويحبات يوسف إلاّ انكاراً لهذه الحال، وغضباً منها، لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب، فلم يجد ذلك، ولا أثر مع قوة الداعي الذي كان تدعو إلى أبي بكر، ويمهد له قاعدة الأمر، ويقرر حاله في نفوس الناس ومن تبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار، ولما ساعد على ذلك من الحظ الفلكي والأمر السمائي الذي جمع عليه القلوب والاهواء، فكانت هذه الحال عند علي عليه السلام أعظم من كل عظيم، وهي الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، ولم ينسبها إلاّ إلى عائشة وحدها، ولا عذق الأمر الواقع إلاّ بها، فدعا عليها في خلواته وبين خواصه، وتظلم إلى الله منها، وجرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور حتى بايع، وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفيت فاطمة، وهما صابران على مضض ورمض، وأستظهرت بولاية أبيها وأستطالت، وأعظم شأنها، انخذل علي وفاطمة وقهرا، وأخذت من فاطمة فدك، وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً، فلم تظفر بشيء، وفي كل ذلك يبلغها النساء الداخلات

والخارجات عن عائشة كل كلام يسوؤها، ويبلغن عائشة عنها وعن بعلها مثل ذلك إلى أنه سيان ما بين الحالين، وبعد ما بين الفريقين، فهذه غالبة، وهذه مغلوبة، وهذه آمرة، وهذه مأمورة، وظهر الشماتة والتشفي، ولاشيء أعظم مرارة ومشقة من شماتة العدو.

فقلت له رَحِمَهُ اللهُ: أفتقول أنت أن عائشة عينت أباها للصلاة ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يعينه؟[1]

فقال: أما أنا فلا أقول ذلك ولكن كان علي يقوله، لأنه كان حاضراً ولم أكن حاضراً، فأنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بي، وهي تتضمن تعيين النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبي بكر في الصلاة، وهو محجوج بما قد كان علمه أو يغلب على ظنه من الحال التي كان حضرها.[2]

قال: ثم ماتت فاطمة فجاء نساء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كلهن إلى بني هاشم في العزاء إلاّ عائشة، فإنها لم تأت وأظهرت مرضاً، ونقل إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ منها كلام يدل على السرور، ثم بايع علي أباها فسر بذلك، وأظهرت من الإستـرار بتمام واستقرار الخلافة، وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون وأكثروا، وأستمرت الأمور على هذا مدة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلي، والأحقاد تذيب الحجارة، وكلما طال الزمان على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما في نفسه إلى أن قتل عثمان وقد كانت عائشة

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٥/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٦/٩.

﴿رضي الله عنها﴾ اشد الناس عليه تأليباً وتحريضاً، فقالت: أبعده الله لما سمعت قتله، وأملت أن تكون الخلافة في طلحة، فتعود الإمرة تيمية كما كانت أولاً، فعدل الناس عنه إلى علي بن أبي طالب، فلما سمعت هذا صرخت وا عثماناه، قتل عثمان مظلوماً، وثار ما في الأنفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعده، هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب رحمه الله، ولم يكن يتشيع، وكان شديداً في الاعتزال إلاّ أنه في الفضل كان بغدادياً.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩/١٩٨.

الباب
الثاني عشر
في قول أبي بكر وعمر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها
وقول علي عليه السلام إن بيعتي لم تكن فلتة

قال ابن أبي الحديد: روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز قال: حدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا ابن وهب، عن أبي لهيعة، عن أبي الأسود، قال: غضبت رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب علي والزبير فدخلا بيت فاطمة عليها السلام معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة منهم أسيد بن خضير، وسلمة بن سلامة بن وقش، وهما من بني عبد الأشهل، فهجما الدار، فصاحت فاطمة وناشدتهما الله، فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما، ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا، ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم، وقال: إن بيعتي كانت فلتة، وقى الله شرها، وخشيت الفتنة، وأيم الله ما حرصت عليها يوماً قط، ولا سألتها الله في سر ولا علانية قط، ولقد قلدت أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يدان، ولوددت أن أقوى الناس عليه كفاني، فقال المهاجرون وقال علي والزبير ما غضبنا إلاّ في المشورة، وإنا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب

الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعرف لـه سنّه، ولقـد أمـره رسـول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالـصلاة وهو حي.[1]

وقال: وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فـي التـاريخ، عـن ابـن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ قال: قال لي عبد الـرحمن بـن عـوف وقـدحججنا مـع عمر: شهدت اليوم أمير المؤمنين بمنى وقال له رجل اني سمعت فلاناً يقول لـو مات عمر لبايعت فلاناً، فقال عمر: إني لقائم فـي العـشية فـي النـاس أحـذرهم هؤلاء الرهط الـذين يريـدون أن يغتـصبوا النـاس أمـرهم، قـال عبـد الـرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعاع النـاس وغوغـاهم وهـم الـذين يقربـون مـن مجلـسك ويغلبـون عليـه، فتقـول مقالـة لا يعونهـا ولا يحفظونهـا فيطيروا بك، ولكن امهـل حتـى تقـدم المدينـة وتخلـص بأصـحاب رسـول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فتقول فيعوا مقالتك.

فقال: والله لأقومن أول مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فلما قـدمناها هجـرت الجمعـة لحـديث عبـد الـرحمن، فلما جلس عمر على المنبر حمد الله وأثنى عليه، ثـم قـال بعـد أن ذكـر الـرجم وحد الزنا، أنه بلغني أن قائلاً منكم يقول لو مات أميـر المـؤمنين بايعـت فلانـاً، فلا يغرن إمرءاً أن يقول أن بيعة أبي بكر كانت فلتة، فلقد كانت كذلك ولكـن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كأبي بكر، وإنه كـان خيرنـا حين توفى رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، إن علياً والزبير تخلفـا عنـا فـي بيـت فاطمـة ومـن

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٥٠.

معهما، وتخلف عنا الأنصار، وأجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، وساق حديث أبي بكر.[١]

قال شيخنا أبو القاسم البلخي: قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ: إن الرجل الذي قال لو مات عمر لبايعت فلاناً عمار بن ياسر، قال لو مات عمر لبايعت علياً.[٢]

وقال ابن أبي الحديد: وأما حديث الفلتة فقد كان سبق من عمر ﴿رضي الله عنه﴾ أن قال: إن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وهذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف فيه حديث الفلتة، ولكنه منسوق على ما قاله أولاً، ألا تراه يقول فلا يغرن إمرء أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، فلقد كانت كذلك، فهذا يشعر بأنه قد قال قائل من قبل أن بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقد أكثر الناس في حديث الفلتة، وذكرها شيوخنا المتكلمون.[٣]

وقال: قد روى الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عباس الهمداني، عن سعيد بن جبير، قال: ذكر أبو بكر وعمر عند عبد الله بن عمر، فقال رجل: كانا والله شمسي هذه الأمة ونوريها!

فقال ابن عمر: وما يدريك؟

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦/٢.

قال الرجل: أوليس قد ايتلفا.

قال ابن عمر: بل اختلفا لو كنتم تعلمون، أشهد أني كنت عند أبي يوماً وقد أمرني أن أحبس الناس عنه، فأستأذن عليه عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال عمر: دويبة سوء ولهو خير من أبيه، فأوحشني ذلك منه، فقلت: يا أبة عبدالرحمن خير من أبيه؟[1]

قال: ومن ليس خير من أبيه لا أم لك، ائذن لعبد الرحمن فدخله عليه فكلمه في الحطيئة الشاعر أن يرضى عنه، وقد كان عمر حبسه في شعر، قال: فقال عمر: إن في الحطيئة اوداً فدعني اقومه بطول حبسه، فألح عليه عبدالرحمن فأبى، فخرج عبد الرحمن فأقبل عليّ أبي وقال: في غفلة أنت إلى يومك هذا عما كان من تقدم أحيمق بني تيم عليّ وظلمه لي.

فقلت: لا علم لي بما كان من ذلك.

قال: يا بني فما عسيت أن تعلم.

فقلت: والله لهو أحب إلى الناس من ضياء أبصارهم.

قال: إن ذلك كذلك على رغم أبيك وسخطه!

قلت: يا أبة أفلا تجلي عن فعله بموقف في الناس يبين ذلك؟

قال: وكيف لي بذلك مع ما ذكرت أنه أحب إلى الناس من ضياء أبصارهم، إذن يرضخ رأس أبيك بالجندل![2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨/٢.

فقال ابن عمر: ثم تجاسر والله فخبر، فما دارت الجمعة حتى قام خطيباً في الناس فقال: يا أيها الناس إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقى الله شرها، فمن دعا إلى مثلها فاقتلوه.[١]

وقال:روى الهيثم بن عدي، عن مجالد بن سعيد، قال: عدوت يوماً إلى الشعبي وأنا اريد أن أسأله عن شيء بلغني عن ابن مسعود أنه كان يقوله، فأتيته وهو في مسجد حيه وفي المسجد قوم ينتظرونه، فخرج فتعرفنا اليه، وقلت: اصلحك الله، كان ابن مسعود يقول: ما كنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

قال: نعم، كان ابن مسعود يقول ذلك، وكان ابن عباس يقوله أيضاً، وكان عند ابن عباس دفائن علم يعطيها أهلها، ويصرفها عن غيرهم، فبينا نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزد فجلس إلينا فأخذنا في ذكر أبي بكر وعمر، فضحك الشعبي، وقال: لقد كان في صدر عمر صب على أبي بكر، فقال الأزدي: والله ما رأينا ولا سمعنا برجل كان أسلس قياداً لرجل، ولا أقول فيه بالجميل من عمر في أبي بكر.[٢]

فاقبل الشعبي وقال: هذا مما سألت عنه، ثم أقبل على الرجل وقال: يا أخا الأزد، فكيف تصنع بالفلتة التي وقى الله شرها، أترى عدو يقول في عدو يريد أن يهدم ما بنى لنفسه في الناس أكثر من قول عمر في أبي بكر!

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩/٢.

فقال الرجل: سبحان الله أنت تقول ذلك يا أبا عمرو؟

قال الشعبي: أنا أقوله! قاله عمر بن الخطاب على رؤوس الأشهاد، فلمه أو دع، فنهض الرجل مغضباً وهو يهمهم في الكلام بشيء لم أفهمه.

فقال مجالد: فقلت للشعبي: ما أحسب هذا الرجل إلاّ سينقل عنك هذا الكلام إلى الناس ويبثه فيهم.

قال: إذن والله لا أجعل به شيء لم يحفل به عمر حين قام على رؤوس المهاجرين والأنصار أحفل به أنا ، وأذيعوه أنتم عني أيضاً ما بدا لكم.[1]

ونفس ابن أبي الحديد في حديث طويل عن بعضهم قال فيه القائل: شاع وأشتهر من قول عمر كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى الله شرها، فمن عاد الى مثلها فاقتلوه.

وهذا طعن في العقدة، وقدح في البيعة الأصلية، ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في خلواته، وقوله عن عبد الرحمن ابنه دويبة سوء، ولهو خير من أبيه، ونقل أيضاً عن شيخه أبي جعفر الاسكافي في نقضه لكلام الجاحظ، وأما حجة الجاحظ لإمامة أبي بكر بكونه أول الناس إسلاماً، فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لأحتج به أبو بكر يوم السقيفة، وما رأيناه صنع ذلك لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة ابن الجراح وقال للناس: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئتم، ولو كان هذا صحيحاً لما قال عمر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩/٢.

وقال: روى أبو جعفر الطبري قال: خطب الناس عمر بالكلام المشهور أن قوماً يقولون إن بيعة عمر أبا بكر كانت فلتة، وأنه لو مات عمر لفعلنا، أما إن بيعة أبي بكر كانت فلتة إلاّ أن الله وقى شرها، وليس فيكم من يقطع إليه الرقاب كأبي بكر، فأي امرء بايع امرء من غير مشروة من المسلمين فإنهما تغره أن يقتلا.[1]

وقد قال علي عليه السلام من كلام له: لم تكن بيعتكم إياي فلتة.[2]

قال ابن أبي الحديد في شرحه في معنى الفلتة: الكلام يقع بغير تدبر ولا روية في الكلام، تعريض ببيعة أبي بكر ﴿رضي الله عنه﴾، وقد تقدم لنا في معنى قول عمر ﴿رضي الله عنه﴾: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها.[3]

[قال] ابن أبي الحديد في الفلتة، وقد ذكر هذه الروايات قال: وأما الفلتة فإنها وإن كانت محتملة للبغتة كما قاله أبو علي رحمه الله إلاّ أن قوله وقى الله شرها يخصصها بأن يخرجها مخرج الذم، وكذلك قوله فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وقوله وقى شر الاختلاف فيها، فعدول عن الظاهر، لأن الشر في الكلام مضاف إليها دون غيرها، وأبعد من هذا التأويل قوله: إن المراد من عاد إلى مثلها من غير ضرورة وأكره المسلمين عليها فاقتلوه، لأن ما جرى هذا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١١.

[2] - نهج البلاغة ١٩/٢، خطبة ١٣٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣١/٩.

المجرى لا يكون مثلاً لبيعة أبي بكر عندهم، لأن كان ذلك ما جرى فيها على مذاهبهم، وقد كان يجب على هذا أن يقول فمن عاد إلى خلافها فاقتلوه، وليس له أن يقول إنما أراد بالمثل وجهاً واحداً وهو وقوعها من غير مشاورة، لأن ذلك إنما تم في أبي بكر خاصة بظهور أمره وانتشار فضله، لأنهم بادروا إلى العقد خوفاً من الفتنة، وذلك أنه غير منكر أن يتفق من ظهور غير أبي بكر واشتهار أمره وخوف الفتنة ما أتفق لابي بكر، فلا يستحق قتلاً ولا دماً على أن قوله مثلها يقتضي وقوعها على الوجه الذي وقعت عليه، فكيف يكون ما وقع من غير مشاورة لضرورة داعية وأسباب موجبة مثلاً لها لما وقع بلا مشاورة ومن غير مشاورة ولا أسباب.[1]

وقد ذكر صاحب كتاب العين أن الفلتة الأمر الذي يقع على غير إحكام،[2] فقد صح أنها موضوعة في اللغة لهذا وإن جاز أن لا تختص به، بل تكون لفظة غير مشتركة، وبعد فلو كان عمر لم يرد بقوله بتوهين بيعة أبي بكر بل أراد اظنه المخالفون لكان ذلك عائداً عليه بالنقض، لأنه وضع كلامه في غير موضعه وأراد شيئاً فعبر عن خلافه، فليس يخرج هذا الخبر أن يكون طعناً على أبي بكر إلاّ أن يكون طعناً على عمر.[3]

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٤/٢.

[2] ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد ١٢٢/٨، فلت.

[3] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٥/٢.

وأعلم أنه لا يبعد أن يقال أن الرضا والسخط، والحب، والبغض، وما شاكل ذلك من الأخلاق النفسانية وإن كانت أموراً باطنية فإنها قد تعلم ويضطر الحاضرون إلى حصولها بقرائن أحوال تصديهم للعلم الضروري، كما يعلم خوف الخائف، وسرور المبتهج، وقد يكون الإنسان عاشقاً لآخر فيعلم المخالطون لهما ضرورة أنه يعشقه، لما يشاهدونه من قرائن الأحوال، وكذلك يعلم من قرائن أحوال العابد المجتهد في العبادة، وصوم الهواجر، وملازمة الأوراد، وسهر الليل أن يتدين بذلك.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٥/٢.

الباب
الثالث عشر
في قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام
ستغدر بك الأمة بعدي والضغائن في صدور قوم

قال ابن أبي الحديد: روى سدير الصيرفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: اشتكى علي شكاية فعاده أبو بكر وعمر وخرجا من عنده وأتيا النبي صلى الله عليه وآله فسألهما من أين جئتما؟ قالا: عدنا علياً، قال: كيف رأيتماه؟ قالا: رأيناه لما به، فقال: كلا أنه لن يموت حتى يوسع غدراً وبغياً، وليكون في هذه الأمة غيره يعتبر به الناس من بعده.[1]

وقال: وروى أبو جعفر الاسكافي أيضاً ان النبي صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام فوجد علياً نائماً، فذهبت تنبهه، فقال: دعيه فرب سهر له بعدي طويل، ورب جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة، فبكت، فقال: لا تبكي فإنكما معي وفي موقف الكرامة بعدي.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٦/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٤.

قال: روى عثمان بن سعد، عن عبد الله الغنوي أن علياً عليه السلام خطب الناس بالرحبة فقال: أيها الناس إنكم قد أبيتم إلاّ أن أقولها، ورب السماء والأرض من عهد النبي الأمي اليّ أن الأمة ستغدر بك بعدي.[1]

وقال: روى الهيثم بن بشير، عن إسماعيل بن سالم مثله.

وقد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ ويقرب منه.[2]

وقال أبو بكر: وحدثنا علي بن حرب الطائي، قال: حدثنا ابن فضيل، عن الأجلح، عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد، قال: سمعت علياً يقول: أما ورب السماء والأرض ثلاثاً إنه لعهد النبي الأمي إليّ لتغدرن بك الأمة بعدي.[3]

قال: وروى يونس بن حباب، عن انس بن مالك، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب معنا فمررنا بحديقة فقال علي يا رسول الله ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة! فقال: إن حديقتك في الجنة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدائق يقول علي ما قاله، ويجيب رسول الله صلى الله عليه وآله بما أجابه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف فوقفنا فوضع رأسه على رأس علي وبكى، فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني.

قال: يا رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٧/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٧/٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٥/٦.

قال: بل تصبر فإن صبرت تلاقي جهداً.

قال: أفي سلامة من ديني؟ قال: نعم، قال: فإذن لا أبالي.[١]

قال: وروى جابر الجعفي، عن محمد بن علي عليه السلام قال: قال علي عليه السلام: ما رأيت منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله رخاء، لقد أخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً حتى قبض الله رسوله فكانت الطامة الكبرى، والله المستعان على ما يصفون.[٢]

وقال: وروى جعفر بن سليمان الضبعي، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لعلي مايلقى بعده من العنت فأطال لي، فقال: انشدك الله والرحم يا رسول الله لما دعوت الله أن قبضني إليه قبلك، فقال: كيف أسأله في أجل مؤجل.

قال: يا رسول الله فعلام أقاتل من أمرتني بقتاله؟

قال: على الحدث في الدين.[٣]

وقال: وروى الاعمش، عن عمار الدهني، عن أبي صالح الحنفي، عن علي عليه السلام قال: قال لنا يوماً لقد رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فشكوت إليه ما لقيت حتى بكيت، فقال لي: أنظر فإذا جلاميد وإذا رجلان

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٤.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٨/٤.

[٣] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٨/٤.

مصفدان، قال الاعمش: هما معاوية وعمرو بن العاص، فجعلت أرضخ رؤوسهما ثم يعود ثم أرضخ ثم يعود حتى انتبهت.[١]

وقال: وروى نحو هذا الحديث عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن علي عليه السلام قال: رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله فشكوت إليه، فقال: هذه جهنم فأنظر من فيها، فإذا معاوية وعمرو بن العاص معلقين بأرجلهما منكسين ترضخ رؤوسهما بالحجارة أو قال: تشدخ.[٢]

قال أبو الفرج: وحدثنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناد ذكره في الكتاب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال الحسن بن علي عليه السلام: خرجت وأبي يصلي في الدار، فقال لي: يا بني إني بت الليلة أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بدر لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فملكتني عيناي، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد، فقال لي: ادع عليهم، فقلت: اللهم أبدل لي بهم من هو خير لي منهم، وأبدل لهم بي من هو شر لهم مني، فقال الحسن بن علي عليه السلام وجاء ابن أبي التياج فأذن بالصلاة، فخرج وخرجت خلفه فاعتوره الرجلان، فأما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق، وأما الآخر فأثبتها في الرأس.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٨/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٩/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢١/٦.

الباب
الرابع عشر
في قوله ﷺ أقبلت الفتن كقطع
الليل المظلم واختلاف الأمة بعده

ابن أبي الحديد قال: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه، قال أبو جعفر: روى أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: أرسل اليّ رسول الله ﷺ في جوف الليل فقال: يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فأنطلق معي، فأنطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة لشر من الأولى.[1]

ثم أقبل عليّ وقال: يا أبا مويهبة إني قد أتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، وخيرت بينها وبين الجنة، فأخترت الجنة، فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا، والخلد فيها، والجنة جميعاً.

قال: يا أبا مويهبة اخترت لقاء ربي، ثم استغفر لأهل البقيع وانصرف، فبدأ بوجعه الذي قبض فيه.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧/١٣.

وقال: جاء في الأسانيد الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال: لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه، فقيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن ذا.[١]

وقال: ومن الأخبار الصحيحة: أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى![٢]

وقال: وفي صحيحي البخاري ومسلم ﴿رحمهما الله﴾ أنه سيجاء يوم القيامة بأناس من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فإذا رأيتهم اختلجوا دوني، قلت: أي ربي أصحابي!

فيقال لي: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول ما قال العبد الصالح
﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد﴾.

الإسناد في هذا الحديث: عن ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾.[٣]

وقال في الصحيحين أيضاً: عن زينب بنت جحش قالت: استيقظ رسول الله ﷺ يوماً من نومه محمراً وجهه وهو يقول: لا إله إلاّ الله، ويل

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٦/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٦/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٦/٩.

للعرب من شر قد اقترب! فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ فقال: نعم، إذا كثر الخبث.[1]

وفي الصحيحين أيضاً: يهلك أمتي هذا الحي من قريش، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم. رواه أبو هريرة عنه ﷺ.[2]

وقال: قال نصر: وحدثنا يحيى بن علي، عن الأصبغ بن نباتة، قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة، والرسول واحد، والصلاة واحدة، والحج واحد، فماذا نسميهم؟

فقال: سمهم بما سماهم الله في كتابه.

قال: ما كل ما في الكتاب أعلم.

قال: أما سمعت الله تعالى قال: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله**﴾ الى قوله: ﴿**ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر**﴾،[3] فلما وقع الإختلاف كنا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحق، فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقتالهم بمشيئة الله وإرادته.[4]

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٧/٩.

[2] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٧/٩.

[3] ـ البقرة/٢٥٣.

[4] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٨/٥، وقعة صفين/٣٢٢.

الباب
الخامس عشر
في طلب أمير المؤمنين عليه السلام من ينصره
إلى طلب أخذ حقه من الإمامة والخلافة
فلم يجد أعواناً

ابن أبي الحديد قال: قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري: وحدثنا أحمد، قال: حدثنا ابن عفير، قال: حدثنا أبي عون عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام: أن علياً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الإنتصار له، وكانوا يقولون: يا ابنة رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق الينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال علي عليه السلام: أكنت اترك رسول الله ميتاً في بيته لا أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه، وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما كان الله حسيبهم عليه.[1]

وقال: وفي كتاب معاوية المشهور إلى علي عليه السلام وعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويداك في يد ابنيك حسن وحسين يوم بويع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك، ومننت عليهم بإمرأتك، وأدليت بإبنيك، وأستصرختهم على صاحب

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٦.

رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فلم يجبك منهم إلاّ أربعة أو خمسة، ولعمري لو كنت محقاً لأجابوك، ولكنك أدعيت باطلاً، وقلت ما لا تعرف، ورمت ما لم تدرك، ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيجك، لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضت القوم، فما يوم المسلمين منك بواحد، ولا بغيك على الخلفاء بطريف ولا مستبدع.[1]

وقال: روى أبو جعفر الطبري، عن الشعبي قال: إن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أستنجد بالمسلمين عقيب يوم السقيفة وما جرى فيه، وكان يحمل فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ليلاً على حمار وابناها بين يدي الحمار، وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ يسوقه، فيطرق بيوت الأنصار وغيرهم، ويسألهم النصرة والمعونة، أجابه أربعون، فبايعهم على الموت، وأمرهم أن يصبحوا بكرة محلقي رؤوسهم ومعهم سلاحهم، فأصبح لم يوافقه عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم إلاّ أربعة، الزبير، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، ثم أتاهم من الليل فناشدهم فقالوا: نصحبك غدوة فما جاء منهم إلاّ أربعة، وكذلك في الليلة الثالثة، وكان الزبير أشدهم له نصرة، وأنفذهم في طاعته بصيرة، حلق رأسه وجاءه مراراً في عنقه سيفه، وكذلك الثلاثة الباقون إلاّ أن الزبير هو كان الرأس فيهم، وقد نقل الناس خبر الزبير لما هجم بيت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وكسر سيفه في صخرة ضربت به، ونقلوا اختصاص علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وخلواته به.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٧/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/١١.

قال: وقد روى كثير من المحدثين أن علياً عليه السلام عقيب يوم السقيفة تظلم وتألم، وأستنجد وأستصرخ حيث ساموه الحضور والبيعة، وأنه قال وهو يشير إلى القبر:﴿**يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**﴾، وأنه قال واجعفراه ولا جعفر لي اليوم، واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم.

وقد ذكرنا من هذا جملة صالحة فيما تقدم.[1]

فإن قلت: هل ذكر حديث خالد في الأمر له بقتل أمير المؤمنين عليه السلام من طريق الجمهور أم لا؟

قلت: نعم.

قال ابن أبي الحديد: قال قرأت في كتاب صنفه أبو حيان التوحيدي في تقريض الجاحظ، قال: نقلت من خط الصّولي، قال الجاحظ: إن العباس بن عبد المطلب أوصى علي بن أبي طالب عليه السلام في علته التي مات فيها، وساق الكلام بطوله إلى أن قال: وأعلم أن كل دم أراقه رسول الله صلى الله عليه وآله بسيف علي عليه السلام وبسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته صلى الله عليه وآله عصبت تلك الدماء لعلي بن أبي طالب عليه السلام وحده، لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم وسنتهم وعادتهم به تلك الدماء إلاّ وحده، وهذه عادت العرب إذا قتل منهم قتيل طالبت بتلك الدماء القاتل، فإن مات أو تعذرت عليها مطالبته، طالبت بها أمثل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١١/١١.

الناس به من أهله، ومن نظر في أيام العرب ووقائعها ومقاتلها عرف ما ذكرناه.[١]

ثم قال: وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أحمد بن زيد رحمه الله فقلت: إني لأعجب من علي عليه السلام كيف يبقى تلك المدة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف ما أغتيل وفتك به في جوف منزله مع تلظي الأكباد عليه، فقال: لولا أنه أرغم أنفه بالتراب ووضع خده في حضيض الأرض لقتل، ولكنه أخمل نفسه، وأشتغل بالعبادة والصلاة، والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزي الأول، وذلك الشعار، ونسي السيف، وصار كالفاتك يثوب ويصير سائحاً في الأرض أو راهباً في الجبال، ولما أطاع القوم الذين ولوا الأمر وصار أذل لهم من الحذاء، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلاّ بمواطاة من متولي الأمر، وباطن في السر منه، فلما لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله، وقع الإمساك عنه، لولا ذلك لقتل، ثم الأجل بعد معقل حصين.

فقلت: أحق ما يقال في حديث خالد؟

فقال: إن قوماً من العلوية يذكرون ذلك، وقد روي أن رجلاً جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة فسأله عما يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم، نحو الكلام والفعل الكثير أو الحدث؟

فقال: إنه جائز، قال: فقال أبو بكر في تشهده ما قال، فقال الرجل: وما الذي قال أبو بكر؟ فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٣٠٠.

فقال: أخرجوه قد كنت أحدث أنه من أصحاب أبي الخطاب.

قلت له: فما الذي تقول أنت؟

قال: أستبعد ذلك، وإن روته الإمامية، ثم قال: خالد لا أستبعد منه الإقدام عليه لشجاعته في نفسه ولبغضه إياه، ولكني أستبعده من أبي بكر، فإنه كان ذو ورع، ولم يكن ليجمع بين أخذ الخلافة ومنع فدك، وإغصاب فاطمة، وقتل علي، حاش لله من ذلك.

فقلت له: أكان خالد يقدر على قتله؟

قال: نعم ولم لا يقدر على ذلك والسيف في عنقه، وعلي أعزل غافل عما يراد به، فقد قتله ابن ملجم غيلة، وخالد أشجع من ابن ملجم.[1]

فسألته عما ترويه الإمامية في ذلك كيف الفاظه؟

فضحك وقال: كم عالم بالشيء وهو يسايل عنه، ثم قال: دعنا من هذا، ما الذي تحفظ في هذا المعنى؟

قلت: قول أبي الطيب:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد   أقصير طريقنا أم طويل

وكثير من السؤال اشتياق   وكثير من ردة تعليل

فاستحسن ذلك وقال: لمن عجز البيت الذي استشهدت؟

قلت: لمحمد بن هاني المغربي وأوله:

في كل يوم أستزيد تجارباً   كم عالم بالشيء وهو يسائل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠١/١٣.

فبارك عليّ مراراً ثم قال: نترك الآن هذا ونتمم ما كنا فيه، وكنت أقرأ عليه في ذلك الوقت جمهرة النسب لإبن الكلبي، فعدنا إلى القراءة، وعدلنا عن الخوض عما كان اعترض الحديث فيه.[١]

[قلت:] وأعلم أن ابن أبي الحديد بعد أن ذكر الحديث الذي تقدم وهو قوله وقد روى كثير من المحدثين أن علياً عليه السلام عقيب يوم السقيفة تظلم وتألم وأستنجد إلى قوله وقد ذكرنا جملة صالحة فيما تقدم، قال عقيب هذا الحديث: وكل ذلك محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل والقرابة، وليس بدال عندنا على وجود النص، لأنه لو كان هناك نص لكان أقل كلفة، وأسهل طريقاً، وأيسر طلباً [لمن] يريد تناولاً أن يقول يا هؤلاء إن العهد لم يطل، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمركم بطاعتي، وأستخلفني عليكم بعده، ولم يقع منه صلى الله عليه وآله بعدما علمتوه نص يفسخ ذلك ولا يرفعه، فما الموجب للترك والعدول له، وهو يعتل ويدفع ليبايع، وهو يستصرخ تارة بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وتارة بعمه حمزة، وأخيه جعفر، وهما ميتان، وتارة بالأنصار، وتارة ببني عبد مناف، ويجمع الجموع في داره، ويبعث الرسل والدعاة ليلاً ونهاراً إلى الناس يذكرهم فضله وقرابته، ويقول للمهاجرين خصمتم الأنصار بكونكم أقرب إلى رسول الله، وأنا اخصمكم بما خصمتم به الأنصار، لأن القرابة إن كانت هذه المعتبرة، فأنا أقرب منكم، ولاخلاف من هذا الامتناع، ومن هذا الإحتجاج، ومن الخلوة في داره بأصحابه، ومن تنفير الناس عن البيعة التي

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٢/١٣.

عقد حينئذ لمن عقدت له، وكل هذا إذا تأمله المنصف علم أن الشيعة أصابت في أمر، وأخطأت في أمر، أما الأمر الذي أصابت فيه فقولها إنه امتنع وتلكأ وأراد الأمر لنفسه، وأما الأمر الذي أخطأت فيه فقولها إنه كان منصوصاً عليه نصاً جلياً بالخلافة تعلمه الصحابة كلها وأكثرها، وإن ذلك النص خولف للرئاسة الدنيوية، وإيثار العاجلة، إن حال المخالفين للنص لا تعدوا أحد أمرين، إما الكفر أو الفسق، فإن قرائن الأحوال وإماراتها لا تدل على ذلك، وإنما تدل وتشهد بخلافه، وهذا يقتضي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان في مبدأ الأمر يظن أن العقد لغيره كان عن غير نظر المصلحة، وأنه لم يقصد به إلاّ صرف الأمر عنه، والإستيثار عليه، فظهر منه عليه السلام ما ظهر من الإمتناع والقعود في بيته إلى أن صح عنده وثبت في نفسه أنهم أصابوا فيما فعلوه، وأنهم لم يميلوا إلى هوى ولا أرادوا الدنيا، وإنما فعلوا الأصلح في ظنونهم، لأنه رأى من بغض الناس له، وانحرافهم عنه، وميلهم عليه، وثوران الأحقاد التي كانت في أنفسهم، واحتدام النيران التي كانت في قلوبهم، وتذكر الترات الذي وترهم فيما قبل بها، والدماء التي سفكها منهم وأراقها، وتعلل طائفة منهم للعدول عنه لصغر سنه واستهجانهم تقديم الشباب على الكهول والشيوخ، وتعلل طائفة أخرى بكراهية الجمع بين النبوة والخلافة في بيت واحد، فيجحفون على الناس كما قاله من قاله، واستصعاب قوم منهم شدته وعلمهم، بأنه لا يداهن ولا يحابي، ولا يراقب ولا يجامل في شيء، وأن الخلافة تحتاج إلى من يجتهد برأيه، ويعمل بموجب استصلاحه، وانحراف قوم آخرين عنه

للحسد الذي كان عندهم له حياة رسول الله ﷺ لشدة اختصاصه له وتعظيمه إياه، وما قال فيه فأكثر من النصوص الدالة على رفعة شأنه وعلو مكانه، وما اختص به من مصاهرته وأخوته، ونحو ذلك من أحواله، وتنكر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب والتيه، وزعموا احتقاره العرب واستصغاره الناس كما عدوه عليه، وان كانوا عندنا كاذبين، ولكنه قول قيل وأمر ذكر، وحال نسبه إليه، وأعانهم عليها ما كان يصدر عنه من أقوال توهم مثل هذا، نحو قوله: فإنا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا.

وما صح به عنده أن الأمر لم يكن ليستقيم له يوماً واحداً، ولا ينظم ولا يستمر، وأنه لو ولي الأمر لفتقت العرب عليه فتقاً يكون فيه استيصال شأفة الإسلام، وهدم أركانه، فأذعن بالبيعة، وجنح الى الطاعة، وأمسك عن طلب الأمر، وإن كان على مضض ورمض، وقد روي عنه عليه السلام أن فاطمة عليها السلام حرضته يوماً على النهوض والوثوب، فسمع صوت المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله، فقال لها: أيسرك زوال هذا النداء من الأرض؟ قالت: لا، قال: فإنه ما أقول لك.

وهذا المذهب هو أقصد المذاهب وأصحها، وإليه يذهب أصحابنا المتأخرون من البغدادية، وبه نقول.

وأعلم أن ادخال علي عليه السلام في هذا المعنى أشهر من يحتاج في الدلالة عليها إلى الإسهاب والإطناب، فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة،

وفي دون هذه المدة تنسى الأحقاد، ويموت الترات، وتبرد الأكباد الحامية، وتسلو القلوب الواجدة، ويعدم قرن من الناس، ويوجد قرن، ولا يبقى من أرباب تلك الشحناء والبغضاء إلاّ الأقل، فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنها حالة لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه ﷺ من إظهار ما في النفوس، وهيجان ما في القلوب حتى أن لا خلاف من قريش، والأحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في اسلافهم وآبائهم فعلوا به ما لو كانت الأحداث احياء لقصرت عن فعله، وتقاعست عن بلوغ شأوه، فكيف كانت تكون حاله لو جلس على منبرالخلافة وسيفه بعد يقطر دماً من مهج العرب لا سيما قريش الذين بهم كان ينبغي لو دهمه خطب أن يعتضد، وعليهم كان يجب أن يعتمد، إذا كانت تدرس أعلام الملة، وتتعفى رسوم الشريعة، وتعود الجاهلية الجهلاء إلى حالها، ويفسد ما أصلحه رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة في شهر واحد، فكان من عناية الله تعالى بهذا الدين أن ألهم الصحابة ما فعلوه، والله متم نوره ولو كره المشركون.

وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد رحمه الله فقلت له: أتقول لو أن حمزة وجعفر عليهما السلام لو كانا حيين يوم وفاة رسول الله ﷺ أكانا يبايعانه بالخلافة؟!

فقال: نعم، كانا أسرع إلى بيعته من النار في يبس العرفج.

فقلت له: أظن أن جعفراً كان يبايعه ويتابع، ولا أظن حمزة كذلك، وأراه جباراً قوي النفس، شديد الشكيمة، ذاهباً بنفسه، وشجاعاً بهمته، وهو العم والأعلى سناً، وآثاره في الجهاد معروفة، وأظنه كان يطلب الخلافة لنفسه.

فقال: الأمر في أخلاقه وسجاياه كما ذكرت، ولكنه كان صاحب دين متين، وتصديق خالص لرسول الله ﷺ، ولو عاش لرأى من أهوال علي عليه السلام مع رسول الله ﷺ ما يوجب أن يكسر له نخوته، وأن يقيم له صغره، وأن يقدمه على نفسه، وأن يتوخى رضا الله، ورضا رسوله فيه، وإن كان بخلاف إيثاره.[1]

ثم قال: أين خلق حمزة السبعي من خلق علي عليه السلام الروحاني اللطيف الذي جمع بينه وبين خلق حمزة، فأتصفت بهما نفس واحدة، وأين هيولانيته وخلوها من العلوم من نفس علي عليه السلام القدسية التي أدركت بالفطرة لا بالقوة التعليمية ما لم تدركه نفوس مدققي الفلاسفة الإلهيين، لو أن حمزة حي متى رأى من علي ما رآه غيره لكان أتبع له من ظله، وأطوع له من أبي ذر والمقداد.[2]

وأما قولك: هو العم والأعلى سناً، فقد كان العباس العم والأعلى سناً، و قد عرفت ما بذله له وندبه إليه، وكان أبو سفيان كالعم وكان أعلى سناً، وقد عرفت ما عرضه عليه، ثم قال: ما زالت الأعمام تخدم أبناء الأخوة، وتكون

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/١١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/١١.

أتباعاً لهم، ألست ترى حمزة والعباس اتبعا ابن أخيهما ﴿صلوات الله عليه وآله﴾ وأطاعاه ورضيا برسالته، وصدقا دعوته، ألست تعلم أن أبا طالب كان رئيس بني هاشم، وشيخهم والمطاع فيهم، وكان محمد ﷺ يتيمه ومكفوله، وجارياً مجرى أحد أولاده عنده، ثم خضع له واعترف بصدقه، ودان لأمره حتى مدحه بالشعر كما يمدح الأدنى الأعلى فقال فيه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطيف به الحلال من آل هاشم ... وهم عنده في نعمة وفواضل

وإن سراً اختص به محمد ﷺ حتى أقام أبا طالب وحاله معه مقام المادح له لسر عظيم، وخاصة شريفة، وإن في هذا المعنى المعتبر عبرة أن يكون هذا الإنسان الفقير الذي لا أنصار له ولا أعوان معه، ولا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلاً عن أن يقهر غيره تعمل دعوته وأقواله في الأنفس ما تعلمه الخمر في الأبدان المعتدلة المزاج، حتى تطيعه أعمامه، ويعظمه مربيه وكافله، ومن هو إلى آخر عمره القيم بنفقته، وغذا بدنه وكسوة جسده حتى يمدحه بالشعر كما يمدح الملوك والرؤساء، وهذا في باب المعجزات عن المنصف أعظم من انشقاق القمر، ومن انقلاب الحصى، ومن إنباء القوم بما يأكلون وما يدخرون.[١]

ثم قال رحمه الله: كيف قلت أظن أن جعفراً كان يبايعه، ولا أظن في حمزة ذلك، إن كنت قلت ذلك لأنه أخوه، فإنه أعلا منه سناً، وهو أكبر من

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١/١١٥.

علي عليه السلام بعشر سنة، وقد كانت له خصائص ومناقب كثيرة، وقال فيه النبي صلى الله عليه وآله قولاً شريفاً أتفق عليه المحدثون، قال له لما افتخر هو وعلي، وزيد بن حارثة، وتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: أشبهت خلقي وخلقي، فخجل فرحاً، ثم قال: لزيد أنت مولانا وصاحبنا فخجل، ثم قال لعلي: أنت أخي وخالصتي، قالوا: فلم يخجل.[1]

قالوا: كان ترادف التعظيم وتكريره عليه لم يجعل عنه للقول ذلك الموضع، وكان غيره إذا عظم أعظم نادراً فيحسن موقعه عنده.[2]

أقول: قول ابن أبي الحديد في أول البحث كل ذلك عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل والقرابة، وليس بدال عندنا على وجود النص، لأن قوله وهو يعتل ويدفع ليبايع إلى قوله وكل هذا إذا تأمله المنصف علم أن الشيعة أصابت في أمر، وأخطأت في أمر، أما الأمر الذي أصابت فيه فقولها إنه امتنع وتلكأ وأراد الأمر لنفسه، وأما الأمر الذي أخطأت فيه فقولها إنه كان منصوصاً عليه نصاً جلياً بالخلافة تعلمه الصحابة كلها وأكثرها، وأن ذلك النص خولف للرئاسة الدنيوية وإيثار العاجلة، وأن حال المخالفين للنص لا يعدوا أحد أمرين إما الكفر أو الفسق.

فأقول: ابن أبي الحديد لم ينصف الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله ولا نفسه، فإنه قد روى النص على أمير المؤمنين عليه السلام بأنه الإمام بعد رسول الله

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٦/١١.

[2] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٧/١١.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالنص من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بروايات كثيرة كما قدمناه في الباب الثاني حيث قال: روى ابن ديزيل، قال: حدثنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا علي بن القاسم، عن سعد بن طارق، عن عثمان بن القاسم، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ألا أدلكم على ما إن سالمتم لم تهلكوا، إن وليكم الله وإمامكم علي بن أبي طالب، فناصحوه وصدقوه، فإن جبرئيل أخبرني بذلك.[1]

قال ابن أبي الحديد عقيب ذكره هذا الحديث: فإن قلت: هذا نص صريح في الإمامة فما الذي تصنع المعتزلة بذلك؟

قلت: يجوز أن يريد أنه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية لا في الخلافة، وأيضاً فإنا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما محصله أن الإمامة كانت لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ إن رغب فيها ونازع عليها، وإن أقرها في غيره وسكت عنها تولينا ذلك الغير، وقلنا بصحة خلافته، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم ينازع الأئمة الثلاثة، ولا جرد السيف، ولا أستنجد الناس عليهم، فدل ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه، فلذلك توليناهم، وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصلاح، ولو حاربهم وجرد السيف عليهم، وأستصرخ العرب على حربهم لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعاملة من التفسيق والتضليل.[2]

فأقول: هذا نص صريح كما اعترف به، والنص لا يقبل التأويل، ولهذا كان تأويله للنص هو بمعناه حيث قال: قلت: يجوز أنه يريد أنه إمامهم في

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٨/٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٨/٣.

الفتاوى والأحكام الشرعية لا في الخلافة، إذ لا معنى للإمام والخليفة إلاّ الذي هو مرجع الفتاوى والأحكام الشرعية، وهذا واضح بيّن، وقد تقدم روايات كثيرة بأنه الإمام بالنص من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه عليه السلام في الباب الثاني، والإنكار لذلك بعد الإعتراف به حج نفسه وخصمها، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال، وهذا الباب الذي نحن فيه يعطي الرد على ابن أبي الحديد في كلامه من قول ما احتج علي عليه بالنص.

قلت: كيف يحتج عليهم بما هو معلوم عند خصمائه من النص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله ولو ذكره عليه السلام لأنكروه كما أنكره ابن أبي الحديد فيما ذكرناه عنه في هذا الباب، وأعترف به، ورواه بروايات كثيرة بما قدمناه عنه في الباب الثاني، فأحتج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر في تقديمه عليه وأخذ حقه المعلوم له بما أحتج على الأنصار لا ينكر ذلك، لأنه معلوم في الحاضر، فلا سبيل إلى إنكاره، فكأن أمير المؤمنين عليه السلام قال لهم أنا أولى بالأمر، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نص عليّ بالإمامة والخلافة، فإن نكرتم ذلك فأنا أحتج عليكم بما أحتججتم به على الأنصار، وإلاّ فإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته معلومة عند من تقدم عليه ومن بايعهم، ولو لم يكن من ذلك إلاّ النص عليه بغدير خم بالإمامة والخلافة بمحضر ما يزيد على مائة ألف، كما هو في رواية الجمهور أو سبعين ألف كا هو مروي عن أبي جعفر محمد بن

علي الباقر عليه السلام والصادق جعفر بن محمد عليه السلام: حقوق الناس تثبت بشهادة رجلين، وحق علي عليه السلام لا يثبت بشهادة عشرة آلاف رجل.[١]

وأيضاً قد روى ابن أبي الحديد حديثاً تقدم في الباب الثالث وفي الحديث قالت عائشة: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم حين سأل أبو بكر وعمر رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخليفة بعده صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خاصف النعل، فنظرنا فلم نرَ أحداً إلاّ علياً، فقلت: يا رسول الله ما أرى إلاّ علياً، فقال: هو ذاك. وكان علي عليه السلام في ذلك الوقت يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله.[٢]

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: هذا نص صريح على استخلافه لعلي عليه السلام فما أنت تصنع وأصحابك المعتزلة، فأجاب بجواب يكذبه الحديث المذكور، لأنا لم نذكره هنا بتمامه، ومن أراد الوقوف على تمام الحديث وجواب ابن أبي الحديد عن النص ترويجاً لمذهب المعتزلة فليرجع إليه في الباب الثالث.

---

[١] - مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ٢/٢٢٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٢١٨، النزاع والتخاصم للمقريزي/٢٥، البحار ٣٢/١٧٠.

الباب
السادس عشر
في تظلم أمير المؤمنين عليه السلام
ممن تقدم عليه من الصحابة

قال ابن أبي الحديد، قال عوانه: حدثني يزيد بن جرير، عن الشعبي، عن شقيق بن سلمه، أن علي بن أبي طالب لما أنصرف إلى رحله يعني في قصة الشورى قال لبني هاشم: يا بني عبد المطلب إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبي كعداوتهم النبي في حياته، وإن تطمع قومكم لا تؤمروا أبداً، والله لا يثيب هؤلاء إلى الحق إلاّ بالسيف.[1]

قال: كان عبدالله بن عمر بن الخطاب داخل اليهم قد سمع الكلام كله، فدخل فقال: يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض؟!

فقال: اسكت ويحك، فوالله لولا أبوك وما ركب مني قديماً وحديثاً ما نازعني ابن عفان ولا ابن عوف، فقام عبد الله فخرج.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٤/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٤/٩.

قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: واعجبا أن تكون الخلافة بالصحبة، ولا تكون بالصحبة والقرابة.[1]

قال الرضي رحمه الله: وقد روى له شعر في قريب من هذا المعنى وهو:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشيرون غيب

وان كنت بالقربى حججت خصيمهم

فغيرك أولى بالنبي وأقرب[2]

قال ابن أبي الحديد في الشرح: حديثه عليه السلام في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر ﴿رضي الله عنهما﴾، أما النثر فإلى عمر توجيهه، لأن أبا بكر لما قال لعمر: امدد يدك، قال له عمر: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها، شدتها ورخاؤها، فامدد أنت، فقال علي ﴿صلوات الله عليه﴾: إذا احتججت لإستحقاقه الأمر بصحبته إياه في المواطن، فهلا سلمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك وزاد عليه بالقرابة، وأما النظم فموجه إلى أبي بكر، لأن أبا بكر حاج الأنصار في السقيفة، فقال: نحن عترة رسول الله، وبيضته التي تفقأت عنه، فلما بويع أحتج على الناس بالبيعة، وإنها صدرت عن أهل الحل والعقد، فقال علي عليه السلام: أما إحتجاجك على الأنصار بأنك بيضة رسول

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤١٦/١٨، وورد فيه: واعجبا أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤١٦/١٨.

الله صلى الله عليه وآله ومن قومه، فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأما إحتجاجك بالإختيار ورضا الجماعة بك، فقد كان قوم من جلة الصحابة غائبين لم يحضروا العهد فكيف ثبت.[1]

قال ابن أبي الحديد: قال أمير المؤمنين عليه السلام: حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، وأتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمر الله بمودته، ونقلوا البناء عن رس أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكرة على سنّة من آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين.[2]

قال ابن أبي الحديد في الشرح: ووصلوا غير الرحم، أي غير رحم الرسول، فذكرها عليه السلام مطلقاً غير مضاف للعلم بها، كما يقول القائل أهل البيت فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول عليه السلام، وهجروا السبب يعني أهل البيت أيضاً، وهذا إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: خلفت فيكم الثقلين كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء الى الأرض، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض، فعبر أمير المؤمنين عليه السلام عن أهل البيت بلفظ السبب لما كان النبي صلى الله عليه وآله قال حبلان ممدودان، والسبب في اللغة الحبل، وعنى بقوله امروا بمودته قوله تعالى: **﴿قل لا أسألكم عليه اجراً إلاّ المودة في**

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤١٦/١٨.

[2] - نهج البلاغة ٣٥/٢، خطبة ١٥٠، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣١/٩.

القربى﴾،[1] وقوله: ونقلوا البناء عن رس أساسه، نقلوا الأمر عن أهله إلى غير أهله، ثم ذمهم عليه فقال: إنهم معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، الغمرة الضلال والجهل، والضارب فيها الداخل المعتقد لها، قد ماروا في الحيرة، مار يمور موراً إذا ذهب وجاء، فكأنهم يسبحون في الحيرة، كما يسبح الإنسان في الماء، على سنة من آل فرعون، أي على طريقه، وآل فرعون اتباعه قال الله تعالى: **﴿ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾**،[2] منقطع إلى الدنيا لا همّ له غيرها، راكن مخلد اليها، قال الله تعالى: **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾**،[3] مفارق للدين، مباين مزايل.[4]

فإن قلت: أليس هذا الفصل صريحاً في تحقيق مذهب الإمامية؟

قلت: لا، بل نحن نحمله على انه عليه السلام عنى اعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفناء العرب في يام صفين، وهم الذين نقلوا البناء وهجروا السبب، ووصلوا غير الرحم، واتكلوا على الولائج، وغالتهم السبل، ورجعوا على الأعقاب، كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، والوليد بن عتبة، وحبيب بن مسلمة، وبسر بن ارطأة، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وخوشب، وذي الكلاع، وشرحبيل بن السمط، وأبي

---

[1] - الشورى/٢٣.

[2] - غافر/٤٦.

[3] - هد/١١٣.

[4] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣٢/٩.

الأعور السلمي، وغيرهم ممن تقدم ذكرنا له في الفصول المتعلقة بصفين وأخبارها، فإن هؤلاء نقلوا الإمامة عنه عليه السلام إلى معاوية، فنقلوا البناء عن رس أصله إلى غير موضعه.[1]

فإن قلت: لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأولته، لأنه عليه السلام قال: حتى إذا قبض رسوله رجع قوم على الأعقاب. فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرسول، وما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول بنيف وعشرين سنة.[2]

قلت: ليس بممتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله، وأضمروا في أنفسهم مشاقة أمير المؤمنين عليه السلام وأذاه، وقد كان فيهم من يتحكك به في أيام أبي بكر وعمر وعثمان ﴿رضي الله عنهم﴾ ويتعرض له، ولو لم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يقدم على ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يمتنع أيضاً، أن يريد عليه السلام رجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالكلية، فإن كثيراً من أصحابنا يطعنون في إيمان بعض ما ذكرناه، ويعدونهم من المنافقين، وقد كان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله يقمعهم ويردعهم عن إظهار ما في انفسهم من النفاق، فأظهر قوم منهم ما كان يضمرونه من ذلك خصوصاً فيمن تعلق بأمير المؤمنين عليه السلام الذي ورد

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٤/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٤/٩.

في حقه ما كنا نعرف على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ ببغض علي عليه السلام، وهو خبر محقق مذكور في الصحاح.[١]

فإن قلت: يمنعك من هذا التأويل قوله: ونقلوا البناء عن رس أساسه، فجعلوه في غير موضعه، وذلك لأن الظرف والعامل فيه قوله رجع قوم على الأعقاب وقد عطف عليه قوله ونقلوا البناء، فإذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً في الطرف الآخر لم ينقل أحد وقت قبض الرسول صلى الله عليه وآله إلى معاوية عن أمير المؤمنين، وإنما نقل عنه إلى شخص آخر، وفي اعطاء العطف حقه إثبات مذهب الإمامية صريحاً![٢]

قلت: إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً وقت قبض النبي صلى الله عليه وآله فقد قمنا بما يوجب من وجود عامل في الظرف، ولا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في تلك الحال أيضاً، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر، إما بأن الواو للإستئناف لا للعطف، أو بأن يكون العطف في مطلق الحدث لا في وقوع الحدث في غير ذلك الزمان المخصوص، كقوله تعالى: **﴿حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما أهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد ان ينقض فاقامه﴾**،[٣] فالعامل في الظرف استطعما ويجب أن يكون استطعماهما وقت اتيانهما أهلها لا محالة، ولا يجب أن يكون جميع

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٤/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٥/٩.

[٣] - الكهف/٧٧.

الأفعال المذكورة المعطوفة واقعة حال الإتيان أيضاً، ألا ترى أن من جملتها فأقامه ولم تكن إقامة الجدار حالة ايتيانهما للقرية متراخياً عنه بزمان، اللهم إلاّ أن يقول قائل إنه أشار بيده إلى الجدار فقام أو قال له قم فقام، لأنه لا يمكن أن يجعل إقامة الجدار مقارناً للإيتيان إلاّ على هذا الوجه، وهذا لم يكن، ولا قاله مفسر، ولو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال **﴿لو شئت لاتخذت عليه اجراً﴾**،[1] لأن الأجر إنما يكون على عمل فيه مشقة، وإنما يكون فيه مشقة إذا بناه بيده وباشره بجوارحه وأعضائه.[2]

وأعلم أنا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤدده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم من الإغضاء عما سلف ممن سلف، فقد كان صاحبهم بالمعروف برهة من الدهر، فإما أن يكون ما كانوا فيه حقهم أو حقه، فترك لهم رفعاً لنفسه عن المنازعة، ولما يراه من المصلحة، وعلى كلا التقديرين فالواجب علينا أن نطبق إجراء أفعاله وأقواله بالنسبة إليهم، ومن أولها فإن بعد التأويل ما نتأوله من كلامه فليس بأبعد من تأويل التوحيد والعدل، والآية المتشابهة في القرآن، لم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الأصول المقررة، فكذلك هنا.[3]

---

[1] - الكهف/٧٧.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٥/٩.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٦/٩.

أقول: كلام ابن أبي الحديد وتأويله النص في غاية السقوط والتعصب لمذهب المعتزلة، وتكلفه من التأويلات البعيدة التي لا يجوز اجرائها في النصوص، ولولا خوف الإطالة لنبهنا على بطلان كلامه من حال العطف والإسيئناف، ولا يخفى فساده على من له أنس بعلم المعاني من حيث الفصل والوصل، وأما مصاحبة أمير المؤمنين عليه السلام للثلاثة الذين تقدموا عليه فقد كشف أمير المؤمنين عليه السلام حال صحبته لهم في الخطبة الشقشقية، فقد أزاح عليه السلام تعليل العليل، وصحبتهم معه كما في قوله تعالى: ﴿**قال له صاحبه وهو يحاوره**﴾، **الآية.**[1]

وقال ابن أبي الحديد: اللهم إلاّ أن يقول قائل إنه أشار بيده إلى الجدار فقام أو قال قم فقام، إلى أن قال ولا قال مفسر.

قلت: بل نقله بعض مفسري الجمهور أنه مسحه بيده فقام،[2] والمروي من طريق الإمامية عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه الخضر عليه السلام وضع يده فأقامه.[3]

وأما قوله لأن الأجر إنما يكون على إعمال عمل فيه مشقة إلى آخر كلامه.

---

[1] - الكهف/٣٧.

[2] - جامع البيان، ابن جرير الطبري ٣٤٦/١٥.

[3] - تفسير التبيان، الشيخ الطوسي ٧٦/٧، تفسير الصافي ٢٥٥/٣.

لقائل يقول لابن أبي الحديد: لو كان على شفير بئر رجل أعمى، فقال البصير: أعطني شربة من البئر، وأنا أعطيك مائة الف درهم أجرة في عملك، فأخذ بيده شربة فسقاه، هل في ذلك مشقة.

وبالجملة التكليفات والتمحلات في النصوص محرم، لا يجوز في الدين مع وضوح الحق وبيانه، والحمد لله رب العالمين.

وقال: روى أبو جعفر ما قاله علي عليه السلام في يوم الشورى وهو: الحمد لله الذي اختار محمداً منا نبياً، وبعثه الينا رسولاً، فنحن أهل بيت النبوة، ومعدن الحكمة، أمان لأهل الأرض، ونجاة لمن طلب، إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب اعجاز الإبل وإن طال السرى، لو عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وآله لنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجالدنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، أسمعوا كلامي، وعوا منطقي، عسى أن تروا هدى الأمر بعد الجمع تنضى فيه السيوف، وتخان فيه العهود، حتى لا تكون لكم جماعة، وحتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة.[١]

قال: قال أبو جعفر: فلما أتى اليوم الثالث يعني من أيام الشورى جمعهم عبد الرحمن، وأجتمع الناس كافة، فقال عبد الرحمن: أيها الناس أشيروا عليّ في هذين الرجلين يعني علياً عليه السلام وعثمان، فقال عمار بن ياسر: إن أردت أن لا تختلف الناس فبايع علياً.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٥/١.

فقال المقداد: صدق عمار، وإن بايعت علياً سمعنا وأطعنا.

فقال عبد الله بن أبي السرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان.

وقال عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي: صدق، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا.

فشتم عمار ابن أبي السرح وقال له: ما كنت تنصح الإسلام، فتكلم بنو هاشم وبنو أمية، وقام عمار فقال: أيها الناس إن الله أكرمكم بنبيه، وأعزكم بدينه، فإلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم، فقام رجل من بني مخزوم وقال: لقد عدوت طورك يا ابن سمية، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها.

فقال سعد: يا عبد الرحمن أفرغ من امرك قبل أن يفتتن، فحينئذ عرض عبد الرحمن على علي عليه السلام العمل بسيرة الشيخين.

فقال: بل اجتهد برأيي.

فبلغ عثمان بعد أن عرض عليه، فقال: نعم.

فقال علي عليه السلام: ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا، ﴿**فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون**﴾، والله ما وليته الأمر إلاّ ليرده إليك، والله كل يوم في شأن.

فقال عبد الرحمن: لا تجعل على نفسك سبيلاً يا علي يعني أمر عمر أبي طلحة أن يضرب عنق المخالف، فقام علي عليه السلام فخرج وقال: سيبلغ الكتاب أجله.

فقال عمار: يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته، وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

فقال المقداد: بالله ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم، واعجباً لقريش لقد تركت رجلاً ما أقول ولا أعلم أن احداً اقضى بالعدل، ولا أعلم ولا أتقى منه، أما لو أجد أعواناً.

فقال عبد الرحمن: اتق الله يا مقداد، فإني أخاف عليك الفتنة.

وقال علي عليه السلام: إني لأعلم ما في أنفسهم، إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر في صلاح شأنها، فتقول إن ولي الأمر بنو هاشم لن يخرج منهم أبداً، وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش.

قال: وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فتلكأ ساعة ثم بايع.

قال: وقال عليه السلام: فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا.[١]

وقال: قال عليه السلام: مازلت مظلوماً منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا، ولقد كنت أظلم من قبل ظهور الإسلام، لقد كان أخي عقيل يضرب أخي جعفر فيضربني.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٣/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٣/٢٠.

وتظلمه عليه السلام ممن تقدم عليه لا يسعه باب واحد، وسيأتي من ذلك في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

الباب
السابع عشر
في قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي

ابن أبي الحديد في أحاديث صفين قال: قال نصر: وحدثنا عمرو بن سعيد، وعمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قام علي عليه السلام فخطب بصفين فقال: الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البر والفاجر، وعلى حججه البالغة على خلقه من أطاعهم منه ومن عصاه، إن يرحم بفضله ومنّه، وإن يعذب فمما كسبت أيديهم، وإن الله ليس بظلام للعبيد.[1]

أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وأستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

ثم إني أشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ارتضاه لذلك وكان أهله، اصطفاه لتبليغ رسالته، وجعله رحمة منه على خلقه، فكان كعلمه فيه رؤوفاً رحيماً، أكرم خلق الله حسباً، وأجمله منظراً، وأسخاه نفساً، وأبره بوالد، وأوصله لرحم، وأفضله علماً، وأثقله حلماً، وأوفاه بعهد، وآمنه على عقد، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط، بل كان يُظلم فيغفر، ويقدر فيصفح، حتى مضى صلى الله عليه وآله

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٧/٥.

مطيعاً صابراً على ما أصابه، مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وآله، فكان ذهابه أعظم المصيبة على جميع أهل الأرض البر والفاجر، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله، وينهاكم عن معصيته، وقد عهد اليّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً فلست أحيد عنه، وقد حضرتم عدوكم، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار، وابن عم نبيكم معكم بين أظهركم يدعوكم إلى الجنة، وإلى طاعة ربكم، والعمل بسنة نبيكم، ولا سواء من صلى قبل كل ذكر، لم يسبقني بصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا من أهل بدر، ومعاوية طليق، والله إنا على الحق، وإنهم على الباطل، فلا يجتمعن على باطل، وتتفرقوا عن حقكم حتى يغلب باطلهم حقكم، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، فإن لم تفعلوا فليعذبهم الله بأيدي غيركم.

فقام أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين انهض بنا إلى عدونا وعدوك إذا شئت، فوالله ما نريد بك بدلاً، بل نموت معك ونحيا معك.

فقال لهم: والذي نفسي بيده لنظر اليّ النبي صلى الله عليه وآله أضرب قدامه بسيفي هذا فقال: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي، وقال: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي، وموتك وحياتك يا علي معي، والله ما كذبت ولا ضللت، ولا ضل بي، وما نسيت ما عهد اليّ، وإني على بينة من ربي وعلى الطريق الواضح ألفظه لفظاً.

ثم نهضوا إلى القوم فأقتتلوا حين طلعت الشمس الأحمر وما كانت صلاة القوم في جميع ذلك اليوم إلا تكبيراً.[١]

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: اخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع.[٢]

وقال له أيضاً: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي.

وأبان نفسه عنه بالنبوة، وأثبت له ماعداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما.[٣]

وقال: **ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان: لقد علمتم أني أحق بها من غيري، والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيها، فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه.**[٤]

قال ابن أبي الحديد في الشرح: يقول لأهل الشورى إنكم تعلمون أني أحق بالخلافة من غيري، وتدعون غيري، ثم أقسم ليسلمن وليتركن المخالفة لكم إذا كان في تسليمه ونزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين، ولم يكن الجور والحيف إلاّ عليه خاصة، وهذا كلام مثلّه علي عليه السلام لأنه إذا علم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٧/٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١٠.

[٤] - نهج البلاغة ١٢٤/١، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٦/٦.

أو غلب على ظنه إن نازع أو حارب دخل على الإسلام وهن وثلم لم يجز له المنازعة، وإن كان يطلب بالمنازعة ما هو أحق به، فإن علم أو غلب ظنه أنه بالإمساك عن طلب حقه إنما يدخل الثلم والوهن خاصة، ويسلم الإسلام من الفتنة.[١]

فإن قلت: فهلا سلم إلى معاوية وإلى أصحاب الجمل وأغضى عن اغتصاب حقه حفظاً للإسلام من الفتنة؟[٢]

قلت: إن الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل ومن معاوية وأهل الشام لم يكن مقصوراً عليه خاصة، بل كان يعم الإسلام والمسلمين جميعاً، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرئاسة الأمة، وتحمل اعباء الخلافة، فلم يكن الشرط الذي اشترط متحققاً وهو قوله: ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصة.[٣]

وهذا الكلام يدل على أنه عليه السلام لم يكن يذهب إلى خلافة عثمان كانت تتضمن جوراً على المسلمين والإسلام، وإنما كانت تتضمن جوراً عليه خاصة، وإنما وقعت على جهة مخالفة الأولى على جهة الفساد الكلي والبطلان الأصلي، وهذا محض مذهب أصحابنا، ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مباشرته أصحاب الشورى وتعديده فضائله

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٦/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٧/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٧/٦.

وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم، قد روى الناس ذلك فأكثروا، والذي صح عندي أنه لم يكن الأمر كما روى من تلك التعديدات الطويلة، ولكنه قال لهم بعد أن بايع عبد الرحمن والحاضرون عثمان، وتلكأ هو عليه السلام عن البيعة إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السُرى.[1]

وفي كلام قد ذكره أهل السير، وقد أوردنا بعضه فيما تقدم، ثم قال لهم: انشدكم الله أفيكم أحد آخا رسول الله بينه وبين نفسه، حين آخا بين بعض المسلمين وبعض، غيري؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله: من كنت مولاه فهذا مولاه غيري؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم من قال له رسول الله أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي غيري؟ قالوا: لا، قال: أفيكم من اؤتمن على سورة براءة؟ وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله إنه لا يؤدي عني إلاّ أنا أو رجل مني غيري؟ قالوا: لا، قال: ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله فروا عنه في ناقط الحرب في غير موطن وما فررت قط؟ قالوا: بلى، قال: ألا تعلمون أني أول الناس اسلاماً؟ قالوا: بلى، قال: فأينا أقرب إلى رسول الله؟ قالوا: أنت.

فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه وقال: يا علي قد أبى الناس إلاّ عثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً.

قال: يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر؟

---

[1] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/٦.

قال: أن اقتل من شق عصا الجماعة.

قال عبد الرحمن لعلي: بايع إذاً وإلاّ كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين، وأنفذنا فيك ما أمرنا به.

فقال: لقد علمتم أني أحق بها من غيري، والله لأسلمن الفضل، إلى آخره، ثم مد يده فبايع.[1]

قال: ومن كلام له لما بلغه اتهام بني أميه له بالمشاركة في دم عثمان: أو لم ينه بني أمية علمها بي عن قرفي، أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي، ولما وعظهم الله تعالى به أبلغ من لساني، أنا حجيج المارقين، وخصيم المرتابين، على كتاب الله تعرض الأمثال، وبما في الصدور يجازي العباد.[2]

قال ابن أبي الحديد في الشرح: القرف العيب، ووزعه كفه، يقول عليه السلام أما كان في علم بني أمية بحالي ما ينهاها عن قذفي وقرفي بدم عثمان، وحاله الذي أشار إليها، وذكر أن علمهم بها يقتضي أن لا يعرفوه بذلك، هي منزلته في الدين التي لا منزلة أعلى منها، وما نطق به الكتاب الصادق عن طهارته وطهارة بنية وزوجته في قوله: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾،[3] وقول النبي صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/٦.

[2] - نهج البلاغة ١٢٥/١.

[3] - الاحزاب/٣٣.

من موسى، وذلك يقتضي عصمته عن الدم الحرام، كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك، وترادف الأقوال والأفعال من رسول الله ﷺ في أمره التي يضطر الحاضرون لها والمشاهدون إياها إلى أن مثله لا يجوز أن يسعى في إراقة دم مسلم، يحدث حدثاً يستوجب به احلال دمه.[١]

وقال: ومن خطبة له عليه السلام: فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، ومنه ما يكون عواري في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم، فإذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه حتى يحضره الموت، فعند ذلك يقع حد البراءة، والهجرة قائمة على حدها الأول ما كان لله تعالى في الأرض حاجة من مستسر الأمة ومعلنها، لا يقع على اسم الهجرة على أحد إلاّ بمعرفة الحجة في الأرض، فمن عرفها وأقر بها فهو مهاجر، ولا يقع اسم الإستضعاف على من بلغته الحجة، فسمعتها أذنه، ووعاها قلبه، إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلاّ عبد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلاّ صدور أمينة، وأحلام رزينة.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٦.

أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، وأنا بطرق السماء أعلم بها من طرق الأرض، قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها، وتذهب بأحلام قومها.[1]

وقال **ابن أبي الحديد**: هذا الفصل يحمل على عدة مباحث أولها قوله عليه السلام: فمن الإيمان ما يكون كذا، فقوله إنه قسم الإيمان إلى ثلاثة أقسام أحدها الإيمان الحقيقي، وهو الثابت المستقر في القلوب بالبرهان اليقيني، والثاني ما ليس ثابتاً بالبرهان اليقيني، بل بالدليل الجدلي كإيمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية، ويعتقد ما يعتقده عن أقيسة جدلية لا تبلغ إلى درجة البرهان، وقد سمى عليه السلام هذا القسم بإسم مفرد، فقال: إنه عواري في القلوب، والعواري جمع عارية، وإن كان في القلب وفي محل الإيمان الحقيقي إلاّ أن حكمه حكم العارية في البيت، فإنها بعرضية الخروج منه، لأنها ليست أصلية كاينة في بيت صاحبها، والثالث ما ليس مستنداً إلى برهان ولا إلى قياس جدلي، بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالأسلاف، وبمن يحسن ظن الإنسان فيه من عابد أو زاهد أو ذي ورع، وقد جعله عليه السلام عواري بين القلوب والصدور، لأنه دون الثاني، فلم يجعله حالاً في القلب، وجعله مع كونه عارية حالاً بين القلب والصدر ليكون مما قبله.

فإن قلت: فما معنى قوله إلى أجل معلوم؟

---

[1] - نهج البلاغة ١٢٨/٢.

قلت: إنه يرجع إلى القسمين الآخرين، لأن من لا يكون إيمانه ثابتاً بالبرهان القطعي، قد ينتقل إيمانه إلى أن يصير قطعياً، بأن ينعم النظر، ويرتب البرهان ترتيباً مخصوصاً، فينتج له النتيجة اليقينية، وقد يصير إيمان المقلد إيماناً جدلياً فيرتقي إلى ما فوقه، وقد يصير إيمان الجدلي إيماناً بأن يضعف في نظره ذلك القياس الجدلي، ولا يكون عالماً بالبرهان، فيحول حال إيمانه إلى أن يصير تقليدياً، فهذا هو فائدة قوله إلى أجل معلوم في هذين القسمين.[1]

فأما صاحب القسم الأول فلا يمكن أن يكون ايمانه إلى أجل، لأن من ظفر بالبرهان استحال أن ينتقل من اعتقاده لا صاعداً ولا هابطاً، أما لا صاعداً فلأنه ليس فوق البرهان مقام آخر.[2]

وأما لا هابطاً فلأن مادة البرهان هي المقدمات البديهية، والمقدمات البديهية تستحيل أن تضعف عند الإنسان حتى يصير إيمانه جدلياً و تقليدياً.

وثانيها: قوله عليه السلام: فإذا كانت براءة منقول أنه عليه السلام نهى عن البراءة من أحد ما دام حياً، لأنه وإن كان مخطئاً في اعتقاده لكن يجوز أن يعتقد الحق فيما بعد، وإن كان مخطئاً في أفعاله لكن يجوز أن يتوب، فلا يحل البراءة من أحد حتى يموت على أمر، ثم إذا مات على اعتقاد قبيح أو فعل قبيح جازت البراءة منه، لأنه لم يبق له بعد الموت حالة تنتظر، وينبغي أن تحمل هذه البراءة التي أشار إليها عليه السلام على البراءة المطلقة لا على كل براءة،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠١/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٢/١٣.

لأنا يجوز لنا أن نبرأ من الفاسق، وهو حي، ومن الكافر وهو حي، لكن بشرط كونه فاسقاً، وبشرط كونه كافراً.[١]

فأما من مات ونعلم ما مات عليه، فإنا نبرأ منه براءة مطلقة غير مشروطة.[٢]

أقول: الفاسق المعتقد للحق إذا مات وهو يعتقد الحق لا يجوز البراءة منه مطلقاً حياً وميتاً، وما ذكره في الفاسق مناسب لمذهب المعتزلة.

قال ابن أبي الحديد: وثالثها: قوله: والهجرة قائمة على حدها الأول.

فنقول: هذا كلام يختص به أمير المؤمنين عليه السلام وهو من أسرار الوصية، لأن الناس يروون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا هجرة بعد الفتح، فشفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثنيه فأستثناه، وهذه الهجرة التي يشير أمير المؤمنين عليه السلام إليها ليست تلك الهجرة، بل هي الهجرة إلى الإمام.[٣]

قال: إنها قائمة على حدها الأول ما دام التكليف باقياً، وهو معنى قوله ما كان لله تعالى في هذه الأرض حاجة.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٠٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٠٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٠٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٠٣.

وقال الراوندي: ما هنا نافية، أي لم يكن لله في أهل الأرض حاجة، وهذا ليس بصحيح، لأنه ادخال كلام منقطع في كلامين يتصل أحدهما بالآخر، ثم ذكر أنه لا يصح أن يعد الإنسان من المهاجرين إلاّ بمعرفة إمام زمانه، وهو معنى قوله إلاّ بمعرفة الحجة في الأرض، قال: فمن عرف وأقر به فهو مهاجر.[١]

قال: ولا يجوز أن يسمى من عرف الإمام مستضعفاً، يمكن أن يشير به إلى آيتين في القرآن، إحداهما: قوله تعالى: ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم**﴾،[٢] فالمراد على هذا أنه ليس من عرف الإمام وبلغه خبره بمستضعف كما كان هؤلاء مستضعفين، وإن كان في بلده وأهله لم يخرج ولم يتجشم مشقة السفر إلى الإمام.[٣]

وثانيها: قوله تعالى في الآية المذكورة: ﴿**إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فاؤلئك عسى الله ان يعفو عنهم**﴾،[٤] فالمراد على هذا أنه ليس من عرف الإمام وبلغه

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٣/١٣.

[٢] - النساء/٩٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٤/١٣.

[٤] - النساء/ ٩٨ — ٩٩.

خبره بمستضعف كهؤلاء الذين استثناهم الله تعالى من الظالمين، لأن أولئك كا نت الهجرة بالبدن مفروضة عليهم، وعفى عن ذوي العجز عن الحركة منهم، وشيعة الإمام ليست الهجرة بالبدن إليه مفروضة عليهم، بل تكفي معرفتهم وإقرارهم بإمامته، فلا يقع إسم الإستضعاف عليهم.[١]

فإن قلت: فما معنى قوله: مستسر الأمة ومعلنها، وبماذا يتعلق حرف الجر؟

قلت: معناه ما دام لله في أهل الأرض المستسر منهم بإعتقاده والمعلن حاجة، فمن على هذا زائدة، ولو حذفت لجر المستسر بدلاً من أهل الأرض، ومن إذا كانت زائدة لا تتعلق نحو قولك: ما جاءني من أحد.[٢]

أقول: أراد عليه السلام بقوله مستسر الأمة ومعلنها، إشارة منه عليه السلام إلى الإمام المستسر، والإمام الظاهر الذي قاله عليه السلام: اللهم لا تخلوا الأرض من حجة إما ظاهر مشهور أو مستتر مغمور، وإضافته الى الأمة لأنه إمامها ومرجعها في الأحكام الشرعية والسياسية في الرعية، المنصوص عليه من رب العالمين على لسان نبيه صلى الله عليه وآله المعصوم في إعتقاده وأفعاله وأقواله، وهو الذي يجب معرفته كما تجب معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله، لأنه فسر المهاجر بمعرفة الإمام، وهو كما قال.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٤/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٤/١٣.

وقوله عليه السلام: ما كان لله تعالى في أهل الأرض حاجة، جملة اعتراضية فانه عليه السلام قال: والهجرة قائمة على حدها الأول من مستسر الأمة ومعلنها، ما كان لله تعالى في أهل الأرض حاجة.

وقول ابن أبي الحديد من زائدة محل نظر، لأنها لا تزاد في الموجب، لأن عنده ما ليست نافية، ورد على الراوندي قال إنها نافية.

وهذا الذي ذكرناه مطابق لمذهب الإمامية، وروايات أهل البيت عليهم السلام البالغة حد التواتر، بل صار معلوماً عندهم من الدين ضرورة أن الأرض لا تخلو من حجة نبي أو إمام، والدليل العقلي شاهد بذلك، والإمام إما ظاهر أو مستتر، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله من طريق الخاصة والعامة: من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية.

وهذا صريح في أن الأرض لا تخلو من إمام يجب معرفته، ومن لم يعرف إمامه مات ميتة كفر ونفاق.

وقال ابن أبي الحديد: ورابعها: قوله إن أمرنا صعب مستصعب، ويروى مستصعِب -بكسر العين- لا يحتمله إلاّ عبد امتحن الله قلبه للإيمان.

هذه من الفاظ القرآن العزيز وقال الله: **﴿اولئك الذين امتحن قلوبهم للتقوى﴾**،[1] وهو من قولك امتحن فلان الأمر كذا، وجرب ودرب للنهوض به، فهو متظلع به غير وانٍ عنه، والمعنى أنهم صبّر على التقوى، أقوياء على احتمال مشاقها، ويجوز أن يكون وضع الإمتحان موضع المعرفة لأن تحققك

[1] - الحجرات/٣.

الشيء إنما يكون بإختباره كما يوضع الخبر موضع المعرفة، فإنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى، فيتعلق اللام المحذوف، أي كاينة وهي التي في قولك أنت لهذا الأمر، أي مختص به، كقوله: مصراع أعداء من لليعملات على الرجاء، ويكون مع معمولها منصوبة على الحال، ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى، أي لتثبت، فتظهر تقواها، ويعلم أنهم متقون، لأن حقيقة التقوى لا تعلم إلاّ عند المحن والشدائد، والاصطبار عليها، ويجوز أن يكون المعنى أنه أخلص قلوبهم للتقوى، من قولهم امتحن الذهب إذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه، وهذه الكلمة قد قالها عليه السلام مراراً، ووقفت له عليه السلام في بعض الكتب على خطبة من جملتها: إن قريشاً طلبت السعادة فشقيت، وطلبت النجاة فهلكت، وطلبت الهدى فضلت، ألم يسمعوا ويحهم قوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم**﴾،[١] فأين المعدل والمنزع عن ذرية الرسول، الذين شدّ الله بنيانهم، وأعلا رؤوسهم فوق رؤوسهم، واختارهم عليهم، ألا إن الذرية افنان أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقها، وإني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنا ظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحاً عالية الأجساد نامية، إن أمرنا صعب لا يعرف كنهه إلاّ ثلاثة، ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه

---

[١] - فاطر/٢١.

للإيمان، فإذا انكشف لكم سراً أو وضح لكم أمر فأقبلوه، وإلاّ فأسكتوا تسلموا، أو ردوا علمه إلى الله، فإنكم في أوسع ما بين السماء والأرض.[١]

وخامسها: قوله سلوني قبل أن تفقدوني.

أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة، ولا أحد من العلماء سلوني غير علي بن أبي طالب عليه السلام، وذكر ذلك ابن عبد البر المحدث في كتاب الاستيعاب،[٢] والمراد بقوله: فلأنا أعلم بطرق السماء مما أختص به من العلم بمستقبل الأمور، ولا سيما في الملاحم والدول، وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الأخبار بالغيوب المتكررة لا مرة ولا مائة مرة حتى زال الشك والريب في أنه إخبار عن علم، وأنه ليس على طريق الإتفاق، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب، قد تأوله قوم على وجه آخر، قالوا أراد أنا بالأحكام الشرعية والفتاوي الفقهية أعلم مني بالأمور الدنيوية، فعبر عن ذلك بطرق السماء، لأنها أحكام إلهية، وعبر عن هذه بطرق الأرض، لأنها من الأمور الأرضية، والأول أظهر، إن فحوى الكلام وأوله يدل على أنه المراد.[٣]

وعلى ذكر قوله عليه السلام: سلوني، حدثني من أثق به من أهل العلم حديثاً أنه كان فيه بعض الكلمات العامية إلاّ أنه يتضمن ظرفاً ولطفاً، ويتضمن أيضاً

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٥/١٣.

[٢] - الاستيعاب ٣٤٠/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٦/١٣.

أدباً، قال: كان ببغداد في صدر أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بالله واعظ مشهور بالحدق، ومعرفة الحديث والرجال، وكان يجتمع إليه وتحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد ومن فضلائها أيضاً، وكان مستهزئاً بذم أهل الكلام وخصوصاً المعتزلة، وأهل النظر على قاعدة الحشوية ومبغضي أرباب العلوم العقلية، وكان أيضاً منحرفاً عن الشيعة يرضي العامة بالميل عليهم، فأتفق قوم من رؤساء الشيعة أن عليه من يبكته ويسأله تحت منبره ويخجله، ويقطعه بين الناس في المجلس، وهذه عادة الوعاظ يقوم إليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها، وسألوا عمن ينتدب لهذا، فأشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبد العزيز الكزي، كان له لسان ويشتغل بشيء يسير من كلام المعتزلة، وتشيع، وعنده قحة، وقد شدّ طرفاً من الأدب، وقد رأيت أنا هذا الشخص في آخر عمره، وهو يومئذ شيخ، والناس يختلفون إليه في تعبير الرؤيا، فأحضروه وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك فأجابهم، وجلس ذلك الواعظ في اليوم الذي جرت عادته بالجلوس فيه، وأجتمع الناس عنده على طبقاتهم حتى امتلأت الدنيا بهم، وتكلم على عادته، فأطال، فلما مر في ذكر صفات الباري سبحانه في أثناء الوعظ قام إليه الكزي فسأله اسؤلة عقلية على منهاج كلام المتكلمين من المعتزلة، فلم يكن للواعظ عنها جواب نظري، وإنما دفعه بالخطابة والجدل، وسجع الألفاظ، وتردد الكلام بينهما طويلاً، وقال الواعظ في آخر الكلام أعين المعتزلة حوّل، وأصواتي في مسمعهم طبول، وفي كلامي في أفئدتهم أصول، يا من بالإعتزال يصول

يحول، ويحك كم تحول وتجول، حول من لا تدركه العقول، كم أقول، كم أقول، خلو هذا الفضول، فأرتج المجلس، وصرخ الناس، وعلت الأصوات، وطاب الواعظ وطرب، وخرج من هذا الفصل إلى غيره فشطح شطح الصوفية، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، وكررها، فقام إليه الكزي فقال: ياسيدي ما سمعنا أنه قال هذه الكلمة إلاّ علي بن أبي طالب، وتمام الخبر معلوم، وأراد الكزي بتمام الخبر قوله عليه السلام لا يقولها بعدي إلاّ مدع، فقال الواعظ وهو في نشوة طربه وأراد إظهار فضله ومعرفة رجال الحديث والرواة، من علي بن أبي طالب؟ أهو علي بن أبي طالب بن المبارك النيسابوري؟ أم علي بن أبي طالب بن إسحاق المروزي؟ أم علي بن أبي طالب بن عثمان القيرواني، أم علي بن أبي طالب بن سليمان الرازي، وعد سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث كلهم علي بن أبي طالب، فقام الكزي وقام من يمين المجلس آخر، ومن يسار المجلس آخر ثالث، انتدبوا له وبذلوا أنفسهم للحمية، ووطنوها على القتل، فقال الكزي: اشا ياسيدي فلان الذي اشا صاحب هذا القول علي بن أبي طالب زوج فاطمة سيدة نساء العالمين، وإن كنت ما عرفته بعد بعينه فهو الشخص الذي لما آخى رسول الله من الأتباع والأذناب آخى بينه وبين نفسه، واسجل على أنه نظيره ومماثله، فهل نقل في جهازكم أنتم من هذا شيء، أو نبت تحت حبكم من هذا شيء، فأراد الواعظ أن يكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن، وقال ياسيدي فلان الذي هو محمد بن عبدالله كثير في الأسماء، ولكن ليس فيهم من قال له رب العزة ﴿**ما ضل صاحبكم وما غوى**

وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى﴾،[1] وكذلك علي بن أبي طالب كثير في الأسماء ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي.

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن ميزوا في الخلائق فألتفت الواعظ ليكلمه فصاح القائم من الجانب الأيسر وقال: ياسيدي فلان الذي حقك حقك يجهله، أنت معذور في كونك لا تعرفه:

وإذا خفيت على الغني فعاذر أن لا تـراني مقلة عمياء

فأضطرب المجلس وماج كما يموج البحر، وافتتن الناس، وتواثبت العامة بعضها إلى بعض، وتكشفت الرؤوس، ومزقت الثياب، ونزل الواعظ واحتمل حتى ادخل دار اغلقت عليه بابها، وحضر أعوان السلطان فسكنوا الفتنة، وصرفوا الناس إلى منازلهم واشغالهم، وأنفد الناصر لدين الله رحمه الله في آخر نهار ذلك اليوم فأخذ أحمد بن عبد العزيز الكزي والرجلين الذين قاما معه فحبسهم أياماً ليطفيء نائرة الفتنة، ثم أطلقهما.[2]

قال: وأعلم أن امير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي أتاه الله إياها وأختصه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق ﴿صلوات الله عليه وآله﴾ في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامة الشايعة التي تحتج

---

[1] - النجم/٢ – ٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/١٣.

بها الإمامية على إمامته كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة براءة، وخبر المناجاة، وقصة خيبر، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك، بل الأخبار الخاصة التي رواها أئمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره، وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه، وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضائله توجب سكون النفس، ما توجبه رواية غيرهم.[1]

ثم ذكر أربعة وعشرين حديثاً منها ما تضمن أن رسول الله ﷺ نص على أمير المؤمنين أنه الإمام والخليفة بعده ﷺ، والأحاديث إن شاء الله تعالى تأتي في آخر هذا الكتاب، وتقدم منها شيء في أبواب الكتاب.

وقال: ومنها – أي من خطبته – وقال قائل: إنك يا ابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص، قلت: بل أنتم والله أحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وإنما هو حقاً لي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فلما قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين بهت لا يجيبني به، اللهم إني استعديك على قريش، ومن أعانهم، فانهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، أمراً هو لي، ثم قالوا ألا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تتركه.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٦/٩.

[2] - نهج البلاغة ٢٠٢/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠٥/٩.

قال في الشرح: هذا من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر ﴿رضي الله عنه﴾ والذي قال له إنك على هذا الأمر لحريص سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه أنت بمنزلة هارون من موسى، وهذا عجب.

فقال: هلم بل أنتم والله أحرص وأبعد، الكلام المذكور، وقد رواه الناس كافة.

وقالت الإمامية: هذا الكلام يوم السقيفة ،والذي قال له إنك على هذا الأمر لحريص أبو عبيدة بن الجراح، والرواية الأولى أظهر وأشهر.[1]

وقال: ومن كتاب له عليه السلام أيضاً الى معاوية: أما بعد: فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بإدعائك الأباطيل، وإقحامك غرور المين والأكاذيب، وبإنتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك ما قد اختزن دونك، فراراً من الحق، وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، بما قد وعاه سمعك، ومليء به صدرك، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال، وبعد البيان إلاّ اللبس، فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها، إلى آخر ما ذكر.[2]

قال في الشرح: قال عليه السلام: ما قد علا عنك، أي أنت دون الخلافة، ولست من أهلها، والإبتزاز الاستلاب، قال ما قد اخترن دونك، يعني التسمي بإمرة المؤمنين. ثم قال: فراراً من الحق، أي فعلت ذلك كله هرباً من التمسك

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٥/٩.

[2] - نهج البلاغة ١٢٤/٣.

بالحق والدين، وحباً للكفر والشقاق والتغلب، وجحوداً لما هو الزم، يعني فرض طاعة علي عليه السلام، لأنه قد وعاها سمعه، لا ريب في ذلك إما بالنص في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كما يذكره الشيعة، فقد كان معاوية حاضراً يوم الغدير، لأنه حج معهم حجة الوداع، وقد كان أيضاً حاضراً يوم تبوك حين قال بمحضر من الناس كافة: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وقد سمع غير ذلك.[1]

وأما بالبيعة كما نذكره نحن، فإنه قد أتصل به خبرها، وتواتر عنده وقوعها، فصار وقوعها عنده معلوماً بالضرورة كعلمه بأن في الدنيا بلدة اسمها مصر، وإن كان ما رآها.

والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنه يريد المعنى الأول، ونحن نخرجه على وجه لا يلزم منه ما يقول الشيعة.

فنقول: لنفرض أن النبي صلى الله عليه وآله ما نص عليه بالخلافة بعده، أليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة أنه قال له في ألف مقام: أنا حرب لمن حاربت، وسلم لمن سالمت. ونحو ذلك من قوله: اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، وقوله: حربك حربي، وسلمك سلمي، وقوله: أنت معي، وقوله: أنت مع الحق، والحق معك، وقوله: هذا مني، وأنا منه، وقوله: هذا أخي، وقوله: يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وقوله: اللهم اتني بأحب الخلق إليك، وقوله: إنه ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي، وقوله في كلام قاله: وهو خاصف

[1]- شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١٨.

النعل، وقوله: لا يحبه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق، وقوله: إن الجنة لمشتاقة إلى أربعة، وجعله أولهم، وقوله لعمار: تقتلك الفئة الباغية، وقوله: ستقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين بعدي.

إلى غير ذلك مما يطول تعداده جداً، ويحتاج الى كتاب مفرد.[١]

وقال: وذكر أبو أحمد العسكري في كتاب الأمالي أن سعد بن أبي وقاص دخل على معاوية عام الجماعة فلم يسلم عليه بإمرة المؤمنين، فقال له معاوية: لو شئت أن تقول في سلامك غير هذا لقلت.

فقال سعد: نحن المؤمنون ولم نؤمرك، كأنك قد بهجت بما أنت فيه يا معاوية، والله ما يسرني ما أنت فيه، وإني هرقت محجمة دم.

قال: لكني وابن عمك علياً يا أبا إسحاق قد هرقنا أكثر من محجمة ومحجمتين، هلم وأجلس معي على السرير، فجلس معه، فذكر له معاوية اعتزاله الحرب يعاتبه.

فقال سعد: إنما كان مثلي ومثل الناس كيوم أصابتهم ظلمة، فقال واحد منهم لبعيره انخ فأناخ حتى أضاء له الطريق.

فقال معاوية: والله يا أبا إسحاق ما في كتاب الله انخ، وإنما فيه ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على**

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١٨.

الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى امر الله﴾،[1] فوالله ما قاتلت الباغية، ولا المبغي عليها، فأفحمه.[2]

وزاد ابن ديزيل في هذا الخبر زيادة ذكرها في كتاب صفين، قال: فقال سعد ابن أبي وقاص: أتأمرني أن أقاتل رجلاً قال له رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي، فقال معاوية: من سمع هذا معك؟

قال: فلان وفلان وأم سلمة.

فقال معاوية: لو كنت سمعت هذا لما قاتلته.[3]

قال: قال: حدثني جعفر بن مكي رَحِمَهُ اللهُ قال: سألت محمد بن سليمان ابن سلمس حاجب الحجاب رَحِمَهُ اللهُ، وقد رأيت أنا محمد هذا، وكانت لي به معرفة غير مستحكمة، كان طرفاً أديباً، وقد اشتغل في الرياضات من الفلسفة، ولم يكن يتعصب لمذهب بعينه، قال جعفر: سألته عما عنده في أمر عثمان وعلي؟

فقال: هذه عداوة قديمة النسب بين بني عبد شمس وبين بني هاشم، وقد كان حرب بن أمية نافر عبد المطلب ابن هاشم، وكان أبو سفيان يحسد محمداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وحاربه، ولم يزل البيتان متباغضين، وساق حديثاً طويلاً إلى أن

---

[1] - الحجرات/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٤/٢.

قال ما قاله رسول الله ﷺ في علي عليه السلام مثل حديث خاصف النعل، ومنزلة هارون من موسى، ومن كنت مولاه، وهذا يعسوب الدين، ولا فتى إلاّ علي، وأحب خلقك إليك، وما جرى هذا المجرى.[1]

قال: قال: وروى علي بن محمد الهمداني، قال: لما كان زمن علي ﴿رضي الله عنه﴾ ولي زياد فارس فضبطها ضبطاً صالحاً، وجبي خراجها وحماها، وعرف ذلك معاوية فكتب إليه:

أما بعد فإنما غرتك قلاع تأوي إليها ليلاً كما يأوي الظبي إلى وكرها، وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به، لكان لك مني ما قاله العبد الصالح: **﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون﴾**، وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تنسى أبــاك وقــد شالت نعامته

إذ يخطب الناس والوالي لهم عمر

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس وقال: العجب من ابن آكلة الأكباد، ورأس النفاق، يتهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب الولاء، والمنزلة، والإخاء في ماية الف من المهاجرين والأنصار، والتابيعن لهم بإحسان.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤/٩.

أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين لوجدني بها أحمز مختالاً، ضراباً بالسيف.[١]

ثم كتب إلى علي ﴿رضي الله عنه﴾، وبعث بكتاب معاوية في كتابه، فكتب إليه علي ﴿رضي الله عنه﴾:

أما بعد فإني وليتك ما وليتك وأنا أراك لذلك أهلاً، وأنه قد كانت من أبي سفيان فلتة أيام عمر من أماني البثة، وكذب النفس لم يستوجب بها ميراثاً، ولم يستحق بها نسباً، وإن معاوية كالشيطان الرجيم، يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، فاحذره ثم احذره، والسلام.[٢]

وقال: ويدل على أنه وزير رسول الله ﷺ من نص الكتاب والسنة، قول الله تعالى: ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به ازري واشركه في امري**﴾.[٣]

وقال النبي ﷺ في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الإسلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي.

فأثبت له جميع مراتب هارون ومنازله من موسى، فإذن هو وزير رسول الله ﷺ وشاد ازره، ولولا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨١/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨٢/١٦.

[٣] - طه/ ٢٩ — ٣١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١١/١٣.

الباب
الثامن عشر
في نص رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم بالإمامة والخلافة والولاية على علي عليه السلام وأنه أولى الناس بالناس

ابن أبي الحديد قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا يحيى بن سليمان، قال: حدثنا ابن فضيل، قال: حدثنا الحسن بن الحكم النخعي، عن رباح بن الحرث النخعي قال: كنت جالساً عند علي بن أبي طالب عليه السلام إذ قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال لهم: أولستم قوماً عرباً؟ قالوا: بلى ولكنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.[1]

قال: فلقد رأيت علياً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجده، ثم قال: اشهدوا أن القوم مضوا إلى رحالهم، فتبعتهم فقلت لرجل منهم من القوم؟ قالوا: نحن رهط من الأنصار، وذاك يعنون رجلاً منهم أبو ايوب صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠٨/٣.

قال: فأتيته فصافحته.[1]

قال: وروى عثمان بي سعيد، عن شريك ابن عبدالله قال: لما بلغ علياً عليه السلام أن الناس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النبي صلى الله عليه وآله له وتفضيله على الناس. قال: انشد الله من بقي من لقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسمع مقالته في يوم غدير خم إلاّ قام فشهد بما سمع، فقام ستة ممن عن يمينه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وستة ممن عن شماله من الصحابة أيضاً، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك اليوم، وهو رافع بيد علي عليه السلام من كنت مولاه، فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، واحب من احبه، وابغض من ابغضه.[2]

وقال سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن عمر بن عبدالغفار: أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية، وكان يجلس بالعشيات بباب كنده، ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة انشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه؟ قال: اللهم نعم، قال: فاشهد بالله لقد واليت عدوه، وعاديت وليه، ثم قام عنه.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٨/٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٨/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٨/٤.

قال: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام، قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه، وأعان اعداءه ميلاً مع الدنيا، وايثاراً للعاجلة، فمنهم انس بن مالك، ناشد علي عليه السلام في رحبة القصر أو قال في رحبة الجامع بالكوفة أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه، فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها، وانس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا انس ما يمنعك أن تقوم فتشهد، فلقد حضرتها؟

فقال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت.

فقال: اللهم إن كان كاذباً فأرمه لها بيضاء لا تواريها العمامة.

قال طلحة بن عمر: فوالله لقد رايت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه.[1]

وروى عثمان بن مطرف أن رجلاً سال انس بن مالك في آخر عمره عن علي بن أبي طالب فقال: إني آليت أن لا أكتم حديثاً سألت عنه في علي بعد يوم الرحبة، ذاك رأس المتقين يوم القيامة، سمعته والله من نبيكم.[2]

وقال ابن نوح: واعجباه من قوم يعني من أصحاب صفين يعتريهم الشك في أمرهم في انكار عمار، ولا يعتريهم الشك لمكان علي عليه السلام يستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم، ولا يعبأون

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٤/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٤/٤.

بمكان علي، ويحذرون من قول النبي صلى الله عليه وآله: تقتلك الفئة الباغية، ولا يرتاعون لذلك، ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام: اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، ولا لقوله: لايحبك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق.[1]

وقال: قال عمار بن ياسر في حديث له مع عمرو بن العاص في يوم صفين، قال له عمار: سأخبرك على ما اقاتلك عليه وأصحابك، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن اقاتل الناكثين، وقد فعلت، وأمرني أن اقاتل القاسطين، وأنتم هم، وأما المارقون فلا أدري أدركهم أم لا، أيها الأبتر ألست تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنا مولى الله ورسوله، وعلي مولاي بعدهما.[2]

وقال: وروى أبو اسرائيل، عن الحكم، عن أبي سليمان المؤذن أن علياً عليه السلام انشد الناس من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشهد له قوم، وامسك زيد بن أرقم فلم يشهد، وكان يعلمها، فدعا عليه عليه السلام بذهاب البصر فعمي، فكان يحدث بالحديث بعدما كف بصره.[3]

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: وأعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله التي أتاه الله تعالى إياها، وأختصه بها، وساعده فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧/٨.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/٨.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٤/٤.

﴿صلوات الله عليه وآله﴾ في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامة السابقة التي يحتج بها الإمامية على إمامته، كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة البراءة، وخبر المناجاة، وقصة خيبر، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك بل الأخبار الخاصة التي رواها أئمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره، وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً، مما رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون، وقائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتم فضائله يوجب سكون النفس ما لا توجبه رواية غيرهم.[1]

ثم ذكر ابن أبي الحديد أربعة وعشرين حديثاً من طرقهم، منها الأحاديث على أن علياً عليه السلام إمام وخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بنص رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكرناها في أبواب هذا الكتاب:

منها: الخبر الثالث عشر: قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد في سرية، وبعث علياً في سرية أخرى، وكلاهما إلى اليمن، وقال: إن اجتمعتما فعلي على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكما على جنده، فأجتمعا وأغارا وسبيا نساء، وأخذا أموالاً، وقتلا ناساً، واخذ علي عليه السلام جارية فأختصها لنفسه، فقال خالد لأربعة من المسلمين منهم بريدة الأسلمي: استبقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأذكروا له كذا، وأذكروا له كذا الأمور وعددها على علي عليه السلام، فسبقوا إليه فجاء أحد من جانبه فقال: إن علياً فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء الآخر من الجانب الآخر، فقال: إن علياً فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء بريدة

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٦/٩.

الأسلمي فقال: يا رسول الله إن علياً فعل كذا، وأخذ جارية لنفسه، فغضب ﷺ حتى أحمر وجهه وقال: ادعوا لي علياً يكررها، إن علياً مني، وأنا من علي، و إن حظه في الخمس أكثر مما أخذ، وهو ولي كل مؤمن من بعدي.[١]

رواه أبو عبدالله احمد في المسند غير مرة، ورواه في كتاب فضائل علي عليه السلام، ورواه اكثر المحدثين.

وقال: ومن كتاب لامير المؤمنين إلى معاوية: أما بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الامور، فلقد سلكت مدارج أسلافك بإدعائك الأباطيل، واقحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك ما قد اختزن دونك، فراراً من الحق، وجحوداً لما هو الزم لك من لحمك ودمك، بما قد وعاه سمعك، وملىء به صدرك، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال، وبعد البيان إلاّ اللبس.[٢]

قال في الشرح: قال عليه السلام: ما قد علا عنك، أي انت دون الخلافة، ولست من أهلها، والإبتزاز الاستلاب، قال: ما قد اخترن دونك، يعني التسمي بإمرة المؤمنين، ثم قال: فراراً من الحق، أي فعلت ذلك كله هرباً من التمسك بالحق والدين، وحباً للكفر والشقاق والتغلب، وجحوداً لما هو الزم، يعني فرض طاعة علي عليه السلام، لأنه قد وعاها سمعه لا ريب في ذلك، إما بالنص في أيام رسول الله ﷺ كما يذكره الشيعة، فقد كان معاوية حاضراً يوم الغدير،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٢] - نهج البلاغة ١٢٤/٣، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/١٨.

لأنه حج معهم حجة الوداع، وقد كان أيضاً حاضراً يوم تبوك حين قال بمحضر من الناس كافة: أنت مني بمنزلة هارون من موسى وقد سمع غير ذلك، وإما بالبيعة كما نذكره، نحن فإنه قد اتصل به خبرها، وتواتر عنده وقوعها، فصار وقوعها عنده معلوماً بالضرورة كعلمه بأن في الدنيا بلدة اسمها مصر، وإن كان ما رآها.

والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنه يريد المعنى الأول، ونحن نخرجه على وجه لا يلزم منه ما يقول الشيعة.

فنقول: لنفرض أن النبي صلى الله عليه وآله ما نص عليه بالخلافة بعده أليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة انه قال له في ألف مقام، أنا حرب لمن حاربت، وسلم لمن سالمت، ونحو ذلك من قوله: اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، وقوله: حربك حربي، وسلمك سلمي.

وقوله: انت معي، وقوله: أنت مع الحق، والحق معك، وقوله: هذا مني، وأنا منه، وقوله: هذا أخي، وقوله: يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وقوله: اللهم اتني بأحب الخلق اليك، وقوله: إنه ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي، وقوله: في كلام قاله: وهو خاصف النعل، وقوله: لا يحبه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق، وقوله: إن الجنة لمشتاقة إلى أربعة، وجعله أولهم، وقوله لعمار: تقتلك الفئة الباغية، وقوله: ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي.

إلى غير ذلك مما يطول تعداده جداً، ويحتاج الى كتاب مفرد.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/١٨.

وقال: قال عليه السلام لأنس بن مالك وقد بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكرهما شيئاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناها، فلوى عن ذلك فرجع اليه، فقال: إني انسيت ذلك الأمر، فقال علي عليه السلام: إن كنت كاذباً فضربك بها بيضاء لا تواريها العمامة، قال: يعني البرص، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرى إلاّ مبرقعاً.[1]

وقال في الشرح: إن علياً عليه السلام ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة، فقال: انشد الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي وهو منصرف من حجة الوداع: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، فقام رجال فشهدوا بذلك، فقال عليه السلام لأنس بن مالك: لقد حضرتها فما بالك؟ فقال: يا أمير المؤمنين كبرت سني، وصار ما انساه أكثر مما أذكره، فقال له: إن كنت كاذباً فضربك بها بيضاء، لا تواريها العمامة، فما بات حتى أصابه البرص.[2]

وقال: وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين علي عليه السلام على انس بن مالك في كتاب المغازي في باب البرص من أعيان الرجال ، وابن قتيبة غير متهم في حق علي عليه السلام على المشهور من انحرافه عنه.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٧/١٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٧/١٩.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٨/١٩.

وقال: وأمر علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عباس أن يحاج الخوارج بالسنة.

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: فما في السنة التى أمره أن يحاجهم بها؟

قلت: كان أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك غرض صحيح ، وإليه أشار ، وحوله كان يطوف ويحوم ، وذلك بأنه أراد أن يقول لهم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي مع الحق، والحق مع علي يدور معه حيثما دار، وقوله: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ونحو ذلك من الأخبار التى كانت الصحابة قد سمعتها من فلق فيه ﴿صلوات الله عليه وآله﴾، وقد بقى ممن سمعها جماعة تقوم الحجة وتثبت بنقلهم ، فلو أحتج بها على الخوارج في أنه لا يحل مخالفته والعدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين عليه السلام في محاجتهم، وأغراض أخرى أرفع وأعلى منهم، فلم يقع الأمر بموجب ما أراد، وقضى عليهم بالحرب حتى أكلتهم عن آخرهم، وكان أمر الله مفعولاً.[1]

أقول: كما ان هذه الأحاديث ومضمونها حجة لعلي عليه السلام على الخوارج، هي حجته على أبي بكر وعمر وعثمان السامعين لهذه النصوص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله الذين سمعوها وغيرهم من فلق فم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أظنه وهو من جملة غرضه عليه السلام الصحيح.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٢/١٨.

[لكن] ابن أبي الحديد فهم من قوله عليه السلام ذلك حيث قال: وأغراض أخرى أرفع وأعلى منهم، وهو من جملة غرضه عليه السلام الصحيح، لأن النصوص المذكورة فيها رد وحجة على جميع من تقدم عليه عليه السلام، وأخذ حقه المنصوص له من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا واضح بيّن بحمد الله تعالى.

وقال: وروى علي بن محمد المدائني، قال: لما كان زمن علي ولى ﴿رضي الله عنه﴾ ولى زياداً فارس فضبطها ضبطا صالحاً، وجبى خراجها وحماها، وعرف ذلك معاويه، فكتب إليه: أما بعد، فأغرتك قلاع تأوي إليها ليلاً، كما تأوى الطير إلى وكرها، وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك مني ما قاله العبد الصالح: ﴿**فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذله وهم صاغرون**﴾، وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تنسى أباك وقد شالت نعامته
إذ يخطب الناس والوالي لهم عمر

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس، وقال: العجب من ابن آكلة الأكباد، ورأس النفاق! يهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب اللواء، والمنزلة، والإخاء في مائة الف من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان!

أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إليّ لوجدوني بها أحمر مخشاً، ضرابا بالسيف، ثم كتب إلى علي ﴿رضي الله عنه﴾، وبعث بكتاب معاويه في كتابه.

فكتب إليه علي عليه السلام: أما بعد فإني قد وليتك ما وليتك وأنا أراك لذلك أهلاً، وإنه قد كانت من أبي سفيان فلتة في أيام عمر من أماني التيه، وكذب النفس، لم يستوجب بها ميراثاً، ولم يستحق بها نسباً، وإن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، فاحذره، ثم احذره، ثم احذره، والسلام.[1]

وقال: قال علي عليه السلام في خطبة: إني لأولى الناس بالناس.[2]

قال في الشرح: وأعلم أن هذا كلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل، وقد ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما.[3]

أقول: ذكره عليه السلام هذا الكلام بعد وقعة الجمل لا يدل على أنه مخصوص بأنه أولى من طلحة والزبير، إذ المراد بعموم اللفظ، لأنه إنما ذكره لأنه حجة على طلحة والزبير وغيرهما.

وقال: قال نصر: وقالت طائفة من أصحاب علي عليه السلام له: اكتب إلى معاوية و الى من قبله من قومك، فإن الحجة لا تزداد عليهم بذلك إلاّ عظماً.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨١/١٦.

[2] - نهج البلاغة ٢٣/١.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٤/٧.

فكتب إليهم: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية ومن قبله من قريش: سلام الله عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد: فإن لله عباداً آمنوا بالتنزيل، وعرفوا التأويل، وفقهوا في الدين، وبيّن الله فضلهم في القرآن الحكيم، وأنتم في ذلك الزمان أعداء الرسول، مكذبون بالكتاب، مجمعون على حرب المسلمين، من ثقفتم منهم حبستموه أو عذبتموه أو قتلتموه، حتى أراد الله تعالى إعزاز دينه، وإظهار أمره، فدخلت العرب في الدين أفواجاً، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، فكنتم فيمن دخل في هذا الدين، إما رغبة وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وفاز المهاجرون الأولون بفضلهم، ولا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدين، ولا فضائلهم في الإسلام، أن ينازعهم الأمر الذين هم أهله وأولى به، فيخون ويظلم، ولا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره، ويعدو طوره، ويشقي نفسه بالتماس ما ليس بأهله، فإن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديماً وحديثاً أقربها من الرسول، وأعلمها بالكتاب، وأفقهها في الدين، أولهم إسلاماً، وأفضلها جهاداً، وأشدهم بما تحمله الرعية من أمرها اطلاعاً، فأتقوا الله الذي إليه ترجعون، ولا تلبسوا الحق بالباطل، وتكتموا الحق وأنتم تعلمون.

وأعلموا أن خير عباد الله الذين يعملون بما يعلمون، وأن شرارهم الجهال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم، فإن للعالم بعلمه فضلاً، وإن الجاهل لا يزداد بمنازعته العالم إلاّ جهلاً.

ألا وإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وحقن دماء هذه الأمة، فإن قبلتم أصبتم رشدكم، واهتديتم بحظكم، وإن أبيتم إلاّ الفرقة، وشق عصا هذه الأمة، لم تزدادوا من الله إلاّ بعداً، ولا يزداد الرب عليكم إلاّ سخطاً، والسلام.[١]

فكتب إليه معاوية جواب هذا الكتاب سطراً واحداً، وهو أما بعد: فإنه:

ليس بيني وبين قيس عتاب

غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فقال علي عليه السلام لما أتاه هذا الجواب: **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾**.[٢]

وقال: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من سره أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويتمسك بالقضيب من الياقوتة التى خلقها الله تعالى بيده، ثم قال لها: كوني فكانت، فليتمسك بولاء علي بن أبي طالب.[٣]

ذكره أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الأولياء،[٤] ورواه أبو عبد الله بن حنبل في المسند، وفى كتاب فضائل علي بن أبي طالب،[٥] وحكاية لفظ أحمد

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٩/٣.

[٢] - القصص/٥٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/٩.

[٤] - حلية الأولياء ١٧٤/٤.

[٥] - فضائل الصحابة ٦٦٤/٢.

ﷺ: من أحب أن يتمسك بالقضيب الاحمر الذي غرسه الله في جنة عدن بيمينه، فليتمسك بحب علي بن أبي طالب.[١]

وقال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التى غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالائمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهماً وعلماً، فالويل للمكذبين من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي. ذكره صاحب الحلية أيضاً.[٢]

وقال: وروى الناس كافة ان رسول الله ﷺ قال: هذا وليي، وأنا وليه، عاديت من عاداه، وسالمت من سالمه. أو نحو هذا اللفظ.[٣]

قال: وروى أيضاً محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: عدوك عدوي، وعدوي عدو الله عز وجل.[٤]

---

[١] - فضائل الصحابة ٦٦٤/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٤.

وقال: قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حربك حربي، وسلمك سلمي، وأنه قال: اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، وقال: لا يحبك إلاّ مؤمن، وقال: لا يبغضك إلاّ منافق.[١]

والحاصل إنا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلاّ رتبة النبوة، وأعطيناه كلما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه.[٢]

وفال: حدثني يحيى بن سعيد بن علي الحنبلي المعروف بابن عالية من ساكني قطفتا بالجانب الغربي من بغداد، وأحد الشهود المعدلين بها، قال: كنت حاضراً عند الفخر إسماعيل ابن علي الحنبلي الفقيه المعروف بغلام بن النبي، وكان الفخر إسماعيل هذا مقدم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف، ويشتغل بشيء في علم المنطق، وكان حلو العبارة، وقد رأيته أنا وحضرت عنده، وسمعت كلامه، وتوفى سنة عشرة وستمائة.[٣]

قال ابن عالية ونحن عنده نتحدث، إذ دخل شخص من الحنابلة، قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فانحدر إليه يطالبه به، واتفق أن حضرت زيارة يوم الغدير والحنبلي المذكور بالكوفة، وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة، تتجاوز حد الإحصاء.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢١/٢٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢١/٢٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٧/٩.

قال ابن عالية: فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص: ما فعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقي لك منه بقية عند غريمك؟ وذلك الشخص يجاوبه، حتى قال له: يا سيدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير، ما يجرى عند قبر علي بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة وسب الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خفية! فقال إسماعيل: أي ذنب لهم! والله ما جرأهم على ذلك، ولا فتح لهم هذا الباب إلاّ صاحب ذلك القبر! فقال ذلك الشخص: ومن هو صاحب القبر؟ قال: علي بن أبي طالب! قال: يا سيدي، هو الذي سنّ لهم ذلك، وعلمهم إياه وطرقهم إليه! قال: نعم، والله، قال: يا سيدي فإن كان محقاً فمالنا نتولى فلاناً وفلاناً! وإن كان مبطلاً فمالنا نتولاه! ينبغي أن نبرأ منه أو منهما.

قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعاً، فلبس نعله، وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل بن الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة، ودخل دار حرمه، وقمنا نحن وانصرفنا.[1]

[أقول:] والدليل على أن غدير خم فيه نص على أمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله بالولاية والإمامة والخلافة ان ابن أبي الحديد استدل على أنه عليه السلام أخو رسول الله مما قاله نقلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد من جملة أبيات منها قوله عليه السلام:

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٧/٩.

ثم ذكر الأبيات ابن أبي الحديد، ولم يذكر هذا البيت، قوله في جملة الابيات، وهو تمام الأبيات الذي قاله أمير المؤمنين، والبيت الذي لم يذكره ابن أبي الحديد قوله عليه السلام:

وأوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدير خم

وهذه الأبيات المشتملة على هذا البيت مشهورة ذكرها العامة والخاصة في كتبهم، وممن ذكرها من العامة إبراهيم بن محمد الحمويني في كتاب فوائد السمطين في فضائل المرتضى وفاطمة والسبطين،[١] ذكر هذه الأبيات بجملتها وفيها هذا البيت، واسقاط ابن أبي الحديد لذلك يدل على أنه في نهاية التعصب والإنحراف عن أمير المؤمنين عليه السلام.

---

[١] - فرائد السمطين/٣٧١.

الباب
التاسع عشر
في أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله

ابن أبي الحديد قال: وروى عثمان بن سعيد، عن عبد الله بن بكير، عن حكيم بن جبير، قال: خطب علي عليه السلام فقال في أثناء خطبته: أنا عبد الله، وأخو رسوله، لا يقولها أحد قبلي ولا بعدي إلاّ كذاب، ورثت نبي الرحمة، ونكحت سيدة نساء هذه الأمة، وأنا خاتم الوصيين.

فقال رجل من عبس: ومن لا يحسن أن يقول مثل هذا! فلم يرجع إلى أهله حتى جنّ وصرع، فسألوهم: هل رأيتم به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: ما رأينا به قبل هذا عرضاً.[1]

وقال: وروى إبراهيم بن ميمون الأزدي، عن حبة العرني، قال: كان جويرية بن مسهر العبدى صالحاً، وكان لعلي عليه السلام صديقاً، وكان علي يحبه، ونظر يوماً إليه وهو يسير، فناداه يا جويرية، ألحق بي، فإني إذا رأيتك هويتك.[2]

قال: إسماعيل بن أبان فحدثني الصباح، عن مسلم، عن حبة العرني، قال: سرنا مع علي عليه السلام يوماً فألتفت فإذا جويرية خلفه بعيداً، فناداه: يا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٧/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٠/٢.

جويرية، ألحق بي لا أباً لك! ألا تعلم أني أهواك وأحبك! قال: فركض نحوه، فقال له: إني محدثك بأمور فأحفظها، ثم اشتركا في الحديث سراً، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين، إني رجل نسي، فقال له: إني أعيد عليك الحديث لتحفظه، ثم قال له في آخر ما حدثه إياه: يا جويرية، أحبب حبيبنا، فإذا أبغضنا فأبغضه، وأبغض بغيضنا، فإذا أحبنا فأحبه، قال: فكان ناس ممن يشك في أمر علي عليه السلام يقولون: أتراه جعل جويرية وصيه كما يدعي هو من وصية رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فيقولون ذلك لشدة اختصاصه له، حتى دخل على علي عليه السلام يوماً، وهو مضطجع، وعنده قوم من أصحابه، فناداه جويرية: أيها النائم، استيقظ، فلتضربن على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك، قال: فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام قال: وأحدثك يا جويرية بأمرك، أما والذي نفسي بيده لتنقلن إلى العتل الزنيم، فليقطعن يدك ورجلك، وليصلبنك تحت جذع نخلة كافر، قال: فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله، وصلبه إلى جانب جذع ابن مكعبر، وكان جذعاً طويلاً، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه.[1]

وقال عليه السلام: أيها الناس إنه قد بثثت لكم المواعظ التي اوعظ بها الأنبياء أممهم، وأديت لكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدبتكم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٩٠.

بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا، لله أنتم أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق، ويرشدكم السبيل.[1]

قال في الشرح: بثت لكم المواعظ، فرقتها فيكم ونشرتها، والأوصياء الذين تأمنهم الأنبياء على الأسرار الإلهية، وقد يمكن أن لا يكونوا خلفاء بمعنى الإمرة والولاية، فإن مرتبتهم أعلى مراتب الخلفاء.[2]

أقول: الوصي للرسول صلى الله عليه وآله هو الإمام بعده بلا شك إلاّ أن كلام ابن أبي الحديد هنا يضحك الثكلى حيث جعل مرتبة الخلافة دون مرتبة الوصية، والخلافة مرتبة النبي صلى الله عليه وآله، بلى قد يكون الوصي إماماً وخليفة، ولا يكون نبياً كأوصياء نبينا صلى الله عليه وآله الاثني عشر علي عليه السلام وولده الأحد عشر ﴿صلى الله عليهم﴾ حيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء.

والعجب من ابن أبي الحديد هنا حيث لم يساوق بين الوصية والإمامة محافظة على مذهب الاعتزال مع أن عبد الجبار في المغني مع تعصبه لمذهب الجمهور جعل نص الوصية أظهر دلائل الإمامة والخلافة، وجعلها أظهر دلائل الإمامية على إمامة علي عليه السلام وخلافته، وإلى ذلك أشار عليه السلام بعد ذكره الأوصياء الذين هو من جملتهم، قال بعد ذلك: أتتوقعون إماماً غيري، الخ.

وقال ابن أبي الحديد: روي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت،

---

[1] - نهج البلاغة ١٠٨/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٠/١٠.

وقال له صلى الله عليه وآله: لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لم تكن نبياً فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء، وإمام الأتقياء.[١]

وقال: قال إبراهيم بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب الغارات: قال: حدثني يحيى بن صالح، عن مالك بن خالد الأسدي، عن الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين قال: كتب علي عليه السلام إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبي بكر كتاباً يخاطبهم فيه ويخاطب محمداً أيضاً فيه، وساق الحديث بطوله إلى أن قال: وإياكم ودعوة ابن هند الكذاب وقوله، وأعلم أنه لا سواء إمام هدى، وإمام الهوى، ووصي النبي، وعدو النبي.[٢]

وقال: وذكر الطبري في تاريخه عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما انزلت هذه الآية ﴿**وانذر عشيرتك الاقربين**﴾[٣] على رسول الله صلى الله عليه وآله دعاني، فقال يا علي، إن الله أمرني أن انذر عشيرتي الأقربين، فضقت لما نزلبي ذرعاً، وعلمت أني متى أبادههم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت حتى جاءني جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، إنك إن لم تفعل ما أمرت به يعذبك ربك، فأصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم أجمع بني عبد المطلب حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٠/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٧/٦.

[٣] - الشعراء/٢١٤.

أو ينقصونه، وفيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما أجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ بضعة من اللحم فشقها بإسنانه، ثم القاها في نواحي الصحفة، ثم قال: كلوا بإسم الله، فأكلوا حتى ما لهم إلى شيء من حاجة، وأيم الله الذي نفس علي بيده، إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمته لجميعهم، ثم قال: اسق القوم يا علي، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله.[1]

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لشد ما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فقال من الغد: يا علي، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا اليوم إلى مثل ما صنعت بالأمس، ثم أجمعهم لي ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه جميعاً، حتى رووا، ثم تكلم رسول الله ﷺ، فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم أن شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي، وخليفتي فيكم، فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت أنا، وإني لأحدثهم سناً، وأرمضهم عيناً، وأعظمهم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٠/١٣.

بطناً، وأحمشهم ساقا: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأعاد القول، فأمسكوا، وأعدت ما قلت، فأخذ برقبتى، ثم قال لهم: هذا أخي ووصيي، وخليفتي فيكم، فأسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب، قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع.[1]

وقال: قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي: قد رود في الخبر الصحيح أنه كلف علياً في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكة أن يصنع له طعاماً، وأن يدعو له بني عبد المطلب، فصنع له الطعام، ودعاهم له، فخرجوا ذلك اليوم، ولم ينذرهم ﷺ لكلمة قالها عمه أبو لهب، فكلفه في اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام، وأن يدعوهم ثانية، فصنعه، ودعاهم فأكلوا، ثم كلمهم ﷺ فدعاهم إلى الدين، ودعاه معهم، لأنه من بني عبد المطلب، ثم ضمن لمن يوازره منهم وينصره على قوله، أن يجعله أخاه في الدين، ووصيه بعد موته، وخليفته من بعده، فأمسكوا كلهم وأجابه هو وحده، وقال: أنا أنصرك على ما جئت به، وأوازرك وأبايعك، فقال لهم لما رأى منهم الخذلان، ومنه النصر، وشاهد منهم المعصية، ومنه الطاعة، وعاين منهم الإباء، ومنه الإجابة: هذا أخى ووصيي، وخليفتي من بعدي، وقاضي ديني، فقاموا يسخرون ويضحكون، ويقولون لأبي طالب أطع إبنك، فقد أمرّه عليك.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٠/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٤/١٣.

وقال: قال نصر: وقال له عمرو بن الحمق يومئذ: والله يا أمير المؤمنين، إني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتينيه، ولا التماس سلطان ترفع ذكري به، ولكنني أحببتك بخصال خمس: إنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأسبق الناس إلى الإسلام، وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد، فلو أني كلفت نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي، حتى يأتي عليّ يومي في أمر أقوي به وليك، وأوهن به عدوك، ما رأيت أني قد أديت فيه كل الذي يحق عليّ من حقك.

فقال علي عليه السلام: اللهم نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراطك المستقيم، ليت لي في جندي مائة مثلك.

فقال حجر: إذاً والله يا أمير المؤمنين صح جندك، وقلّ فيهم من يغشك.[1]

قال نصر: وقام حجر بن عدي، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب وأهلها الذين نلقحها وننتجها، قد ضارستنا وضارسناها، ولنا أعوان وعشيرة ذات عدد ورأي مجرب، وبأس محمود، وأزمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرقت شرقنا، وإن غربت غربنا، وما أمرتنا به من أمر فعلنا، فقال علي

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨١/٣.

عليه السلام: أكل قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيت منهم إلاّ حسناً، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة، وحسن الإجابة، فقال له علي عليه السلام: جزاك الله خيراً.[1]

ابن أبي الحديد قال: قال نصر: وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية: من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر، سلام على أهل طاعة الله، ممن هو سلم لأهل ولايته، وساق الحديث بطول المكاتبة إلى أن قال محمد بن أبي بكر: فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه، وأبو ولده، وأول الناس اتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسره، ويشركه في أمره،[2] والحديث بطوله قد تقدم في الباب السابع.

قال: وأعلم أن امير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي أتاه الله إياها، وأختصه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق ﴿صلوات الله عليه وآله﴾ في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامة الشايعة التي تحتج بها الإمامية على إمامته، كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة براءة، وخبر المناجاة، وقصة خيبر، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك بل الأخبار الخاصة التي رواها أئمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره، وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٢/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٨/٣.

وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضائله يوجب سكون النفس ما توجبه رواية غيرهم.[١]

ثم ذكر ابن أبي الحديد أربعة وعشرين حديثاً في فضائله ومناقبه، وفيها أحاديث نص رسول الله صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام بأنه الإمام بعده، وساق الأحاديث إلى أن قال:

الخبر الرابع عشر: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك النور فيه، وجعله جزءين، فجزء أنا، وجزء علي.[٢]

رواه أحمد في المسند، وفي كتاب فضائل علي عليه السلام،[٣] وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه: ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب، فكان لي النبوة، ولعلي الوصية.[٤]

الخبر التاسع: يا أنس، اسكب لي وضوءاً، ثم قام فصلى ركعتين، ثم قال: أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين، وقائد الغر المحجلين.[٥]

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٦/٩.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٩.

[٣] ـ فضائل الصحابة ٦٦٢/٢.

[٤] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٩.

[٥] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٩.

قال أنس: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمت دعوتي، فجاء علي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: من جاء يا أنس؟ فقلت: علي، فقام إليه مستبشراً، فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه، فقال علي: يا رسول الله، لقد رأيت منك اليوم تصنع بي شيئاً ما صنعته بي قبل! قال: وما يمنعني وأنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدى.[1] رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء.[2]

وقال: خرج طارق بن شهاب الأحمسي يستقبل علياً عليه السلام وقد صار بالربذة طالباً عائشة وأصحابها، وكان طارق من أصحاب علي عليه السلام وشيعته، قال: فسألت عنه قبل أن القاه، ما أقدمه؟ فقيل: خالفه طلحة والزبير وعائشة فأتوا البصرة، فقلت في نفسي: إنها الحرب! أفأقاتل أم المؤمنين! وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله! إن هذا لعظيم، ثم قلت: أأدع علياً، وهو أول المؤمنين إيماناً بالله، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه! هذا أعظم! ثم أتيته فسلمت عليه، ثم جلست إليه، فقص عليّ قصة القوم وقصته، ثم صلى بنا الظهر، وساق الحديث.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٩.

[2] - حلية الأولياء ٦٤/١.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٦/١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي! والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لأضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة.[١]

قال في الشرح: إنه انطوى على علم هو ممتنع بموجبه من المنازعة، وأن ذلك العلم لا يباح به، ولو باح به لأضطرب سامعوه كإضطراب الأريشة، وهي الحبال في البئر البعيدة القعر، وهذا إشارة إلى الوصية التي خص بها عليه السلام وأنه قد كان من جملتها ترك النزاع في مبدأ الإختلاف عليه.[٢]

وقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام من خطبة له منها في المنافقين: زرعوا الفجور، وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور، لا يقاس بآل محمد من هذه الامه أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله.[٣]

---

[١] - نهج البلاغة ٤٠/١، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٣/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٣/١.

[٣] - نهج البلاغة ٣٠/١.

قال في الشرح: جعل ما فعلوه من القبيح بمنزلة زرع زرعوه، ثم سقوه، فالذي يزرعوه الفجور، ثم سقوه بالغرور، ونتيجة ذلك الزرع والسقي حصاداً هو الهلاك والعطب، وإشارته هذه ليست إلى المنافقين كما ذكره الرضي رَحِمَهُ اللهُ وإنما هي إشارة إلى من تغلب عليه وجحد حقه، كمعاوية وغيره، ولعل الرضي رَحِمَهُ اللهُ عرف ذلك وكنى، ثم عاد إلى الثناء على آل محمد فقال: هم أصول الدين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، جعلهم كمقنب يسير في فلاة فالغالي منه، أي الفارط المتقدم الذي قد غلا في سيره يرجع إلى ذلك المقنب إذا خاف عدواً، ومن قد تخلف عن ذلك المقنب فصار تالياً له يلتحق به إذا أشفق من أن يتخطف.[1]

ثم ذكر خصائص حق الولاية، والولاية الإمرة، فأما الإمامية فيقولون: أراد نص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعلى أولاده، ونحن نقول: لهم خصائص حق ولاية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على الخلق.[2]

ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: وفيهم الوصية والوراثة، أما الوصية فلا ريب عندنا أن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ كان وصي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعني بالوصية النص والخلافة، ولكن أموراً أخرى لعلها

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣٩/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣٩/١.

إذا لمحت أشرف وأجل، وأما الوراثة فالإمامية يحملونها على ميراث المال والخلافة، ونحن نحملها على وراثة العلم.[١]

ثم ذكر عليه السلام أن الحق رجع الآن إلى أهله، وهذا يقتضي أن يكون فيما قبل في غير أهله، ونحن نتأول ذلك على غير ما تذكره الإمامية، ونقول: إنه عليه السلام كان أولى بالأمر وأحق لا على وجه النص، بل على وجه الأفضلية، فإنه أفضل البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأحق بالخلافة من جميع المسلمين، لكنه ترك حقه لما علمه من المصلحة، وما تفرس فيه هو والمسلمون من اضطراب الإسلام، وانتشار الكلمة بحسد العرب كان له، وضغنهم عليه، وجائز لمن كان أولى بشيء فتركه ثم استرجعه أن يقول قد رجع الأمر إلى أهله.[٢]

وأما قوله: وانتقل إلى منتقله، ففيه مضاف محذوف تقديره: إلى موضع منتقله، والمنتقل - بفتح القاف- مصدر بمعنى الانتقال، كقولك: لي في هذا الأمر مضطرب، أي اضطراب، قال:

قد كان لي مضطرب واسع
في الأرض ذات الطول والعرض

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/١٣٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/١٤٠.

وتقول: ما معتقدك؟ أي ما اعتقادك، يقول: قد رجع الأمر إلى نصابه وإلى الموضع الذي هو على الحقيقة الموضع الذي يجب أن يكون انتقاله إليه.[١]

فإن قيل: ما معنى قوله عليه السلام: لا يقاس بآل محمد من هذه الأمه أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً.

قيل: لا شبهة أن المنعم أعلى وأشرف من المنعم عليه، ولا ريب أن محمداً صلى الله عليه وآله وأهله الأدنين من بني هاشم ، لا سيما علياً عليه السلام أنعموا على الخلق كافة بنعمة لا يقدر قدرها، وهي الدعاء إلى الإسلام والهداية إليه بمحمد صلى الله عليه وآله وإن كان هدى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانه ويده، ونصره الله تعالى له بملائكته وتأييده، وهو السيد المتبوع، والمصطفى المنتجب، الواجب الطاعة، إلاّ أن لعلي عليه السلام من الهداية أيضاً، وإن كان ثانياً لأول، ومصلياً على إثر سابق ما لا يجحد، ولو لم يكن إلاّ جهاده بالسيف أولاً وثانياً، وما كان بين الجهادين من نشر العلوم، وتفسير القرآن، وإرشاد العرب إلى ما لم تكن له فاهمة ولا متصورة، لكفى في وجوب حقه، وسبوغ نعمته عليه السلام.[٢]

فإن قيل: لا ريب في أن كلامه هذا تعريض بمن تقدم عليه، فأي نعمة له عليهم؟

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٠/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٠/١.

قيل: نعمتان، الأولى منهما: الجهاد عنهم وهم قاعدون، فإن من أنصف علم أنه لولا سيف علي عليه السلام لأصطلم المشركون من أشار إليه وغيرهم من المسلمين، وقد علمت آثاره في بدر وأحد، والخندق، وخيبر، وحنين، وأن الشرك فيها فغر فاه، فلولا أن سده بسيفه لألتهم المسلمين كافة.

والثانية: علومه التي لولاها لحكم بغير الصواب في كثير من الأحكام، وقد اعترف عمر له بذلك، والخبر مشهور، لولا علي لهلك عمر.[1]

وأعلم أن علياً عليه السلام كان يدعي التقدم على الكل، والشرف على الكل، والنعمة على الكل بإبن عمه صلى الله عليه وآله وبنفسه، وبأبيه أبي طالب، فإن من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً.[2]

وأعلم أن هذه الكلمات وهي قوله عليه السلام إذ رجع الحق إلى أهله، إلى آخرها يبعد عندي أن تكون مقوله عقيب انصرافه عليه السلام من صفين، لأنه انصرف عنها وقتئذ مضطرب الأمر، منتشر الحبل بواقعة التحكيم، ومكيدة ابن العاص، وما تم لمعاوية عليه من الإستظهار، وما شاهد في عسكره من الخذلان، وهذه الكلمات لا يقال في مثل هذه الحال، وأخلق بها أن تكون في ابتداء بيعته قبل أن يخرج من المدينة الى البصرة، وأن الرضي رحمه الله نقل ما وجد، وحكى ما سمع، واللفظ من غيره، والوهم سابق له، وما ذكرناه واضح.[3]

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤١/١.

[2] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٣/١.

[3] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٢/١.

الباب العشرون
في الأشعار المنقولة في صدر الإسلام
المتضمنة كونه عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله

قال ابن أبي الحديد: وما رويناه من الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كونه عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

ومنا علي ذاك صاحب خيبر ... و صاحب بدر يوم سالت كتايبه
وصي النبي المصطفى وابن عمه ... فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه[1]

وقال عبد الرحمن بن جعيل:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة ... على الدين معروف العفاف موفقا
علياً وصي المصطفى وابن عمه ... وأول من صلى أخا الدين والتقى[2]

وقال أبو الهيثم بن التيهان وكان بدرياً:

قل للزبير وقل لطلحة إننا ... نحن الذين شعارنا الأنصار
نحن الذين رأت قريش فعلنا ... يوم القليب أولئك الكفار
كنا شعار نبينا ودثاره ... يفديه منا الروح والابصار

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٣/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٣/١.

إن الــوصــي إمـامنـا ووليــنا برح الخفاء وباحت الاســرار[١]

وقال عمر بن حارثة الأنصاري، وكان مع محمد بن الحنفية يوم الجمل، وقد لامه أبوه عليه السلام لما أمره بالحملة ، فتقاعس:

أبا حسن أنت فصل الأمـور يبين بك الحل والمحـــرم

جمعت الرجال على رايـــة بها ابنك يوم الوغـى مفحم

ولم ينكص المرء من خيفة ولـكـن تـوالت لـــه أسهم

فقال رويداً ولا تـعـجــلوا فإني إذا رشــقــوا مقــدم

فاعجلته والفتى مـجـمـع بما يكره الوجل المحجم

سمي الـنبي وشبه الوصي ورايــتــه لـونـهــا العندم[٢]

وقال رجل من الازد يوم الجمل:

هذا علي وهو الوصي آخاه يوم النجوة النبي

وقال هذا بعدي الولي وعاه واع ونسى الشقي[٣]

وخرج يوم الجمل غلام من بني ضبة شاب من عسكر عائشة وهو يقول:

نحن بنـــو ضبة أعــداء علي ذاك الذي يعرف قدماً بالوصي

وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فـضل عـلـي بالعمي

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٣/١.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٤/١.

[٣] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٤/١.

لكننى أنعى ابـــن عفان التقي إن الولي طالـــب ثــــأر الولي[١]

وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل وكان في عسكر علي عليه السلام:

أية حـــرب أضرمت نيرانها وكسرت يوم الوغى مرانها

قل للوصي أقبلت قحطانها فادع بها تكفيكها هـمدانها

هـم بنوها وهم إخوانها[٢]

وقال زياد بن لبيد الأنصاري يـوم الجمـل، وكـان مـن أصـحاب علـي عليه السلام:

كيف ترى الأنصار في يوم الكلب

إنـــا أناس لا نبالي مـــن عـــطـــب

ولا نبالي فـــي الوصي من عصب

وإنـــمـــا الأنصار جـــد لا لـعـــب

هـــذا عـــلـــي وابـــن عبد المطلب

ننصره اليوم على مـــن قـــد كذب

من يكسب البغي فبئسما اكتسب[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٤/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٤/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٥/١.

وقال حجر بن عدي الكندي في ذلك اليوم أيضاً:

يـا ربـنـا سـلـم لنا علياً سلم لنا المبارك المرضيـا
الـمـؤمـن الـموحـد التقيا لا خطل الرأي ولا غـويـا
بـل هـاديـاً موفـقـاً مهدياً واحفظه ربي واحفظ النبيا
فـيـه فـقـد كان لـه ولـياً ثم ارتضاه بـعـده وصيـا[١]

وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري، ذو الشهادتين - وكان بدرياً - في يوم الجمل أيضاً:

ليس بين الأنصار في جحمة الحرب
وبـيـن الـعـداة إلاّ الـطـعـان
وقـراع الـكـمـاة بالقضب البيض
إذا مـا تـحـطـم الـمـران
فادعها تستجب فليس من الخزرج
والاوس يـا عـلـي جـبـان
يـا وصـي النبي قد أجلت الحرب
الاعـادي وسـارت الأظـعـان
واستقامت لك الامور سوى الشام
وفـي الـشـام يـظـهـر الإذعـان

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٥/١.

حسبهم ما رأوا وحسبك منا

هكذا نحن حيث كنا وكانوا[1]

قال خزيمة أيضاً في يوم الجمل:

أعائش خلي عن علي وعيبه

بما ليس فيه إنما أنت والده

وصي رسول الله من دون أهله

وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وحسبك منه بعض ما تعلمينه

ويكفيك لو لم تعلمي غير واحده

إذا قيل ماذا عبت منه رميته

بخذل ابن عفان وما تلك آبده

وليس سماء الله قاطرة دماً

لذاك وما الأرض الفضاء بمائده[2]

وقال ابن بديل بن ورقاء الخزاعي يوم الجمل أيضاً:

يا قوم للخطة العظمى التى حدثت

حرب الوصي وما للحرب من آسي

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٥/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٦/١.

الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت
تلك القبائل أخماساً لاسداس[١]

وقال عمرو بن أحيحة يوم الجمل في خطبة الحسن بن علي عليه السلام بعد خطبة عبد الله بن الزبير:

حسن الخير يا شبيه أبيه
قمت فينا مقام خير خطيب

قمت بالخطبة التي صدع الله
بها عن أبيك أهل العيوب

وكشفت القناع فأتضح الأمر
وأصلحت فاسدات القلوب

لست كابن الزبير لجلج في القول
وطأطأ عنان فشل مريب

وأبى الله أن يقوم بما قام
به ابن الوصي وابن النجيب

إن شخصاً بين النبي لك الخير
وبين الوصي غير مشوب[٢]

---

١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٦/١.

٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٦/١.

وقال زحر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضاً:

أضربكم حتى تقروا لعلي ... خير قريش كلها بعد النبي
من زانه الله وسماه الوصي ... إن الولي حافظ ظهر الولي
كما الغوي تابع أمر الغوي[1]

ذكر هذه الاشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل.

وأبو مخنف من المحدثين، وممن يرى صحة الإمامة بالإختيار، وليس من الشيعة، ولا معدوداً من رجالها.[2]

ومما رويناه من أشعار صفين التي تتضمن تسميته عليه السلام بالوصي، ما ذكره نصر ابن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفين، وهو من رجال الحديث أيضاً، قال نصر بن مزاحم: قال زحر بن قيس الجعفي:

فصلى الإلـه على أحمد ... رسول المليك تمام النعم
رسول المليك ومن بعده ... خليفتنا القائم المدعم
علياً عنيت وصي النبي ... نجالد عنه غواة الامم[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/ ١٤٧.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٧/١.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٧/١، وقعة صفين/١٨.

قال نصر: ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس أيضاً:

أتانا الرسول رسول الأنام ... فسر بمقدمه المسلمونا
رسول الوصي وصي النبي ... له السبق والفضل في المؤمنينا[1]

ومن الشعر المنسوب إلى الاشعث أيضاً:

أتانا الرسول رسول النبي ... علي المهذب من هاشم
وزير النبي وذي صهره ... وخير البرية والعالم[2]

قال نصر بن مزاحم: من شعر أمير المؤمنين عليه السلام في صفين:

يا عجباً لقد سمعت منكراً ... كذباً على الله يشيب الشعرا
ما كان يرضى أحمد لو أخبرا ... أن يقرنوا وصيه والابترا
شاني الرسول واللعين الاخزرا ... إني إذا الموت دنا وحضرا
شمرت ثوبي ودعوت قنبرا ... قدم لوائي لا تؤخر حذرا
لا يدفع الحذار ما قد قدرا ... لو أن عندي يا بن حرب جعفرا
أو حمزة القرم الهمام الازهرا ... رأت قريش نجم ليل ظهرا[3]

وقال جرير بن عبد الله البجلى، كتب بهذا الشعر إلى شرحبيل بن السمط الكندى، رئيس اليمامة من أصحاب معاوية:

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٧/١، وقعة صفين/٢٣.

[2] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٨/١، وقعة صفين/٢٤.

[3] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٨/١، وقعة صفين/٤٣.

نصحتك يا بن السمط لا تتبع الهوى

فما لك في الدنيا من الدين من بدل

ولا تـك كـالـمجري إلى شر غاية

فـقد خرق السربال واستنوق الجمل

مقال ابن هند فـي عـلـي عضيهة

ولله صـدر ابـن أبي طالب أجل

وما كان إلاّ لازمـاً قـعـر بـيتـه

إلى أن أتى عثمان في بيته الاجـل

وصي رسول الله مـن دون أهـلـه

وفارسه الحامي بـه يضرب المثل[1]

وقال النعمان بن عجلان الأنصاري:

كيف التفرق والـوصي إمـامنا ... لا كيف إلاّ حـيـرة وتـخـاذلا

ألا تغبن عقولكم لا خيـر فـي ... من لم يكن عنـد البلابل عاقـلا

وذروا معاوية الغوي وتـابـعـوا ... دين الوصي لتـحمدوه آجـلا[2]

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الاسلمي:

ألا أبلغ معاوية ابـن حـرب ... فما لك لا تهش إلى الضراب

فـإن تسلم وتبق الدهر يـومـاً ... نزرك بجحفل عـدد التراب

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٩/١، وقعة صفين/٤٨.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٩/١، وقعة صفين/٣٦٥.

يقودهم الوصي إليك حتى يردك عن ضلال وارتياب[1]

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب:

يا عصبة الموت صبراً لا يهولكم

جيش ابن حرب فإن الحق قد ظهرا

وأيقنوا أن من أضحى يخالفكم

أضحى شقياً وأمسى نفسه خسرا

فيكم وصي رسول الله قائدكم

وصهره وكتاب الله قد نشرا[2]

وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب:

وصي رسول الله من دون أهله

وفارسه إن قيل هل من منازل

فدونكه إن كنت تبغي مهاجراً

أشم كنصل السيف غير جلاجل[3]

قال ابن أبي الحديد بعد أن ذكر هذه الأشعار: والأشعار التى تتضمن هذه اللفظة كثير جداً، ولكنا ذكرنا منها هاهنا بعض ما قيل في هذين

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٩/١، وقعة صفين/٣٨٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٩/١، وقعة صفين/٣٨٥.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٠/١.

الحزبين ، فأما ما عداهما فإنه يجل عن الحصر، ويعظم عن الإحصاء والعد، ولولا خوف الملالة والإضجار لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقاً كثيرة.[1]

قلت: وذكر في الشرح أيضاً أبياتاً تتضمن هذه اللفظة أعني لفظة الوصي، قال نصر بن نباته: فقال للشريف الجليل محمد بن عمر العلوي:

وأبوك الوصي أول من شاد ... منار الهدى وصام وصلى

نشرت حبله قريش فأعطته ... إلى صحبة القيامة قتلا[2]

وقال ابن أبي الحديد في قصيدة: قلت لأبي المظفر هبة الله بن موسى الموسوي صاحب المخزن في قصيدة أذكر فيها أباه:

أمك الدرة التي أنجبت من ... جوهر المجد راضياً مرضيا

وأبوك الإمام موسى كظيم ... الغيظ حتى يعضده منسيا

وأبوه تاج الهدى جعفر الصادق ... وحياً عن الغيوب وحيا

وأبوه محمد باقر العلم ... مضى لنا هادياً مهديا

وأبوه السجاد أتقى عباد الله ... لله نجاتاً ووفيا

والحسين الذي تخير أن يقضي ... عزيزاً ولا يعيش دنيا

وأبوه الوصي أول من صام ... ولبى سبعاً وساق الهديا

طامت مجده قريش فأعطته ... إلى سدرة السماء رقيا

أخملت صيته فطار إلى أن ... ملأ الأفق ضجة ودويا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٥٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤/١١١.

وأبو طالب كفيل أبـي القاسم ... كـهـلاً ويـافـعـاً وصبيـا

ولـشـيـخ الـبطحاء تاج مـعـد ... شيبة الحمد هل علمت سميا

وأبوه عمر العلا هاشم الـجود ... ومـن مـثـل هـاشـم بشريا

وأبـوه الهمام عبد مـنـاف ... قـد نـقـل صادقاً وتبدا بديا

ثم زيد أعني قصي الذي لـم ... يـك عـن ذروة العلاء قصيا

نسب إن تقلع النسب المحض ... لـفـاعـا كـان الـسليـب العريا

وإذا أظلمت مناسخة الانساب ... يـومـاً كـان الـمـنـيـر جليا

تـالـد مجده على قـدم الدهر ... وقـد يـفـضـل العتيق الطريا[1]

وقال أيضاً لبعض الهاشميين:

والله ما كلم الأقوام مـن بـشـر

بعد الوصي عـلـي كإبـن عباس

أوصى ابن قيس بأمر فيه عـصمته

لو كان فيها أبـو موسى من الناس

إنـي أخـاف عليه مكر صاحبه

أرجو رجـاء مخوف شبه باليأس[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١١/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٢/٢.

في شعر الفضل بن العباس بن عبد المطلب في جواب عماره في طلب عثمان:

أتطلب ثـــأراً لســـت مـنـه ولا لـه

وما لإبن ذكـــوان الصفوري والـوتـر

كـمـا افـتـخرت بـنـت الـحمـار بأمها

وتنسى أباها إذ أتـــى أول الـفـجـر

ألا إن خـيـــر الـنـاس بـعـــد نبيهم

وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر

وأول مـــن صـلـــى وصـنـــو نبيه

وأول من أردى الغواة لـــدى بـــدر[1]

وقال المتنبي:

تـركـت مـدحـي للوصي تعمداً

إذ كـان فـضـلاً مسـتـطيلاً شـاملا

وإذا اسـتـطـال الـشـيء قام بنـفسه

وصفات نور الشمس تذهب باطلا

وقال النعمان بن العجلان وهي معمولة في معرض الولاية:

فـهـذا أبـــو بـكـــر لها خـير قائم

ولكـن علياً كـان أخـلـق بـالأمـر

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديدت ١١٥/٢.

وكـان هـوانـاً فـي عـلـي وإنـه
لاهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
فـذاك بـعـون الله يدعو إلى الهدى
وينهى عـن الفحشاء والبغي والنكر
وصـي النبي المصطفى وابن عمه
وقـاتـل فـرسـان الضلالة والكفر

وقوله: يا عمرو يريد ابن العاص إذ الشعر حكراً عليه.[1]

وقال: قال نصر: وكتب إلى شرحبيل كتاب لا يعرف كاتبه وشرحبيل بن السمط من حزب معاوية:

يا شرحبيل بن السمط لا تتبع الـهوى
فما لك في الدنيا من الدين من بـدل
ولا تك كالجاري إلـى شـر غـايـة
فقد خرق السربال واستنوق الجمل
أيـا شـرح إن الـحـق قد جد جده
فكن فيه مأمون الأديم مـن النـغـل
فأرود ولا تفرط بشيء تخافه عليك
ولا تـعـجـل فـلا خير في العجل

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣١/٦.

مقال ابن هــنــد فــي عــلي عظيمة

ولله في صدر ابن أبي طالب أجــل

وما من علي فـــي ابن عفان سقطة

بــقول ولا مالا عــلــيــه ولا قــتــل

ومــا كـــان إلاّ لازمــاً قــعـر بيته

إلى أن أتى عثمان في داره الأجل

فــمــن قــال قــولاً غير هــذا فحسبه

من الزور والبهـتان بعض الذي احتمل

وصي رسـول الله مـــن دون أهــلــه

ومن بإسمه في فضله يضــرب المثل[١]

وقال: قال علي عليه السلام للنجاشي، أحد بني الحارث بن كعب، فقال له: إن ابن جعيل شاعر أهل الشام، وأنت شاعر أهل العراق، فأجب الرجل.

فقال النجاشي:

دع يا مـعـاوي مـا لـن يـكـونا

فقد حـقـق الله مـا تـحـذرونـا

أتــاكــم عــلــي بأهـل الـعـراق

وأهــل الحجاز فـمـا تـصـنعـونا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٠/٣، وقعة صفين/٤٨

علـى كـل جـــرداء خيفانــة
وأشـعـث نـهـد يـسـر الـعيونـا
عـليـهـا فــوارس مـحشونــة
كـأسـد الـعـريـن حمين العرينا
يـرون الـطعان خـلال الـعـجـاج
وضـــرب الفوارس في النقع دينا
هــم هـزموا الجمع جمـع الزبيـر
وطـلـحـة والـمعشـر الـناكـثينـا
وآلــوا جـمـيعــاً على حـلقـة
لنهدي إلــى الشام حــرباً زبــونا
يــشـيـب الـنـواهـد قبل المشيـب
وتـلقي الحوامـل مـنـهـا الـجنـينا
فإن تكرهوا الملك ملك الـعـراق
فـقـد رضـي الـقوم ما تـكـرهـونا
فـقـل لـلـمـضـلل مـن وائـــل
ومـن جـعـل الغث يـومـاً سـمـينا
جـعـلـتـم عـلـيـاً وأشـيــاعـه
نـظيـر ابــن هـند أما تستحـونـا

علي أفضل الناس بعد الرسول

وصي الرسول من العالمينا

وصهر الرسول ومن مثله

إذا كان يوم يشيب القرونا[1]

وقال شيخنا أبو جعفر الاسكافي بعد ذكره الأخبار الكثيرة: إن أمير المؤمنين عليه السلام أول من أسلم وآمن، وأما الأشعار فمعروفة كثيرة مشهورة، فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيباً للوليد بن عقبة بن أبي معيط:

وان ولي الأمر بعد محمد   علي وفى كل المواطن صاحبه

وصي رسول الله حقاً وصنوه   واول من صلى ومن لان جانبه[2]

وقال خزيمة بن ثابت:

وصي رسول الله من دون أهله

وفارسه مذ كان في سالف الزمن

وأول من صلى من الناس كلهم

سوى خيرة النسوان والله ذو المنن[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٩/٣

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٣.

وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين بويع أبوبكر:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف

عن هاشم ثم منها عـن أبي حسن

أليس أول مـن صلـى لقبلتكم

وأعلم الناس بالأحكام والسـنـن[1]

وقال ابن يزيد بن حفيفة الأسدي:

فحوطوا علياً وأنصروه فـإنـه   وصي وفـي الإسـلام أول أول

فـإن تخذلوه فالحوادث جمة   فليس لكم عن أرضكم متحول[2]

وقال أبو الحسن الرضي:

أخـذنـا عـليكـم بالنبـي وفاطم

طلاع المساعي مـن مقام ومقعد

وطلنا بسبطي أحـمـد ووصيـه

رقاب الورى من متهمين ومنجد[3]

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٣.

[2] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٣.

[3] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٤/٦.

وقال المأمون في أبيات يمدح فيها علياً عليه السلام أولها:

ألام على حبي الوصي أبي حسن

وذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن[1]

وقال ابن أبي الحديد: نظمت في الارجوزة التي شرحت فيها عقيدة المعتزلة فقلت:

وخير خلق الله بعد المصطفى	أعظم يوم الفخار شرفا
السيد المعظم الوصي	بعد البتول المرتضى علي
وابناه ثم حمزة وجعفر	ثم عتيق بعدهم لاينكر
المخلص الصديق ثم عمر	فاروق دين الله ذاك القسور
وبعده عثمان ذو النورين	هذا هو الحق بغير مين[2]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٤/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٠/١١.

الباب
الحادي والعشرون
في أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
أول من آمن وأسلم وصلى مع النبي صلى الله عليه وآله

قال ابن أبي الحديد: أكثر المحققين وأكثر المحدثين من أهل السيرة رووا أنه عليه السلام أول من أسلم، ونحن نذكر كلام أبي عمر يوسف بن عبد البر المحدث في كتابه المعروف بالإستيعاب.[1]

قال أبو عمر في ترجمة علي عليه السلام: المروى عن سلمان وأبي ذر، والمقداد وخباب، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن أسلم، أن علياً عليه السلام أول من أسلم، وفضله هؤلاء على غيره.[2]

قال أبو عمر: وقال ابن إسحاق: أول من آمن بالله وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو قول ابن شهاب إلاّ أنه قال: من الرجال بعد خديجة.[3]

قال أبو عمر: و حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جرير، قال: حدثنا علي بن عبد الله الدهقان، قال: حدثنا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٦/٤.

[2] - الاستيعاب ٣٣٥/١.

[3] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

محمد بن صالح، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لعلي عليه السلام أربع خصال ليست لأحد غيره، هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي كان معه لواؤه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره.[١]

قال أبو عمر: وروي عن سلمان الفارسي أنه قال: أول هذه الأمة وروداً على نبيها صلى الله عليه وآله الحوض أولها إسلاماً، علي بن أبي طالب.[٢]

قال: روى هذا الحديث مرفوعاً عن سلمان، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أول هذه الأمة وروداً عليّ الحوض أولها إسلاماً، علي بن أبي طالب.[٣]

قال أبو عمر: ورفعه أولى، لأن مثله لا يدرك بالرأي.[٤]

قال أبو عمر: فأما إسناده المرفوع، فإن أحمد بن قاسم، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا ابن الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثني يحيى بن هاشم، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صالح، عن خنيس بن القاسم، عن عليم الكندي، عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أولكم وارداً عليّ الحوض أولكم إسلاماً، علي بن أبي طالب.[٥]

---

[١] - الاستيعاب ٣٣٥/١.

[٢] - الاستيعاب ٣٣٥/١.

[٣] - الاستيعاب ٣٣٥/١.

[٤] - الاستيعاب ٣٣٥/١.

[٥] - الاستيعاب ٣٣٥/١.

قال أبو عمر: وروى أبو داود الطيالسي، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس أنه قال: أول من صلى مع النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه بعد خديجة علي بن أبي طالب.[١]

قال أبو عمر: وحدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب، قال: حدثنا الحسن بن حماد، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس قال: كان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة.[٢]

قال أبو عمر: هذا الإسناد لا مطعن فيه لأحد، لصحته وثقة نقلته، وقد عارض ما ذكرنا في باب أبي بكر ﴿رضي الله عنه﴾، عنه ابن عباس، والصحيح في أمر أبي بكر أنه أول من أظهر إسلامه، كذلك قاله مجاهد وغيره، قالوا: ومنعه قومه.[٣]

قال أبو عمر: اتفق ابن شهاب، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وقتادة، وابن إسحاق على أن أول من أسلم من الرجال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به، ثم علي بعدها. وروى عن أبي رافع مثل ذلك.[٤]

---

[١] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

[٢] - الاستيعاب ٥٨٧/١.

[٣] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

[٤] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

قال أبو عمر: وحدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا قاسم، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد السلام، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، قال: حدثنا عمر مولى عفرة، قال: سئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم علي أم أبي بكر؟ فقال: سبحان الله! علي أولهما إسلاماً، وإنما شبّه على الناس، لأن علياً أخفى إسلامه من أبي طالب، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه.[١]

قال أبو عمر: ولا شك عندنا أن علياً أولهما إسلاماً، ذكر عبد الرزاق في جامعه، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن وغيره قالوا: أول من أسلم بعد خديجة علي بن أبي طالب عليه السلام.[٢]

وروى معمر، عن عثمان الجزري، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: أول من أسلم علي بن أبي طالب.[٣]

قال أبو عمر: روى ابن فضيل، عن الأجلح، عن حبة بن جوين العرني، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين.[٤]

قال: وروى شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن حبة العرني، قال: سمعت علياً يقول: أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.[٥]

---

[١] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

[٢] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[٣] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[٤] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[٥] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

قال أبو عمر: وروى مسلم الملاني، عن أنس بن مالك قال استنبئ النبي ﷺ يوم الإسثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء.[١]

قال أبو عمر: وقال زيد بن أرقم: أول من آمن بالله بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب.[٢]

قال: وروى حديث زيد بن أرقم من وجوه ذكرها النسائي واسلم بن موسى وغيرهما، منها ما حدثنا به عبد الوارث قال: حدثنا قاسم، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: حدثنا شعبة، قال: أخبرني عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا حمزة الأنصاري قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: أول من صلى مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب.[٣]

قال أبو عمر: وحدثنا أبي قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثنا يحيى بن أبي الاشعث، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي، عن أبيه عن جده، قال: كنت امرء تاجراً، فقدمت الحج، فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة - وكان امرء تاجراً - فو الله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رآها قد مالت قام يصلي، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل، فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من

---

[١] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[٢] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[٣] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

ذلك الخباء، فقام معه يصلي، فقلت للعباس: ما هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ابن أخي، قلت: من هذه المرأة؟ قال: امرأته خديجة بنت خويلد، قلت: ما هذا الفتى؟ قال: علي بن أبي طالب ابن عمه، قلت: ما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلاّ امرأته وابن عمه هذا الغلام، وهو يزعم أنه سيفتح على أمته كنوز كسرى وقيصر، قال: فكان عفيف الكندي يقول: وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ كنت أكون ثانياً مع علي.[1]

قال أبو عمر: وقد ذكرنا هذا الحديث من طرق في باب عفيف الكندي من هذا الكتاب.[2]

قال أبو عمر: ولقد قال علي عليه السلام: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله كذا وكذا، لا يصلي معه غيري إلاّ خديجة.[3]

فهذه الروايات والأخبار كلها ذكرها أبو عمر يوسف بن عبد البر في الكتاب المذكور، وهي كما تراها تكاد تكون إجماعاً.

قال أبو عمر: وإنما الإختلاف في كمية سنّه عليه السلام يوم أسلم، ذكر الحسن ابن علي الحلواني في كتاب المعرفة له، قال: حدثنا عبد الله بن صالح،

---

[1] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[2] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[3] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

قال: حدثنا الليث ابن سعد، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن، أنه بلغه أن علياً والزبير أسلما، وهما ابنا ثماني سنين.كذا يقول أبو الأسود يتيم عروة.[١]

وذكره أيضاً ابن أبي خيثمة، عن قتيبة بن سعيد، عن الليث بن سعد، عن أبي الأسود، وذكره عمر بن شبة، عن الحزامي، عن أبي وهب، عن الليث، عن أبي الأسود، قال الليث: وهاجرا وهما ابنا ثمان عشرة سنة.[٢]

قال أبو عمر: ولا أعلم أحداً قال بقول أبي الأسود هذا.[٣]

قال أبو عمر: وروى الحسن بن علي الحلواني، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن قتادة، عن الحسن، قال: أسلم علي وهو ابن خمس عشرة سنة.[٤]

قال أبو عمر: وأخبرنا أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل الطوسي، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج، قال: حدثنا محمد بن مسعود، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن الحسن، قال: أسلم علي - وهو أول من أسلم - وهو ابن خمس عشرة سنة، أو ست عشرة سنة.[٥]

---

[١] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

[٢] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

[٣] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

[٤] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

[٥] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

قال أبو عمر: قال ابن وضاح: وما رأيت أحداً قط أعلم بالحديث من محمد بن مسعود، ولا بالرأي من سحنون.[١]

قال أبو عمر: قال ابن إسحاق: أول ذكر آمن بالله ورسوله علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يومئذ ابن عشر سنين.[٢]

قال أبو عمر: والروايات في مبلغ سنّه عليه السلام مختلفة، قيل: أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل: ابن خمس عشرة سنة، وقيل: ابن ست عشرة، وقيل: ابن عشر، وقيل: ابن ثمان.[٣]

قال أبو عمر: وذكر عمر بن شبة، عن المدائني، عن ابن جعدة، عن نافع، عن ابن عمر قال: أسلم علي وهو ابن ثلاث عشرة سنة.[٤]

قال: وأخبرنا إبراهيم بن المنذر الحرامي، قال: حدثنا محمد بن طلحة، قال: حدثني جدي إسحاق بن يحيى، عن طلحة، قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير ابن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص عداداً واحداً.[٥]

قال: وأخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال: حدثنا إسماعيل بن علي الحطبي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي،

---

[١] - الاستيعاب ١/٣٣٦.

[٢] - الاستيعاب ١/٣٣٦.

[٣] - الاستيعاب ١/٣٣٦.

[٤] - الاستيعاب ١/٣٣٦.

[٥] - الاستيعاب ١/٣٣٦.

قال: حدثنا حجين أبو عمر، قال: حدثنا حيان، عن معروف، عن أبي معشر، قال: كان علي عليه السلام وطلحة والزبير في سن واحدة.[١]

قال: وروى عبد الرزاق، عن الحسن وغيره: أن أول من أسلم بعد خديجة علي ابن أبي طالب عليه السلام، وهو ابن خمس عشرة سنة، أو ست عشرة.[٢]

قال أبو عمر: وروى أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا شريح بن النعمان، قال: حدثنا الفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ابن عمر، قال: أسلم علي وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.[٣]

قال أبو عمر: هذا أصح ما قيل في ذلك والله أعلم.[٤]

انتهى حكاية كلام أبي عمر في كتاب الاستيعاب.[٥]

واعلم أن شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون في أن أول الناس إسلاماً علي ابن أبي طالب عليه السلام إلاّ من عساه خالف في ذلك من أوائل البصريين، فأما الذي تقررت المقالة عليه الآن فهو القول بأنه أسبق الناس إلى الإيمان، لا تكاد تجد اليوم في تصانيفهم وعند متكلميهم والمحققين منهم خلافاً في ذلك.[٦]

---

[١] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

[٢] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[٣] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[٤] - الاستيعاب ٣٣٧/١.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٢/٤.

[٦] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٢/٤.

وأسعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام ما زال يدعي ذلك لنفسه، ويفتخر به، ويجعله في أفضليته على غيره، ويصرح بذلك، وقد قال غير مرة: أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته.[١]

وروى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمد بن قتيبة في كتاب المعارف وهو غير متهم في أمره.[٢]

ومن الشعر المروي عنه عليه السلام في هذا المعنى الأبيات التي أولها:

محمد النبي أخي وصهري   وحمزة سيد الشهداء عمي[٣]

ومن جملتها:

سبقتكم إلى الإسلام طراً   غلاماً ما بلغت أوان حلمي

والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جداً لا يتسع هذا الكتاب لذكرها، فلتطلب من مظانها، ومن تأمل كتب السير والتواريخ عرف من ذلك ما قلناه.[٤]

فأما الذاهبون إلى أن أبا بكر أقدمهما إسلاماً فنفر قليلون، ونحن نذكر ما أورده ابن عبد البر أيضاً في كتاب الإستيعاب في ترجمة أبي بكر ﴿رضي الله عنه﴾.[٥]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٢/٤.

[٢] - المعارف لابن قتيبة

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٢/٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٢/٤.

[٥] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٣/٤.

قال أبو عمر: حدثني خالد بن القاسم، قال: حدثنا أحمد بن محبوب، قال: حدثنا محمد ابن عبدوس، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا شيخ لنا، قال: أخبرنا مجالد، عن الشعبي، قال: سألت ابن عباس أو سئل: أي الناس كان أول إسلاماً؟ فقال: أما سمعت قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة　　فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها　　بعد النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده　　وأول الناس منهم صدق الرسلا[1]

ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله قال لحسان: هل قلت في أبي بكر شيئاً؟ قال: نعم، وأنشده هذه الأبيات، وفيها بيت رابع:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد

طاف العدو به إذ صعدوا الجبلا

فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أحسنت يا حسان.[2]

وقد روى فيها بيت خامس:

وكان حب رسول الله قد علموا　　من البرية لم يعدل به رجلا[3]

---

[1] - الاستيعاب ٢٩٤/١.

[2] - الاستيعاب ٢٩٥/١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٣/٤.

[3] - الاستيعاب ٢٩٥/١.

قال أبو عمر: وروى شعبة، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم النخعي، قال: أول من أسلم أبو بكر.[١]

وقال: وروى الجريري، عن أبي نصر، قال: قال أبو بكر لعلي عليه السلام: أنا أسلمت قبلك، في حديث ذكره فلم ينكره عليه.[٢]

قال أبو عمر: وقال فيه أبو محجن الثقفي:

وسميت صديقاً وكل مهاجر ... سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت إلى الإسلام والله شاهد ... وكنت جليساً بالعريش المشهر

وبالغار إذ سميت خلا وصاحباً ... وكنت رفيقاً للنبي المطهر[٣]

قال: وروينا من وجوه، عن أبي أمامة الباهلي، قال: حدثني عمرو بن عنبسة، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نازل بعكاظ، فقلت: يا رسول الله من اتبعك على هذا الأمر؟ فقال: حر وعبد: أبو بكر وبلال.

قال: فأسلمت عند ذلك، وذكر الحديث.[٤]

هذا مجموع ما ذكره أبو عمر بن عبد البر في هذا الباب في ترجمة أبي بكر، ومعلوم أنه لا نسبة لهذه الروايات إلى الروايات التي ذكرها في ترجمة علي عليه السلام الدالة على سبقه.

---

[١] - الاستيعاب ٢٩٥/١.

[٢] - الاستيعاب ٢٩٥/١.

[٣] - الاستيعاب ٢٩٥/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٤/٤، الاستيعاب ٢٩٥/١.

ولا ريب أن الصحيح ما ذكره أبو عمر أن علياً عليه السلام كان هو السابق، وأن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه، فظن أن السبق له.[١]

وأما زيد بن حارثة، فإن أبا عمر بن عبد البر ذكر في كتاب الاستيعاب أيضاً في ترجمة زيد بن حارثة قال: ذكر معمر بن شبة في جامعه عن الزهري أنه قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة.[٢]

قال عبد الرزاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري.[٣]

قال: فأما ما أحتج به الجاحظ لإمامة أبي بكر بكونه أول الناس إسلاماً، فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لأحتج به أبو بكر يوم السقيفة، وما رأيناه صنع ذلك، لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح، وقال للناس: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا منهما من شئتم، ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لما قال عمر: كانت بيعه أبي بكر فلتة وقى الله شرها، ولو كان احتجاجاً صحيحاً لأدعى واحد من الناس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام، وما عرفنا أحداً ادعى له ذلك، على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم الاّ بعد عدة من الرجال، منهم علي ابن أبي طالب، وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبو ذر الغفاري، وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخباب بن الارت، وإذا تأملنا الروايات

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٤/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٤/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٤/٤.

الصحيحة، والأسانيد القوية والوثيقة، وجدناها كلها ناطقة بأن علياً عليه السلام أول من أسلم.[١]

فأما الرواية عن ابن عباس أن أبا بكر أولهم إسلاماً، فقد روي عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما رووا وأشهر، فمن ذلك ما رواه يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، وسعيد ابن عيسى، عن أبي داود الطيالسي، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، أنه قال: أول من صلى من الرجال علي عليه السلام.[٢]

وروى الحسن البصري، قال: حدثنا عيسى بن راشد، عن أبي بصير، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: فرض الله تعالى الاستغفار لعلي عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى: ﴿**ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾ فكل من أسلم بعد علي عليه السلام فهو يستغفر لعلي عليه السلام.[٣]

وروى سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: السباق ثلاثة، سبق يوشع بن نون إلى موسى، وسبق صاحب ياسين إلى عيسى، وسبق علي بن أبي طالب إلى محمد ﴿عليه وعليهم السلام﴾.[٤]

فهذا قول ابن عباس في سبق علي عليه السلام إلى الإسلام، وهو أثبت من حديث الشعبى وأشهر، على أنه قد روي عن الشعبي خلاف ذلك من حديث

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٤/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٤/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٤/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٥/١٣.

أبي بكر الهذلي، وداود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: هذا أول من آمن بي، وصدقني وصلى معي.[1]

قال: فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها، فمنها ما روى شريك بن عبد الله، عن سليمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: أول شيء علمته من أمر رسول الله ﷺ أني قدمت مكة مع عمومة لي وناس من قومي، وكان في أنفسنا شراء عطر، فأرشدنا إلى العباس بن عبد المطلب، فانتهينا إليه، وهو جالس إلى زمزم، فبينا نحن عنده جلوساً، إذ أقبل رجل من باب الصفا، وعليه ثوبان أبيضان، وله وفرة إلى انصاف أذنيه جعدة، أشم أقنى، أدعج العينين، كث اللحية، براق الثنايا، أبيض تعلوه حمرة، كأنه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم، حسن الوجه، تقفوهم إمرأة، قد سترت محاسنها، حتى قصدوا نحو الحجر فاستلمه واستلمه الغلام، ثم استلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً، والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم أستقبل الحجر، فقام ورفع يديه وكبر، وقام الغلام إلى جانبه، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها، وكبرت، فأطال القنوت، ثم ركع وركع الغلام والمرأة، ثم رفع رأسه فاطال، ورفع الغلام والمرأة معه ثم سجد، وسجد الغلام والمرأة معه، يصنعون مثل ما يصنع، فلما رأينا شيئاً ننكره لا نعرفه بمكة، أقبلنا على العباس، فقلنا: يا أبا الفضل، إن هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم، قال: أجل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٥/١٣.

والله، قلنا: فمن هذا؟ قال: هذا ابن اخي، هذا محمد بن عبد الله، وهذا الغلام ابن أخي أيضاً، هذا علي بن أبي طالب، وهذه المرأة زوجة محمد، هذه خديجة بنت خويلد، والله ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلاّ هؤلاء الثلاثة.[١]

ومن حديث موسى بن داود، عن خالد بن نافع، عن عفيف بن قيس الكندي، وقد رواه عن عفيف أيضاً، مالك بن إسماعيل النهدي، والحسن بن عنبسة الوراق، وإبراهيم بن محمد بن ميمونة، قالوا جميعاً: حدثنا سعيد بن خيثم، عن أسد بن عبد الله البجلي، عن يحيى بن عفيف بن قيس، عن أبيه، قال: كنت في الجاهلية عطاراً، فقدمت مكة، فنزلت على العباس بن عبدالمطلب، فبينا أنا جالس عنده انظر إلى الكعبة، وقد تحلقت الشمس في السماء، أقبل شاب كأن في وجهه القمر حتى رمى ببصره إلى السماء، فنظر إلى الشمس ساعة، ثم أأقبل حتى دنا من الكعبة، فصف قدميه يصلي، فخرج على اثره فتى كأن وجهه صفيحة يمانية، فقام عن يمينه، فجاءت امرأة متلففة في ثيابها، فقامت خلفهما، فاهوى الشاب راكعاً، فركعا معه، ثم أهوى إلى الأرض ساجداً، فسجدا معه، فقلت للعباس: يا أبا الفضل أمر عظيم، فقال: أمر والله عظيم، أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال هذا ابن أخي، هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، أتدري من هذا الفتى؟ قلت: لا، قال: هذا ابن أخي علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، أتدري من المرأة؟ قلت: لا، قال: هذه

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٥/١٣.

ابنة خويلد بن اسد بن عبد العزى، هذه خديجة زوج محمد هذا، وأن محمداً هذا يذكر أن إلهه إله السماء والأرض، وأمره بهذا الدين فهو عليه كما ترى، ويزعم أنه نبي، وقد صدقه على قوله علي ابن عمه هذا الفتى، وزوجته خديجة، هذه المرأة، والله ما أعلم على وجه الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

قال عفيف: فقلت له: فما تقولون أنتم؟ قال: ننتظر الشيخ ما يصنع، يعني أبا طالب أخاه.[1]

وروى عبد الله بن موسى، والفضل بن دكين، والحسن بن عطية، قالوا: حدثنا خالد بن طهمان، عن نافع بن أبي نافع، عن معقل بن يسار، قال: كنت أوصى النبي صلى الله عليه وآله، فقال لي: هل لك أن نعود فاطمة؟ قلت: نعم يا رسول الله، فقام يمشي متوكئاً عليّ، وقال: أما إنه سيحمل ثقلها غيرك، ويكون أجرها لك، قال: فوالله كأنه لم يكن عليّ من ثقل النبي صلى الله عليه وآله شيء، فدخلنا على فاطمة عليها السلام، فقال لها صلى الله عليه وآله: كيف تجدينك؟ قالت: لقد طال سقمي، وأشتد حزني، وقال لي النساء زوجك أبوك فقيراً لا مال له، فقال لها: أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأفضلهم حلماً، قالت: بلى، رضيت يا رسول الله.[2]

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٦/١.

[2] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٧/١٣.

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد، وعبد السلام بن صالح، عن قيس بن الربيع، عن أبي أيوب الأنصاري، بألفاظه أو نحوها.[١]

وروى عبد السلام بن صالح، عن إسحاق الأزرق، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما زوج فاطمة، دخل النساء عليها، فقلن: يا بنت رسول الله، خطبك فلان وفلان، فردهم عنك، وزوّجك فقيراً لا مال له، فلما دخل عليها ابوها صلى الله عليه وآله رأى ذلك في وجهها، فسألها فذكرت له ذلك، فقال: يا فاطمة، إن الله أمرني فأنكحتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، وما زوجتك الاّ بامر من السماء، أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة.[٢]

وروى عثمان بن سعيد، عن الحكم بن ظهير، عن السدي، أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة عليها السلام، فردهما رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: لم اؤمر بذلك، فخطبها علي عليه السلام فزوّجه إياها، وقال لها: زوّجتك أقدم الأمة اسلاماً، وذكر تمام الحديث.[٣]

قال: وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة، منهم اسماء بنت عميس، وأم أيمن، وابن عباس، وجابر بن عبد الله.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

قال: وقد روى محمد بن عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده أبي رافع، قال: أتيت أبا ذر بالربذة أودعه، فلما أردت الإنصراف، قال لي وللناس معي: ستكون فتنة، فأتقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب، فأتبعوه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له: أنت أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري، وخير من أترك بعدي، تقضي ديني، وتنجز موعدي.[١]

قال: وقد روى ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن نمير، عن العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها غيري الاّ كذاب، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين.[٢]

وروت معاذة بنت عبد الله العدوية قالت: سمعت علياً عليه السلام يخطب على منبر البصرة ويقول: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٨/١٣.

وروى حبة بن جوين العرني أنه سمع علياً عليه السلام يقول: أنا أول رجل أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله.[1]

رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن حبة بن جوين.[2]

وروى عثمان بن سعيد الخراز، عن علي بن عامر، عن أبي الحجاف، عن حكيم مولى زاذان، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: صليت قبل الناس سبع سنين، وكنا نسجد ولا نركع، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر، فقلت: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: أمرت به.[3]

وروى إسماعيل بن عمرو، عن قيس بن الربيع، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله، قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الإثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء بعده.[4]

وفى الرواية الأخرى ، عن انس بن مالك استنبيء النبي صلى الله عليه وآله يوم الإثنين ، وأسلم علي يوم الثلاثاء بعده.[5]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/ ٢٢٨.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٣.

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٣.

[5] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٣.

وروى أبو رافع أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى أول صلاة صلاها غداة الإثنين، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك، وصلى علي عليه السلام يوم الثلاثاء غدا ذلك اليوم.[١]

قال: وقد روي بروايات مختلفة كثيرة متعددة، عن زيد بن أرقم، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، وانس بن مالك، أن علياً عليه السلام أول من أسلم، وذكر الروايات والرجال بأسمائهم.[٢]

وروى سلمة بن كهيل، عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أولكم وروداً عليّ الحوض أولكم إسلاماً، علي بن أبي طالب.[٣]

وروى ياسين بن محمد بن ايمن، عن أبي حازم، مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول: كفوا عن علي بن أبي طالب، فإني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه خصالاً، لو أن خصلة منها في جميع آل الخطاب كان أحب لي مما طلعت عليه الشمس، كنت ذات يوم وأبو بكر وعثمان، وعبد الرحمن ابن عوف، وأبو عبيدة مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله نطلبه، فأنتهينا إلى باب أم سلمة، فوجدنا علياً متكئاً على نجاف الباب، فقلنا: أردنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: هو في البيت، رويدكم،

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٣.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٣.

[٣] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٣.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فسرنا حوله، فأتكأ على علي عليه السلام وضرب بيده على منكبه، فقال: ابشر يا علي ابن أبي طالب، إنك مخاصم، وإنك تخصم الناس بسبع لا يجاريك أحد في واحدة منهن، أنت أول الناس إسلاماً، وأعلمهم بأيام الله، وذكر الحديث.[١]

قال: وقد روى أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله مثل هذا الحديث.[٢]

قال: روى أبو أيوب الأنصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: لقد صلت الملائكة عليّ وعلى علي عليه السلام سبع سنين، وذلك أنه لم يصل معي رجل فيها غيره.[٣]

قال أبو جعفر: فأما ما رواه الجاحظ من قوله صلى الله عليه وآله: إنما تبعني حر وعبد، فإنه لم يسم في هذا الحديث أبا بكر وبلالاً، وكيف وأبو بكر لم يشتر بلالاً إلاّ بعد ظهور الإسلام بمكة، فلما أظهر بلال إسلامه عذبه أمية بن خلف، ولم يكن ذلك حال إخفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الدعوة، ولا في ابتداء أمر الإسلام.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٩/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٠/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٠/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٠/١٣.

وقد قيل إنه عليه السلام إنما عنى بالحر علي بن أبي طالب، وبالعبد زيد بن حارثة.[1]

وروى ذلك محمد بن إسحاق، قال: وقد روى إسماعيل بن نصر الصفار، عن محمد ابن ذكوان، عن الشعبي، قال: قال الحجاج للحسن، وعنده جماعة من التابعين، وذكر علي بن أبي طالب ما تقول أنت يا حسن؟ فقال: ما اقول! هو أول من صلى إلى القبلة، وأجاب دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن لعلي منزلة من ربه، وقرابة من رسوله، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردها أحد، فغضب الحجاج غضباً شديداً، وقام عن سريره فدخل بعض البيوت، وأمر بصرفنا.[2]

قال الشعبي: وكنا جماعة ما منا الأ من نال من علي عليه السلام مقاربة للحجاج غير الحسن بن أبي الحسن رحمه الله.[3]

وروى محرز بن هشام، عن إبراهيم بن سلمه، عن محمد بن عبيد الله، قال: قال رجل للحسن: ما لنا لا نراك تثني على علي وتقرظه؟ قال: كيف وسيف الحجاج يقطر دما! إنه لأول من أسلم، وحسبكم بذلك.[4]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٣.

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٣.

قال: فهذه الأخبار، وأما الأشعار المروية فمعروفة كثيرة منتشرة، فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيباً للوليد بن عقبه بن أبي معيط :

وإن ولي الأمر بعد محمد　　علي وفى كل المواطن صاحبه
وصي رسول الله حقاً وصنوه　　وأول من صلى ومن لان جانبه[١]

وقال خزيمة بن ثابت في هذا:

وصي رسول الله من دون أهله　　وفارسه مذ كان في سالف الزمن
واول من صلى من الناس كلهم　　سوى خيرة النسوان والله ذو منن[٢]

وقال أبو سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف
عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتهم
وأعلم الناس بالأحكام والسنن[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٣.
[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٣.
[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٣.

وقال أبو الاسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير:

وإن علياً لكم مفخـر　　　يماثله الأسد الأسود

أما إنه أول العابديـن　　　بمكة والله لا يعـبد[١]

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين:

هذا علي وابن عم المصطفى　　　أول مـــــن أجابه فيما روى

هو الإمام لا يبالي من غوى[٢]

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا علياً وانـصـروه فإنـه　　　وصـي وفـي الإسلام أول أول

وإن تخذلوه والحـوادث جـمـة　　　فليس لكم عن أرضكم متحول[٣]

قال: والأشعار كالأخبار إذا امتنع في مجيء القبيلين التواطؤ والإتفاق كان ورودهما حجة.

فأما قول الجاحظ: فأوسط الأمور أن نجعل اسلامهما معاً، فقد أبطل بهذا ما أحتج به لإمامة أبي بكر، لأنه أحتج بالسبق، وقد عدل الآن عنه.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٣.

قال أبو جعفر: ويقال لهم لسنا نحتاج من ذكر سبق علي عليه السلام الاّ مجامعتكم إيانا على أنه أسلم قبل الناس، ودعواكم أنه أسلم وهو طفل دعوى غير مقبوله إلاّ بحجة.[1]

فإن قلتم: ودعوتكم أنه أسلم وهو بالغ دعوى غير مقبوله الاّ بحجة.

قلنا: قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم، ولو كان طفلاً لكان في الحقيقة غير مسلم، لأن إسم الإيمان والإسلام والكفر، والطاعة والمعصية، إنما يقع على البالغين دون الأطفال والمجانين، وإذا أطلقتم وأطلقنا إسم الإسلام ، فالأصل في الإطلاق الحقيقة، كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: أنت أول من آمن بي، وأنت أول من صدقني، وقال لفاطمة: زوّجتك أقدمهم سلماً - أو قال إسلاماً -.[2]

فإن قالوا: إنما دعاه النبي صلى الله عليه وآله إلى الإسلام على جهة العرض لا التكليف.

قلنا: قد وافقتمونا على الدعاء، وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف، ثم ادعيتم إن ذلك كان على وجه العرض، وليس لكم أن تقلبوا معنى الدعاء عن وجهه الاّ بحجة.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٣/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٣/١٣.

فإن قالوا: لعله كان على وجه التأديب والتعليم، كما يعتمد مثل ذلك مع الأطفال.

قلنا: إن ذلك إنما يكون إذا تمكن الإسلام بأهله، أو عند النشوء عليه والولادة فيه، فأما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك، لا سيما إذا كان الإسلام غير معروف ولا معتاد بينهم، على أنه ليس من سنة النبي صلى الله عليه وآله دعاء اطفال المشركين إلى الإسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم.[١]

وأيضاً فمن شأن الطفل اتباع أهله وتقليد أبيه، والمضي على منشئه ومولده، وقد كانت منزلة النبي صلى الله عليه وآله حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة، وهذه منازل لا ينتقل إليها إلاّ من ثبت الإسلام عنده بحجة، ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة.[٢]

فإن قالوا: إن علياً عليه السلام كان يألف النبي صلى الله عليه وآله، فوافقه على طريق المساعدة له.

قلنا: إنه وإن كان يألفه أكثر من أبويه وأخوته وعمومته وأهل بيته، ولم يكن الإلف ليخرجه عما نشأ عليه، ولم يكن الإسلام مما غذى به وكرر على سمعه، لأن الإسلام هو خلع الأنداد والبراءة ممن أشرك بالله، وهذا لا يجتمع في اعتقاد طفل.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٣/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٣/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٣/١٣.

ومن العجب قول العباس لعفيف بن قيس ننتظر الشيخ وما يصنع، فإذا كان العباس وحمزة ينتظران أبا طالب، ويصدران عن رأيه، فكيف يخالفه إبنه، ويؤثر القلة على الكثرة، ويفارق المحبوب إلى المكروه، والعز إلى الذل، والأمن إلى الخوف عن غير معرفة ولا علم بما فيه.[١]

فأما قوله: إن المقلل يزعم أنه أسلم وهو ابن خمس سنين، والمكثر يزعم أنه أسلم وهو ابن تسع سنين.[٢]

فأول ما يقال في ذلك: أن الأخبار جاءت في سنّه عليه السلام يوم أسلم على خمسة أقسام، فجعلها في قسمين:

القسم الأول

الذين قالوا أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة

حدثنا بذلك أحمد بن سعيد الأسدي، عن إسحاق بن بشر القرشي، عن الأوزاعي، عن حمزة بن حبيب، عن شداد بن أوس، قال: سألت خباب بن الأرت عن إسلام علي، فقال: أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، ولقد رأيته يصلي قبل الناس مع النبي صلى الله عليه وآله وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٣٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٣٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٣٤.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن، إن أول من أسلم علي بن أبي طالب، وهو ابن خمس عشرة سنة.[1]

القسم الثاني

الذين قالوا انه أسلم وهو ابن اربع عشرة سنة

رواه أبو قتادة الحراني، عن أبي حازم الأعرج، عن حذيفة بن اليمان، قال: كنا نعبد الحجارة، ونشرب الخمر، وعلي من أبناء أربع عشرة سنة، قائم يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله ليلاً ونهاراً، وقريش يومئذ تسافه رسول الله صلى الله عليه وآله ما يذب عنه إلاّ علي عليه السلام.[2]

وروى ابن أبي شيبة، عن جرير بن عبد الحميد، قال: أسلم علي وهو ابن أربع عشرة سنة.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٤/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٤/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٤/١٣.

القسم الثالث

الذين قالوا أسلم وهو ابن احدى عشرة سنة

رواه إسماعيل بن عبد الله الرقي، عن محمد بن عمر، عن عبد الله بن سمعان، عن جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه، عن محمد بن علي عليه السلام، أن علياً حين أسلم كان ابن احدى عشرة سنة.[١]

وروى عبد الله بن زياد المدائني، عن محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: أول من آمن بالله علي بن أبي طالب، وهو ابن احدى عشرة سنة، وهاجر إلى المدينة وهو ابن أربعة وعشرين سنة.[٢]

القسم الرابع

الذين قالوا إنه أسلم وهو ابن عشر سنين

رواه نوح بن دراج، عن محمد بن إسحاق، قال: أول ذكر آمن وصدق بالنبوة علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ابن عشر سنين، ثم أسلم زيد بن حارثة، ثم أسلم أبو بكر، وهو ابن ست وثلاثين سنة فيما بلغنا.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

القسم الخامس

الذين قالوا إنه أسلم وهو ابن تسع سنين

رواه الحسن بن عنبسة الوراق، عن سليم مولى الشعبي، عن الشعبي قال: أول من أسلم من الرجال علي ابن أبي طالب، وهو ابن تسع سنين، وكان له يوم قبض رسول الله ﷺ تسع وعشرون سنة.[1]

قال شيخنا أبو جعفر: فهذه الأخبار كما تراها، فاما أن يكون الجاحظ جهلها أو قصد العناد.

فأما قوله: فالقياس أن نأخذ بأوسط الأمرين من الروايتين، فنقول إنه أسلم وهو ابن سبع سنين، فإن هذا تحكم منه، ويلزمه مثله في رجل ادعى قبل رجل عشرة دراهم، فأنكر ذلك وقال إنما يستحق قبلي أربعة دراهم، فينبغي أن نأخذ الأمر المتوسط ويلزمه سبعة دراهم، ويلزمه في أبي بكر حيث قال قوم كان كافراً، وقال قوم كان إماماً عادلاً، أن نقول أعدل الأقاويل أوسطها وهو منزلة بين المنزلتين، فنقول كان فاسقاً ظالماً، وكذلك في جميع الأمور المختلف فيها.

فأما قوله: وإنما يعرف حق ذلك من باطله، بأن نحصي سني ولاية عثمان وعمر وأبي بكر وسني الهجرة، ومقام النبي ﷺ بمكة بعد الرسالة إلى أن هاجر.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

فيقال له: لو كانت الروايات متفقة على هذه التاريخات، لكان لهذا القول مساغ، ولكن الناس قد اختلفوا في ذلك، فقيل: إن رسول الله ﷺ أقام بمكة بعد الرسالة خمس عشرة سنة، رواه ابن عباس، وقيل ثلاث عشرة سنة، وروي عن ابن عباس أيضاً، واكثر الناس يرونه، وقيل: عشر سنين، رواه عروة بن الزبير، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن المسيب.

واختلفوا في سن رسول الله ﷺ فقال قوم: كان ابن خمس وستين، وقيل: كان ابن ثلاث وستين، وقيل: كان ابن ستين.

واختلفوا في سن علي عليه السلام فقيل: كان ابن سبع وستين، وقيل: كان ابن خمس وستين، وقيل: ابن ثلاث وستين، وقيل: ابن ستين، وقيل: ابن تسع وخمسين.[١]

فكيف يمكن مع هذه الإختلافات تحقيق هذه الحال، وإنما الواجب أن يرجع إلى اطلاق قولهم أسلم علي، فإن هذا الإسم لا يكون مطلقاً إلاّ على البالغ، كما لا يطلق إسم الكافر إلاّ على البالغ، على إن ابن احدى عشرة سنة يكون بالغاً، ويولد له الأولاد، فقد روت الرواة أن عمرو بن العاص لم يكن أسن من إبنه عبد الله إلاّ باثنتي عشرة سنة، وهذا يوجب أنه احتلم وبلغ في أقل من احدى عشرة سنة.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

وروى أيضاً أن محمد بن عبد الله بن العباس كان أصغر من إبيه علي بن عبد الله ابن العباس باحدى عشرة سنة، فيلزم الجاحظ أن يكون عبد الله بن العباس حين مات رسول الله ﷺ غير مسلم على الحقيقة، ولا مثاب، ولا مطيع بالإسلام، لأنه كان يومئذ ابن عشر سنين.[١]

رواه هيثم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين.[٢]

وفي كلام قد ذكره أهل السير، وقد أوردنا بعضه فيما تقدم، ثم قال لهم: انشدكم الله أفيكم أحد آخا رسول الله بينه وبين نفسه حين آخا بين بعض المسلمين وبعض غيري؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله من كنت مولاه فهذا مولاه غيري؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم من قال له رسول الله أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي غيري؟ قالوا: لا، قال: أفيكم من اؤتمن على سورة براءة، وقال له رسول الله ﷺ إنه لا يؤدي عني إلاّ أنا أو رجل مني غيري؟ قالوا: لا، قال: ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله فروا عنه في ناقط الحرب في غير موطن وما فررت قط؟ قالوا: بلى، قال: ألا تعلمون أني أول الناس إسلاماً؟ قالوا: بلى، قال: فأينا أقرب إلى رسول الله؟ قالوا: أنت.

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه، وقال: يا علي قد أبى الناس إلاّ عثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً.

قال: يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر؟

قال: أن أقتل من شق عصا الجماعة!

قال عبد الرحمن لعلي: بايع إذاً وإلاّ كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين، وانفذنا فيك ما أمرنا به.

فقال: لقد علمتم أني أحق بها من غيري، والله لأسلمن الفضل إلى آخره، ثم مد يده فبايع.[١]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يذم فيها أهل العراق: ولقد بلغني أنهم يقولون يكذب، قاتلهم الله فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به، أم على نبيه؟ فأنا أول من صدقه.[٢]

وقال نصر: وخطب عبدالله بن العباس أهل العراق يومئذ فقال: الحمد لله رب العالمين، الذى دحا تحتنا سبعاً، وسمك فوقنا سبعاً، وخلق فيما بينهن خلقاً، وأنزل لنا منهن رزقاً، ثم جعل لكل شيء قدراً، يبلى ويفنى غير وجهه الحي القيوم، الذي يحيا ويبقى.[٣]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

إن الله تعالى بعث أنبياء ورسلاً، فجعلهم حججاً على عباده، عذراً أو نذراً، لا يطاع إلاّ بعلمه وإذنه، يمنّ بالطاعة على من يشاء من عباده، ثم يثيب عليها، ويعصى بعلم منه، فيعفو ويغفر بحلمه، لا يقدر قدره، ولا يبلغ شيء مكانه، أحصى كل شيء عدداً، وأحاط بكل شيء علماً.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الهدى، والنبي المصطفى، وقد ساقنا قدر الله إلى ما ترون، حتى كان مما اضطرب من حبل هذه الأمة، وانتشر من أمرها، أن معاوية بن أبي سفيان وجد من طغام الناس أعواناً على علي ابن عم رسول الله وصهره، وأول ذكر صلى معه، بدري، قد شهد مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كل مشاهده التي فيها الفضل، ومعاوية مشرك، كان يعبد الأصنام.

والذى ملك الملك وحده، وبان به وكان أهله، لقد قاتل علي بن أبي طالب مع رسول الله، وهو يقول: صدق الله ورسوله، ومعاوية يقول: كذب الله ورسوله، فعليكم بتقوى الله، والجد والحزم، والصبر، والله إنا لنعلم إنكم لعلى حق، وإن القوم لعلى باطل، فلا يكونن أولى بالجد على باطلهم منكم في حقكم، وإنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدى غيركم، اللهم أعنا، ولا تخذلنا، وانصرنا على عدونا، ولا تحل عنا، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

وقـال: قال: ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة والمغازي، فإنه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث والمؤرخين، ومصنفه شيخ الناس كلهم.

قال محمد بن إسحاق رحمه الله: لم يسبق علياً عليه السلام إلى الإيمان بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وآله أحد من الناس، اللهم إلاّ أن تكون خديجة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله.[1]

قال: وكان صلى الله عليه وآله يخرج ومعه علي مستخفين من الناس، فيصليان الصلوات في بعض شعاب مكة، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا بذلك ما شاء الله أن يمكثا، لا ثالث لهما.[2]

ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لمحمد صلى الله عليه وآله: يا ابن أخي، ما هذا الذي تفعله؟ فقال: أي عم، هذا دين الله، ودين ملائكته ورسله، ودين أبينا إبراهيم، أو كما قال عليه السلام: بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه.[3]

قال: فقال أبو طالب: إني لا أستطيع يا ابن أخي أن أفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص اليك شيء تكرهه ما بقيت،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

فزعموا أنه قال لعلى: أي بني، ما هذا الذي تصنع؟ قال: يا أبتاه، آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به، وصليت إليه، وأتبعت قول نبيه.[1]

فزعموا أنه قال له: أما إنه لا يدعوك، أو لن يدعوك إلاّ إلى خير، فالزمه.[2]

وقال: وروى أبو عبيد الله محمد بن موسى بن عمران المزرباني، قال: كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائي ممن وفد على رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فأسلم، ثم صحب علياً عليه السلام، وشهد معه صفين، وكان من رجاله المشهورين، ثم وفد على معاوية، وكان معاوية لا يثبته معرفة بعينه، فدخل عليه في جملة الناس، فلما انتهى إليه استنسبه، فأنتسب له، فقال: أنت صاحب ليلة الهرير؟ قال: نعم، قال: والله ما تخلو مسامعي من رجزك تلك الليلة، وقد علا صوتك أصوات الناس، وأنت تقول:

شدوا فداء لكم أمي والأب
فإنما الأمر غداً لمن غلب

هذا ابن عم المصطفى والمنتجب
ينميه للعلياء سادات العرب

ليس بموصوم إذا نص النسب
أول من صلى وصام واقترب

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

قال: نعم، أنا قائلها، قال: فلماذا قلتها؟

قال: لأنا كنا مع رجل لا نعلم خصلة توجب الخلافه، ولا فضيلة تصير إلى التقدمة إلاّ وهي مجموعة له، كان أول الناس سلماً، وأكثرهم علماً، وأرجحهم حلماً.

فأت الجياد فلا يشق غباره
يستولى على الامد فلا يخاف عثاره
وأوضح منهج الهدى فلا يبيد مناره
وسلك القصد فلا تدرس آثاره

فلما ابتلانا الله تعالى بافتقاده، وحول الأمر إلى من يشاء من عباده، دخلنا في جمله المسلمين، فلم ننزع يداً عن طاعة، ولم نصدع صفاه جماعة، على أن لك منا ما ظهر، وقلوبنا بيد الله، وهو أملك بها منك، فأقبل صفونا، وأعرض عن كدرنا، ولا تثر كوامن الأحقاد، فإن النار تقدح بالزناد.

قال معاويه: وإنك لتهددني يا أخا طي بأوباش العراق، أهل النفاق، ومعدن الشقاق!

فقال: يا معاوية، هم الذين أشرقوك بالريق، وحبسوك في المضيق، وذادوك عن سنن الطريق، حتى لذت منهم بالمصاحف، ودعوت إليها من صدق بها وكذبت، وآمن بمنزلها وكفرت، وعرف من تأويلها ما أنكرت.

فغضب معاوية وأدار طرفه فيمن حوله، فإذا جلهم من مضر ونفر قليل من اليمن، فقال: أيها الشقي الخائن، إني لأخال أن هذا آخر كلام تفوه به -

وكان عفير بن سيف بن ذي يزن بباب معاوية حينئذ - فعرف موقف الطائي، ومراد معاوية، فخافه عليه، فهجم عليهم الدار، وأقبل على اليمانية، فقال: شاهت الوجوه ذلاً وقلاً، وجدعاً وفلاً، كشم الله هذه الأنف كشماً مرعياً.

ثم التفت إلى معاوية، فقال: إني والله يا معاوية ما أقول قولي هذا حباً لأهل العراق، ولا جنوحاً إليهم، ولكن الحفيظة تذهب الغضب، لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة يعني - صعصعة بن صوحان - وهو أعظم جرماً عندك من هذا، وأنكأ لقلبك، وأقدح في صفاتك، وأجد في عداوتك، وأشد انتصاراً في حربك، ثم أثبته وسرحته، وأنت الآن مجمع على قتل هذا، زعمت استصغاراً لجماعتنا! فإنا لا نمر ولا نحلي، ولعمري لو وكلتك أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاثر، وذكرك الداثر، وحدك المفلول، وعرشك المثلول، فأربع على ظلعك، واطويا على بلالنا، ليسهل لك حربنا، ويتظامن لك شاردنا، فإنا لا نرام بوقع الضيم، ولا نلمظ جرع الخسف، ولا نغمر بغمار الفتن، ولا نذر على الغضب.

فقال معاويه: الغضب شيطان، فأربع نفسك أيها الإنسان، فإنا لم نأت إلى صاحبك مكروهاً، ولم نرتكب منه مغضباً، ولم ننتهك منه محرماً، فدونكه فإنه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره، فأخذ عفير بيد الوليد وخرج به إلى منزله وقال له: والله ليؤوبن بأكثر مما آب به معدي من معاوية.

وجمع من بدمشق من اليمانية، وفرض على كل رجل دينارين في عطائه، فبلغت أربعين ألفاً، فتعجلها من بيت المال، ودفعها إلى الوليد، ورده إلى العراق.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/١٣.

محتويات الكتاب



محتويات الكتاب


بسم الله الرحمن الرحيم